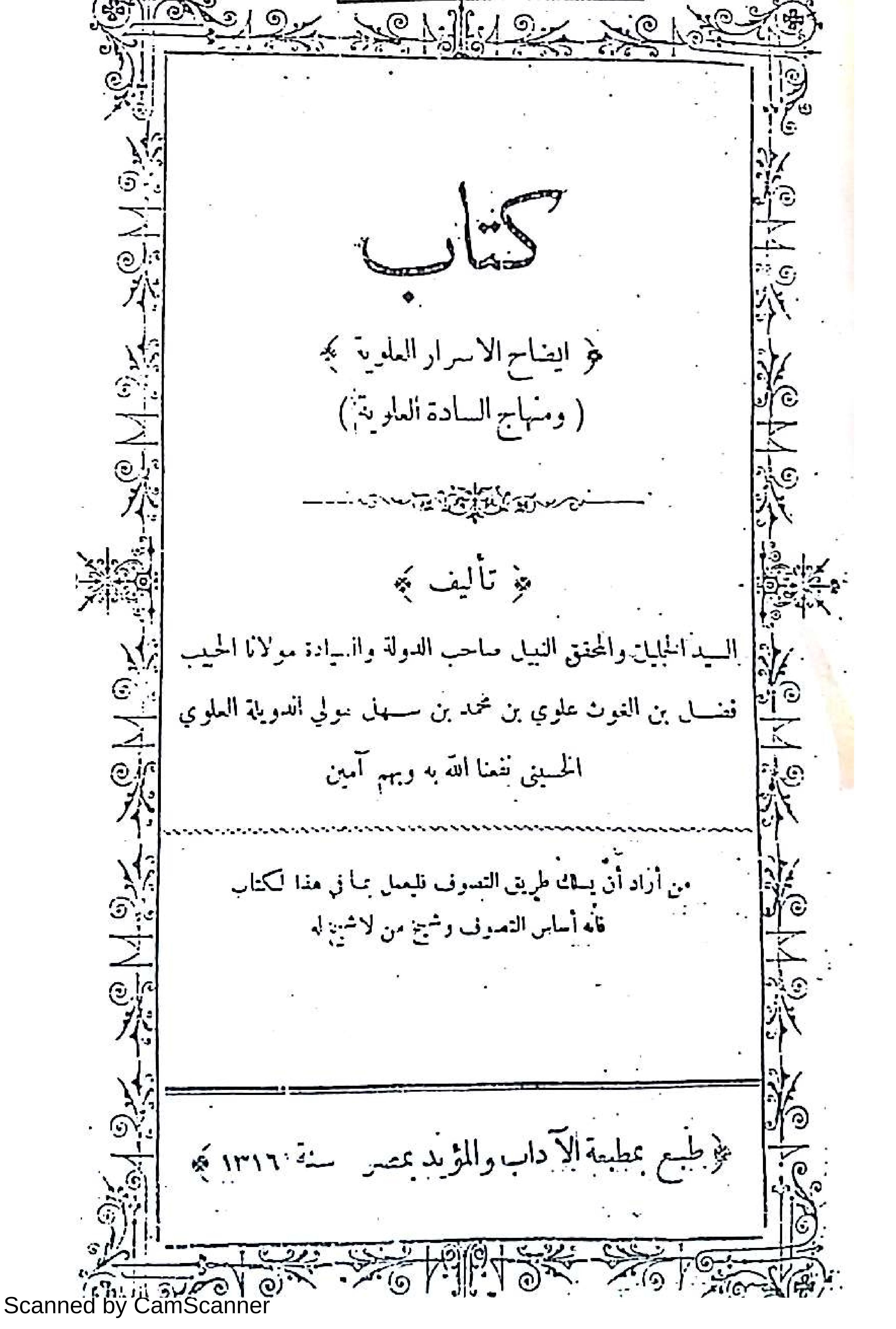


كتاب

﴿ ايضاح الاسرار العلوية ﴾

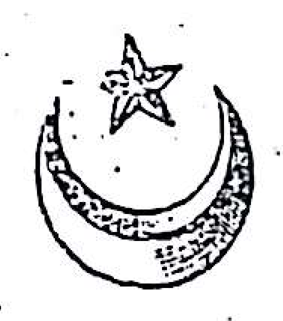
(ومنهاج السادة العلوية)

﴿ تأليف ﴾

السيد الجليل والمحقق النبيل صاحب الدولة والسيادة مولانا الحبيب فضل بن الغوث علوي بن محمد بن سهل مولى الدويلة العلوي الحسيني نفعنا الله به وبهم آمين

من أراد أن يسلك طريق التصوف فليعمل بما في هذا الكتاب فانه أساس التصوف وشيخ من لا شيخ له

﴿ طبع بمطبعة الآداب والمؤيد بمصر سنة ١٣١٦ ﴾



مقدمة

(اعلم) يا أخي أن العبد لا بد له في الجملة من أربعة العلم والعمل والاخلاص والخوف. فيعلم أولا الطريق التي يسلكها والا فهو أعمى. ثم يعمل بالعلم الذي أبيح له والا فهو محجوب. ثم يخلص العمل والا فهو مغبون. ثم لا يزال يخشى ويخاف من الآفات الى أن يجد الامان والا فهو مغرور

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تفرد بكبريائه . وأفاض علي أحبابه جزيل عطائه . وأظهرهم كالبدر في نوره وبهائه . وقادهم بسيف النصر على أعدائه

وصلي الله وسلم علي سيدنا محمد نور آلائه . ومصباح الهدى لقلوب أحبائه . وعلى آله واصحابه نجوم الهدى لمن حار في ظلمة عمائه . واهل بيته وذريته سفينة النجاة الفائزين بنور ضيائه

(اما بعد) فقد اطلعت علي الكتاب المسمى بمنهاج العابدين للامام الهمام حجة الاسلام ابي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي النيسابوري رحمه الله تعالي ونفعنا به فرأيته كتابا عظيما فى معرفة السلوك للوصول الى الله تعالي فأردت ان اختصره في هذه الورقات. وضممت اليه فوائد من « الاحياء » ومن « ايضاح اسرار المقربين » ومن « العوارف » ومن « مقدمة ابن خلدون » وغيرها من النفائس المستجادات.

ورتبته علي ترتيب اصله فى جعله سبع عقبات وزدت عليه مقدمة وخاتمة . وارجو من الله تعالي ان ينظمنى في سلكهم وان ينفعنى والمسلمين بهم وبعلومهم (وسميته ايضاح الاسرار العلويه . ومنهاج السادات العلويه) . فالمقدمة في ذكر اشياء لابد منها للمريد السالك وبيان طبقات السالكين ومراتبهم * فالعقبة الاولي عقبة العلم والثانية عقبة التوبة والثالثة عقبة الطريق والرابعة عقبة العوارض والخامسة عقبة البواعث والسادسة عقبة القوادح والسابعة عقبة الحمد والشكر .

والخاتمة تشتمل على ثلاثة مقاصد * المقصد الاول في بيان طريق السادة العلويين واصلها وما بنيت عليه وانها هي الطريقة التي كان عليها الانبياء والسلف الصالحون فمن بعدهم من صالحي الامة وما يتبع ذلك * والمقصد الثاني فى بيان اصناف الخلق وما يتبعه * والمقصد الثالث في التصوف واقسام الصوفية وانواعهم واحوالهم ونقائصهم وما يتبع ذلك

المقدمة في ذكر ما لا بد منه للمريد السالك

(اعلم) يا اخي ان لكل فضيلة اسا ولكل ادب ينبوعا واساس الفضائل وينبوع الآداب هو العقل الذي جعله الله تعالى للدين اصلا وللدنيا عمادا فأوجب التكليف بكماله وجعل الدنيا مدبرة بأحكامه لأنها وقد ظهر شرف العلم من قبل العقل فالعقل منبع العلم واساسه ومطلعه والعلم يجري منه مجري الثمر من الشجر والنور من الشمس والرؤية من العين فكيف لا يشرف ما هو وسيلة لسعادة الدارين

ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم « لما خلق الله العقل قال له اقبل فأقبل ثم قال له ادبر فأدبر ثم قال له اسكن فسكن فقال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا احبّ اليّ منك ولا اسكنك الا في احب الخلق اليّ فبك آخذ وبك اعطي . ثم خلق الحمق فقال له اقبل فأدبر ثم قال له اسكن فاضطرب فقال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا ابغض اليّ منك وما اسكنك الا في ابغض الخلق اليّ »

ثم ان الله تعالى جعل هذه العقول لعباده نورا يستضيئون بها في وصول الخيرات في امورهم فهم بقدر تفاوتهم في العقول يتفاوتون في الاعمال فاذا تسلط العقل على انسان جاءه بالخصال الحميدة والاخلاق المرضية والطباع الكريمة ونزاهة النفس والوفاء بالعهود والنظر في العواقب وحب معالي الامور والحياء وطلاقة الوجه بالبشاشة وكتمان الاسرار والمداراة والصبر عما تدعو اليه النفس فهذه الصفات اللازمة لصحة العقل وضدها لمن ضعف عقله فاذا تم عقل انسان وقارب الكمال مال حينئذ الى الزهد في هذه الدار الدنيئة وعزفت نفسه عن هذه الملاذ الفانية ولهذا قال بعضهم ان من لوازم العقل ان العاقل اصبر نفسا والجاهل اصبر جسما وقال الشاعر

والصبر بالارواح يعرف فضله ☆ صبر الملوك وليس بالاجسام

لكن اكثر ما تكون العقول في اصحاب القلوب الرقيقة اللينة السليمة فهؤلاء اصحاب الفهوم التامة والآراء الصائبة وهم العارفون بسر هذا الوجود وامر خليقته فهم يعملون بمقتضى علومهم ودقة فهمهم وهم في راحة بما منحوا من الافهام وعمارة البواطن وعموم الناس في خباط ونزاع وقيل وقال يضيعون العمر النفيس في الهوس ويلهجون بأمور فارغة يتوهمون انها قربة وهي هوي ضار فأصحاب الحق منحوا من الفهوم والعلوم كما قال الشاعر

انام ملء جفوني عن شواردها ☆ ويسهر الخلق جرّاها ويختصم

وهـذا لان مراتب اهـل الخير متفاوتة وطبقات الناس فى الاعمـال مختلفة فكل مرتبة من الخيرات عليها خواص الملك جل جلاله وهم العارفون ينقون الاعمال تنقية وتسمو نفوسهم وهممهم الي النفائس منها ويبالغون في الترتيب والتقرب الي الله بمحاسن الاعمال لان منها حسناً واحسن ٥ فهذه هي الطائفة العليا لايعاملون الله تعالى الا بالاحسن لما منحهم من صفاءالقلوب ونوّر قلوبهم فأنارت بواطنهم ولذلك صار اهتمامهم بتصحيح النيات وتحسين المعاملات وتعلقت اسرارهم بربهم في اغلب الاوقات فبذلك حازت هذه الطائفة قصب السبق . وتقدمت على باقى الخلق

وطائفة اخري من اهل الخير دون الطائفـة الاولي لاتبلغ رتبتهم الي اعمال الطائفة الاولي لا اقول ان اعمال هذه الطائفة تقصر عن اعمال الطائفة الاولي ولكن اقول ان اسرارهم وقلوبهم تنقص عن الوصول الي حال اهل المرتبة الاولى

وطائفة اخري من اهل الخير والخيرات والمعاملات لكن خيراتهم قليلة وقاصرة جداً واعمالهم يدخلها خلل ويتعلق بها نوع هوي بحسب ماقسم لهم المولى من العقول الضعيفة

وطائفة اخري من اهل الخير وهم المأمونون الكرام قال النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن غر كريم والفاجر خب لئيم فتري جماعة من الاخيار مغفلين صدورهم سليمة من دناهم اجابوه ومن رغب فيهم مالوا اليه ومن خدعهم انخدعوا له للينهم وسلامة بواطنهم وبعدهم من الخيانات وقلة علمهم بالمخايلات

وطائفة اخري من اهل الخير اعلى من هذه الطوائف وهم اهل العقول الراجحة والهيبة اللائحة . الذين امورهم محكمة حزماً وتيقظاً . وفطنة وتحفظا . لايكاد احدهم يغلب الا بعلمه فيما احب ان يتساهل فيه تكرما وانخداعا لان الكريم اذا خدعته انخدع وهو لايظهر ذلك

قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه لست بخب ولا يخدعني الخب فتري اهل هذا القسم لما اشرق عليهم من انوار الحق ولاح عليهم من حسن مواهبه تملؤهم هيبة ويصير لهم سلطان على الانفس وتنقاد النفوس الي تعظيمهم وتجلهم وتخضع لهم اذا قابلتهم طوعاً اوكرها

وطائفة من الناس قلوبهم قاسية يقتحمون الامور ولا يبالون بالمذمة يغلب علي طباعهم الخب وخبث النفس فتشتبه احوالهم باحوال العقلاء بمحاسنين لك فتري امثال هذا الخلق الذميم اخلاقهم شيطانية واذهانهم سريعة الادراك فهذه الطائفة إدرا كاتهم حسبة

مرجعها الي النفس * وقد علم مما قدمنا القول فيه ان الدين مرتب علي العقل وعلى قدر عقل الانسان يكون دينه كما تقدم فالخب هو الرجل الخبيث الداهي الذي تتأتى منه الشرور والحيل بسرعة ويدق فهمه في الدلائل وهذا يكون من قوة الحس ولا تعلق له بالعقل لان الادراك للحس والتمييز للعقل وهذه طائفة مرذولة عند العقلاء يغلب عليهم عمى القلوب وسوء الراي اذ لو كانت لهم آراء وفكرة صالحة لما اختاروا الا نفسهم المراتب الخسيسة والادراكات الخبيثة ليست بفضيلة ولا اصحابها معدودون في قسم العقلاء اذ كثير من الحيوانات اجود حسا من الانسان الا ترى الي الطير كيف يعرف فصول السنة مما لا يعرفه الاذكياء من الناس فلو كان هذا الخب صحيح العقل لما كان هذا اختياره لنفسه اذ ثمرة العقل حسن الاختيار وليس العاقل الذي يعرف الخير من الشر لان هذا يعرفه النساء والصبيان انما العاقل الذي يعرف خير الخيرين وشر الشرين ويصانع عن احدهما بالآخر ولكن قل ان يجتمع للانسان صحة العقل مع جودة الحس لعزة الكمال والاوفق غالب الاحوال انه متى جاد حس الانسان نقص ذلك من عقله ومتى توفر عقله ضر ذلك بحسه لان صاحب العقل يكون ذا فكرة بتحصيل الاشياء وتمييزها فيعزب ذهنه عن ضبط الاشياء وحفظها والذي يضعف عقله تقل فكرته فيتوفر حسه عن ضبط الاشياء وحفظها فلهذا صار اصحاب الحس اكثر حفظا واقل تمييزا . والخب عند العقلاء في النقيصة بمنزلة البليد الابله اذ الخب والبلادة طرفا النقيصة والعاقل متوسط بينهما . والخب قد يكون ذا علم وحيلة وترى الناس يسترذلونه ويستخفونه لكونه قد فاته الاصل وهو التحلي بلباس الخيرية وترى العاقل الخير ربما كان قليل العلم والناس يجلونه ويعظمونه بما عنده من تنوير الباطن . وقد قيل الخب شريك العقل الا ان الخب اسوأ حالا في العاقبة فالعاقل يداري هواه مداراة والسخيف يعجز عن ذلك لضعفه فيظهر هواه وسوء حاله بين الناس والعاقل اذا اختلفت عليه الخواطر ولم يعلم وجه الصواب فذلك وقت استمداده بالمعونة بطلب التوفيق من الله تعالى فاذا كان للرب بعبده عناية الهمه رشدا فأراه وجه الصواب

وطائفة من الناس قلوبهم قد جبلها الله بمشيئته قريبة من الخير بعيدة من الشر وهي القلوب اللينة المنورة الرحيمة التي تحب الله وتحب خلقه بينهم وبين اعمال البر مناسبة اكيدة فاذا راموا الخيرات تيسر لهم للملابسة التي بينهم وبينها . قال تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء فاهل هذه القلوب هم المرادون بقوله تعالى في الكتب السابقة ان السموات والارض لم تطق ان تحملني وضاقت ان يسعني

ووسعني قلب المؤمن الورع اللين فهي اوطان الاسرار الالهية ومعادن العلوم الربانية وفيها يقول العارفون

احب الحمى من اجل من سكن الحمى * ومن اجل اهليها تحب المنازل

فترى اصحاب هذه القلوب تلوح عليهم انوار المعاملة بيسير من الاعمال فعلامة صاحب هذا القلب الرقيق ميله الي الدعابة لخفة روحه ولطف سريرته ويستدل على صاحبه برقة ماء وجهه وان يكون سهل الخليقة لين العريكة بساماً ضحاكاً لقوله صلى الله عليه وسلم حرمت النار على الهين اللين السهل القريب وجلتهم الرحمة والشفقة على الخلق اعمالهم غالبا مؤكدة بطهارة الضمائر ويغلب عليهم الذل والانكسار والتواضع

وطائفة من الناس تغلب عليهم صعوبة الاخلاق وقسوة القلب فيدخل فى اعمالهم خلل لكثرة غلطهم وضعف تمييزهم وخراب بواطنهم فعلامتهم جمود الوجه كأنه صفحة لبنة فلا يلمح عليه شيء من تهلل البشرية فلا يكاد يتبسم ولا يضحك وتقل رحمته وشفقته وهو قسم رديء السلوك بين بواطنهم وبين الخيرات منافرة اكيدة ويغلب عليهم ثقل الارواح واخلاق المكر واغلب تدين هذا القسم التعصب والتقليد لوقوف اذهانهم ولكون ابصارهم مقصورة عن النفوذ في الاشياء فما لهم الا الظواهر ويصعب عليهم من الخيرات الامور القلبية واحوال البواطن وشأنهم ملازمة الاعمال البدنية والاخذ بظواهر الاشياء واما اعمال القلوب واسرار البواطن فطريق ذلك مسدود عليهم فهم العلماء والاحبار والمجتهدون فى كل خير

وطائفة من الناس بواطنهم سليمة حسنة فقد اجتمع لهم سلامة البواطن الي صلاح الظواهر وهؤلاء اعلى الطوائف فان ترسمت هذه الطائفة بالطاعات وتفرغت للعبادات جاء منهم الصلحاء والاولياء

وطائفة من الناس بواطنهم سليمة واخلاقهم حسنة الا ان ظواهرهم مدنسة بشيء من امور الدنيا يرجى لهم الرجوع والاصلاح لاسيما ان كانوا اصحاب عقول

وطائفة من الناس ظواهرهم حسنة يغلب عليهم السكون ولين الكلام والدخول في شيء من العبادات وربما كانوا اصحاب علوم وكلام في السلوك الا ان بواطنهم رديئة مملوءة كبراً فاحوال هذه الطائفة مع مولاهم صعبة يخاف عليهم الانحطاط

ثم اعلم ان العبادة ثمرة العلم وفائدة العمر وحاصل العبد وبضاعة الاولياء وطريق الاتقياء وقيمة الاعزاء ومقصد ذوى الهمة وشعار الكرام وحرفة الرجال واختيار اولي الابصار وهى سبيل السعادة ومنهاج الجنة . قال تعالى وانا ربكم فاعبدون . وقال تعالى

ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا . ثم انا نظرنا فيها فاذا هي طريق وعر وسبيل صعب كثيرة العقبات . شديدة المشقات . بعيدة المسافات . عظيمة الآفات . كثيرة العوائق والموانع . خفية المهالك والمقاطع . غزيرة الاعداء والقطاع . عزيزة الاشياع والاتباع . وهكذا يجب ان تكون لانها طريق الجنة فيصير ذلك تصديقا لما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الجنة حفت بالمكاره وان النار حفت بالشهوات ثم مع ذلك كله فان العبد ضعيف والزمان صعب وامر الدين متراجع والفراغ قليل . والشغل كثير . والعمر قصير . وفي العمل تقصير . والناقد بصير . والاجل قريب . والسفر بعيد والعقبة كؤد والطاعة هي الزاد فلابد منها وهي فائتة فلا مرد لها فمن ظفر بها فقد فاز وسعد ابد الآبدين . ومن فاته ذلك فقد خسر مع الخاسرين وهلك مع الهالكين . وصار هذا الخطب اذاً والله داء معضلا ولذلك عز من يقصد هذا الطريق ثم عز من القاصدين من يسلكه ثم عز من السالكين من يصل الى المقصود ويظفر بالمطلوب فالظافرون هم الاعزاء الذين اصطفاهم الله عز وجل لمعرفته ومحبته . وسددهم بتوفيقه وعصمته . ثم اوصلهم بفضله الي رضوانه وجنته . فنسأله جل ذكره ان يجعلنا واياكم من اولئك الفائزين برحمته .

ولما وجدنا هذا الطريق بهذه الصفات نظرنا وامعنا النظر في كيفية قطعها وما يحتاج اليه العبد من الاهبة والعدة والآلة والحيلة من علم وعمل فعسي ان يقطعها بحسن توفيق الله تعالى في سلامة ولا ينقطع في عقباتها المهلكة فيهلك مع الهالكين والعياذ بالله تعالى فذكرنا في هذا الكتاب اسبابا لاصلاح ماينبغي للعبد الطالب لذلك الذي يريد السلوك الي الدار الآخرة ليكون على بينة في سيره ومعرفة عوائقه ليحترز منها فنقول

(استقبلك ههنا العقبة الاولي وهي عقبة العلم والمعرفة)

(اعلم) ان اول مايتيسر للعبد من العبادة ويتحرك لسلوك طريقها ان يكون بخطرة سماوية من الله تعالي وتوفيق خاص الهي وهو النظر من الله تعالي وهو المعنيّ بقوله عز وجل افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه . وقد اشار الي ذلك النبي صلي الله عليه وسلم بقوله ان النور اذا نزل في القلب انفسح له وانشرح فقيل يارسول الله هل لذلك من علامة يعرف بها فقال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الي دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله فاذا خطر بقلب العبد اول كل شيء اني اجدني منعما بضروب من النعم كالحياة والقدرة والعقل والنطق وسائر المعاني الشريفة واللذات وما ينصرف عني من ضروب المضار والآفات وان لهذه منعما يطالبني بشكره وخدمته وان اغفلت ذلك فيزيل

عني نعمته . ويذيقني بأسه ونقمته . وقد بعث الي رسولا أيده بالمعجزات الخارقة للعادات الخارجة عن مقدورات البشر وأخبرني بأن لى رباً جل ذكره وحده لاشريك له قادراً عالماً حياً متكلماً يأمر وينهي قادراً على أن يعاقبني ان عصيته ويثيبني ان أطعته عالماً بأسراري . وما يختلج فى أفكاري . وقد وعد وأوعد وأمر بالتزام قوانين الشرع فعند ذلك يقع فى قلبه انه ممكن اذلا استحالة لذلك فى العقل بأول البديهة فعندذلك يخاف على نفسه ويفزع فهذا خاطر الفزع الذى ينبه العبد ويلزمه الحجة ويقطع عنه المعذرة فيحتاج عندذلك أن ينظر فى طريق يلتمس فيه سبيل الخلاص وحصول الامان له مماوقع على أو سمع باذنه فلم يجد فيه سبيلا سوي النظر بعقله في الدلائل والاستدلال بالصنعة على الصانع ليحصل له العلم واليقين بما هو الغيب ويعلم ان له رباً كلفه وأمره ونهاه

فهذه أول عقبة استقبلته في طريق العبادة وهي عقبة العلم أو المعرفة فيأخذ فى قطعها من غير بد بحسن النظر فى الدلائل ووفور التأمل والتعلم والسؤال من علماء الآخرة الذين هم أولياء الطريق سرج الامة والاستفادة منهم وطلب الدعاء منهم بالتوفيق والاعانة فعسي أن يقطعها بعون الله تعالي لانه اذا فقد العلم لايدري كيف يعبده وماذا يلزمه من الخدمة بظاهره وباطنه فعليك ياطالب الخلاص والعبادة أولا بالعلم لان العلم هو القطب وعليه المدار

ثم اعلم ان العلم والعبادة جوهران لاجلهما كان كل ماترى أو تسمع من تصنيف المصنفين وتعليم المعلمين ووعظ الواعظين ونظر الناظرين بل لاجلهما انزلت الكتب وأرسلت الرسل بل لاجلهما خلقت السموات والارضون ومافيهما من المخلوقات . وتأمل آيتين فى كتاب الله عز وجل (احداهما) قوله تعالى الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً . وكفى بهذه الآية دليلاً على شرف العلم لاسيما علم التوحيد (والآية الثانية) قوله تعالى وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون وكفى بهذه الآية دليلا على شرف العبادة ولزوم الاقبال عليها . فأعظم بأمرين هما المقصود من خلق الله تعالي فحق العبد أن لايشتغل الا بهما

ثم ان العلم أشرف الجواهر جميعاً وأفضلها ولذلك قال النبي صلي الله عليه وسلم ان فضل العالم على العابد كفضلي على أدني رجل من أمتي ولكن لابد للعبد من العبادة مع العلم والا كان علمه هباء منثوراً فان العلم بمنزلة الشجرة والعبادة بمنزلة الثمرة فالشرف للشجرة لانها الاصل لكن لا انتفاع الا بثمرتها فاذاً لابد للعبد أن يكون له من كلا الامرين

حظ ونصيب فحيث استقر انه لابد منهما جميعا وجب تقديم العلم لانه الاصل والدليل . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم العلم امام العمل والعمل تابعه وانما كان العلم أصلا متبوعا ولزمك تقديمه على العبادة لامرين (أحدهما) لتحصل لك العبادة وتسلم فأول مايجب عليك أن تعرف المعبود ثم تعبده وكيف تعبده وأنت لا تعرفه الا بأسمائه وصفات ذاته وما يجب له ومايستحيل فى نعته فان العلم امام العمل ومداره والا اعتقدت فيه وفى صفاته شيئاً والعياذ بالله مما يخالف الحق فتكون عبادتك هباء منثوراً

ثم يجب عليك أن تتعلم مايلزمك فعله من الواجبات الشرعية لتفعله على ماأمرت به وتتعلم مايلزمك اجتنابه من المعاصى لتجتنبه ولا توقع نفسك فيه * ثم يجب عليك أن تتعلم ما يجب معرفته من العبادات الباطنية مثل التوكل والتفويض والصبر والرضا والتوبة والاخلاص ونحوها وأن تتعلم مناهيها التي هي اضداد هذه الامور كالسخط والامل والحسد والرياء والكبر والعجب لتجتنب ذلك لان هذه فرائض نص الله تعالى عليها فى كتابه العزيز وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم قال تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين . وقال تعالى واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون . وقال تعالى واصبروا ان الله مع الصابرين . وقال تعالى وتبتل اليه تبتيلا ونحو ذلك من الآيات كما نص على الامر بالصلاة والصوم فمالك أقبلت على الصوم والصلاة وتركت هذه الفرائض والامر بها من رب واحد بل غفلت عنها بالكلية لا تعرف شيأ منها أغرتك نفسك من أصبح بعاجل حظه مشغوفاً . حتى صير المعروف منكراً والمنكر معروفاً . فان من أهمل العلوم التي سماها الله تعالى في كتابه نوراً ورحمة وهدي وأقبل على مابه يكتسب الحرام . ويكون مصيدة للحطام . كان مضيعاً نفسه فيما لايجدي ومتعباً لها فيما يحاسب عليه . أما تخاف أيها المسترشد أن تكون تاركا شيأ من هذه الواجبات وتشتغل بصلاة التطوع أوصوم النفل فتكون فى لاشيء وربما كان هذا وأنت مصر على معصية من هذه المعاصى التي تستوجب بها النار وتترك مباحاً من الطعام أوالشراب أو النوم وتبتغي بذلك القربة الى الله تعالى فتكون في لاشيء . وأشد من ذلك كله الامل فانه معصية محضة لانك تظن انه نية خير بجهلك بالفرق بينهما فتكون في جزع وسخط وتظنه تضرعا وابتهالا الي الله عزوجل وتكون فى رياء محبط وتظنه حمداً لله تعالى أودعوة للناس الى الخير فتعد على الله المعاصى بالطاعات وتطلب الثواب العظيم فى موضع العقوبة فتكون فى غرور عظيم وغفلة قبيحة فهذه والله مصيبة عظيمة للعاملين بغير علم . ومع ذلك فان للاعمال الظاهرة علائق من المساعى الباطنة تصلحها وتفسدها كالاخلاص والرياء والعجب وذكر المنة وغيرها فمن لم يعلم هذه

المساعي الباطنة ووجه تأثيرها في العبادة الظاهرة وكيفية الاحتراز منها وحفظ العمل عنها قبل أن يسلم له عمل من الاعمال الظاهرة فتفوته الطاعة الظاهرة والباطنة فلا يبقى بيده الا الشقاوة والكد وهذا هو الخسران المبين * ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ان نوما على علم خير من عبادة على جهل وقال صلى الله عليه وسلم في صفات العلم انه يلهمه السعداء ويحرمه الاشقياء نعوذ بالله من علم لاينفع وعمل لايقبل

وأما الخصلة الثانية التي توجب تقديم العلم فهي أن العلم النافع يثمر خشية الله تعالى ومهابته قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وذلك أن من لم يعرفه حق معرفته لم يهبه حق مهابته ولم يعظمه حق تعظيمه وحرمته فصار العلم يثمر الطاعات كلها ويحجز عن المعاصي كلها بتوفيق الله تعالى فعليك بالعلم أرشدك الله تعالى

ثم اعلم ان العلوم التي طلبها فرض ثلاثة . علم التوحيد . وعلم السر . وأعني به ما يتعلق بالقلب ومساعيه . وعلم الشريعة

فأما حد مايجب من كل واحد منها فالذي يتعين من علم التوحيد قدر تعرف به أصول الدين وهو ان لك الهاً عالماً قادراً حياً مريداً متكلماً سميعاً بصيراً واحداً لاشريك له متصفاً بصفات الكمال منزهاً عن دلالة الحوادث منفرداً بالتقدم على كل محدث وأن محمداً عبده ورسوله الصادق فيما جاء به عن الله تعالى وفيما ورد عنه من أمور الآخرة

وأما الذي يتعين من علم السر فمعرفة أوامره ونواهيه حتى يحصل لك تعظيم الله تعالى كالنية والاخلاص وسلامة العمل ولايلزمك معرفة دقائق علم السر وشرح جميع عجائب القلب

وأماما يتعلق بعلم الشريعة وكل مايتعين عليك فعله أو تركه ففرض واجب عليك معرفته لتأديه * هذا حد مايلزم العبد تحصيله من العلم لامحالة

ثم اعلم يا أخي انه ينبغي لك أن لا تنظر بعين الحقارة الى سائر العلوم أعني علم الفتاوي، وعلم النحو واللغة المتعلقين بالكتاب والسنة وغير ذلك فان المتكلفين بالعلوم كالمتكلفين بالثغور والمرابطين بها والغزاة المجاهدين في سبيل الله فمنهم المقاتل ومنهم الجاسوس ومنهم الذي يسقيهم الماء ومنهم الذي يحفظ دوابهم ويتعهدهم ومنهم الذي يداوي المرضى والجرحى ولا ينفك واحد منهم عن الآخر اذ كان قصدهم اعلاء كلمة الله تعالى دون حيازة الغنم فكذلك العلماء قال تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والفضيلة نسبية واستحقارنا بالصيارفة عند قياسهم بالملوك لايدل على حقارتهم اذا قيسوا بالكناسين فلا تظنن أن مانزل عن الرتبة القصوى ساقط القدر بل الرتبة العليا

الانبياء ثم الاولياء ثم العلماء الراسخون فى العلم والصالحون على تفاوت درجاتهم لان الدنيا منزل والبدن مركب والاعمال سعي الى المقصد ولا مقصد الا لقاء الله ففيه النعيم كله وان كان لا يعرف قدره الا الاقلون

والعلوم بالاضافة الى لقاء الله تعالى والنظر الى وجهه الكريم أعني النظر الذي طلبه الانبياء وفهموه دون ما يسبق الى فهم العوام فان المتكلمين على ثلاثة مراتب تفهمها بالموازنة بمثال وهو أن العبد الذي علق عتقه وتمكينه بالملك بالحج فقيل له ان حججت وأتممت وصلت الى العتق والملك جميعاً وان بدأت بطريق الحج والاستعداد له وعاقك فى الطريق مانع ضروري فلك العتق والخلاص من شقاء الرق فقط دون سعادة الملك له ثلاثة اصناف من الشغل * الاول تهيئة الاسباب بشراء الناقة وخرز الراوية واعداد الزاد والراحلة * والثاني التوجه الى الكعبة منزلا بعد منزل * والثالث الاشتغال بأعمال الحج ركناً بعد ركن ثم بعد الفراغ من هيئة الاحرام وطواف الوداع استحق التعرض للملك والسلطنة

والعلوم ثلاثة أقسام قسم يجري مجرى اعداد الزاد والراحلة وشراء الناقة وهو علم الطب والفقه لان البدن مطيته التي يركبها ويسعى بواسطتها فى طريق الله كالناقة فى طريق الحج وكالراوية الخازنة للماء فكل علم مقصده مصلحة البدن فهو من جملة مصالح المطية ولا يخفى أن الطب كذلك فانه يحتاج اليه في حفظ الصحة لان علم طريق اعتدال الاخلاط طب وعلم طريق اعتدال أحوال الناس فى المعاملات والافعال فقه * وقسم يجري مجرى سلوك البوادي وقطع العقبات وهو تطهير البواطن عن كدورات الصفات * والثالث يجري مجرى نفس الحج وأركانه وهو العلم بالله وصفاته وملائكته وأفعاله وعند فراغك من العلم تكون قد أديت فرض الله عليك الذي تعبدك به فى باب العلم وصرت من علماء أمة محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله الراسخين فى العلم وأقبلت على عمارة معادك وكنت عبداً عالماً عاملا لله تعالى على بصيرة غير جاهل ولا مقلد ولا غافل فلك الشرف العظيم والحال الجسيم ولعلمك القيمة الكثيرة والثواب الجزيل وكنت قد قطعت هذه العقبة وخلفتها وراءك وقضيت حقها باذن الله تعالى والله سبحانه هو المسؤل أن يمدنا واياك بحسن توفيقه

فاذا استكملت هذه العلوم وعرفت ما وجب عليك منها وانبعثت لتأخذ فى العبادة والاشتغال بها نظرت فى أمرك فاذا أنت صاحب جناية وذنوب فيجب عليك أن تتوب الى ربك وتخلص من الجنايات والمظالم ليغفر لك ذنوبك ويخلصك من أسرها ويطهرك

من أقذارها لتصلح للخدمة وبساط القربة فتستقبلك ههنا العقبة الثانية وهي عقبة التوبة فتحتاج لامحالة الى قطعها

اعلم وفقنا الله تعالى واياك الى مرضاته أن التوبة باب عظيم من أبواب القرب والوصول الي الله تعالى وانك بعد قطع العقبة الاولى ومعرفة ماوجب عليك معرفته من العلوم تحتاج الى سلوك عقبة التوبة لتقطعها وقطعها لايكون الا بعد معرفة حقوقها وشروطها لان شؤم الذنوب يورث الحرمان ويعقب الخذلان والتقييد بها يمنع المشي الى الطاعة والمسارعة الى الخدمة وثقلها يمنع من الخفة للخيرات والنشاط في الطاعات والاصرار عليها يسود القلب فتجدها في ظلمة وقساوة * لاخلوص فيها ولاصفاوة * ولالذة ولاحلاوة * وكل ذلك من تراكم الذنوب وترك التوبة وقد أمرك الله تعالى بها في مواضع كثيرة من كتابه * فقال تعالى ياأيها الذين آمنوا توبوا الي الله توبة نصوحاً عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم الى آخر الآية * وقال تعالى وتوبوا الي الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون

فقد رتب تعالى تكفير السيئات ودخول الجنة والفلاح على التوبة وانما أمرك بها ليقبل منك عبادتك فان رب الدين لايقبل الهدية

وقد حصر العلماء رضي الله عنهم التوبة بحسب مثارات الذنوب في أربع صفات ربوبية . وشيطانية . وبهيمية . وسبعية . وذلك لان طينة الانسان عجنت من اخلاط مختلفة فاقتضى كل واحد من الاخلاط في المعجون منه أثراً من الآثار كما يقتضي السكر والخل والزعفران في السكنجبين آثاراً مختلفة

فأما مايقتضى النزوع الى صفات الربوبية فمثل الكبر والفخر وحب المدح والثناء والعز والغنا وحب دوام البقاء وطلب الاستعلاء على الكافة حتى كأنه يريد أن يقول أنا ربكم الاعلى وهذا يتشعب منه جملة من كبائر الذنوب غفل عنها الخلق ولم يعدوها ذنوباً وهي المهلكات

الثانية هي الصفة الشيطانية التي منها يتشعب الحسد والبغي والحيلة والخداع والامر بالفساد والمنكر ويدخل فيه الغش والنفاق والدعوة الي البدع والضلال

الثالثة الصفة البهيمية ومنها يتشعب الشره والكلب والحرص على قضاء شهوة البطن والفرج ومنه يتشعب الزنا واللواط والسرقة وأكل مال الايتام وجمع الحطام لاجل الشهوات

الرابعة الصفة السبعية ومنها يتشعب الغضب والحقد والتهجم على الناس بالضرب

والشتم والقتل واستهلاك الاموال ويتفرع عنها جمل من الذنوب وهذه الصفات لها تدريج فى الفطرة

فالصفة البهيمية هي التى تغلب أولا ثم تتلوها الصفة السبعية ثانياً ثم اذا اجتمعا استعملا العقل في الخداع والمكر والحيلة وهي الصفة الشيطانية ثم بالآخرة تغلب الصفة الربوبية ثم تنفجر الذنوب من هذه المنابع على الجوارح فبعضها فى القلب وبعضها فى العين وبعضها فى السمع وبعضها في اللسان وبعضها في البطن وبعضها فى الفرج وبعضها فى اليدين وبعضها فى جميع البدن

ثم ان للتوبة مقدمات وأركانا ٭ أما المقدمات فثلاث ٭ ذكر غاية قبح الذنوب ٭ وذكر شدة عقوبة الله تعالى وأليم عذابه وسخطه وغضبه الذي لاطاقة لك به ٭ وذكر ضعفك وقلة حيلتك فى ذلك ٭ وأما الاركان فثلاثة أيضا الاقلاع عن الذنب والندم عليه والعزم على أن لايعود اليه فان كان الحق لآدمى زيد على هذه الثلاثة رابع وهو الاستحلال

ويشترط لصحة التوبة والاعتداد بها شرطان الاول أن لايغرغر والثاني أن لا تطلع الشمس من مغربها ٭ (ثم ان الناس فى التوبة على أربع طبقات)

(الطبقة الاولى) ٭ أن يتوب العاصي ويستقيم على التوبة الي آخر عمره فيتدارك مافرط من أمره ولا يحدث نفسه بالعود الى الذنوب الا الزلات التى لاينفك عنها البشر فى العادات مالم يكن في رتبة النبوة فان وقعت منه زلة أعقبها بالاستغفار ومعاتبة النفس فهذه هي الاستقامة علي التوبة وصاحبها هو السابق بالخيرات المستبدل السيئات بالحسنات وهذه هي التوبة النصوح واسم هذه النفس النفس المطمئنة التي ترجع الى ربها راضية مرضية وأصحاب هذه الطبقة هم المشار اليهم بقوله صلى الله عليه وسلم سبق المفردون المستهترون بذكر الله وضع الذكر عنهم أوزارهم فوردوا القيامة خفافاً

(الطبقة الثانية) ٭ أن يتوب الشخص ويسلك سبيل الاستقامه في أمهات الطاعات ويترك كبائر الفواحش كلها الا أنه ليس ينفك عن ذنوب تعتريه لاعن عمد وتجريد قصد ولكن يبتلى بها فى مجاري أحواله من غير أن يقدم عزماً على الاقدام عليها ولكنه كلما أقدم عليها لام نفسه وندم وهذه النفس جديرة بأن تكون هى النفس اللوامة اذ تلوم صاحبها وهذه أيضاً رتبة عالية وان كانت نازلة عن الطبقة الاولى وهى أغلب أحوال التائبين لان الشر معجون بطينة الانسان وانما غاية سعيه أن يغلب خيره شره حتى يثقل ميزانه

(الطبقة الثالثة) ٭ أن يتوب ويستمر على الاستقامة مدة ثم تغلبه شهوته فى بعض الذنوب فيقدم عليها عن صدق وقصد شهوة لعجزه عن قهر الشهوة الا أنه مع ذلك مواظب

على الطاعات وتارك جملة من الذنوب مع القدرة والشهوة وانما قهرته هذه الشهوة الواحدة أو الشهوتان وهو يود لو أقدره الله تعالى على قمعها وكفاية شرها فهذه امنيته حال قضاء الشهوة وبعد الفراغ يندم ويقول ياليتني لم أفعلها وسأتوب وأجاهد نفسي في قهرها لكنه يسول لنفسه ويسوف لتوبته مرة بعد أخرى، وهذه النفس المسولة فان مات على التوبة التحق بالسابقين ان أدركه الله بفضله وجبر كسره وامتن عليه

(الطبقة الرابعة) * أن يتوب ويجرى مدة على الاستقامة ثم يعود الى مقارفة الذنوب من غير أن يحدث نفسه بالتوبة ومن غير أن يتأسف على فعله بل ينهمك انهماك الغافل في اتباع شهواته فهذا من جملة المصرين وهذه النفس هي الامارة بالسوء الفرارة من الخير ويخاف على صاحبها سوء الخاتمة والعياذ بالله وطلبها الجنة بمجرد الرجاء مع خراب الاعمال غرور أو شبيه بالمستحيل كما أن من خرب داره وضيع ماله وترك نفسه وعياله جياعا ويزعم انه ينتظر فضل الله بأن يرزقه كنزاً في موضع بيته الخراب يعد عند ذوي البصائر من الحمقى المغرورين وان كان ماينتظره غير مستحيل في قدرة الله تعالى وفضله وكذا طلب العلوم من تعليم الملائكة وليت من اجتهد تعلم وليت من اتجر استغني وليت من صام وصلي غفرله فالناس كلهم محرومون الا العالمون والعالمون كلهم محرومون الا العاملون والعاملون كلهم محرومون الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم

ثم ان الذنوب في الجملة على ثلاثة أقسام * أحدها ترك واجبات الله تعالى كالصلاة والصوم والزكاة وغيرها فهذا يجب قضاؤه وأداؤه ماأمكن * والثاني ذنوب بين العبد وربه كشرب الخمر واستعمال آلات الملاهي وأكل الربا وغير ذلك من المحرمات فهذا تجب التوبة منه وعدم العود اليه * والثالث ذنوب بين العبد وبين غيره من الخلق وهذا القسم أعظم الذنوب وأصعبها ويتفرع منه أقسام لانها قدتكون في النفس أو في المال أوفي العرض أوفي الحرمة أو في الدين فما كان في المال فيجب رده ان أمكن فان عجز عن رده لفقر أوعدم أوفاقة فليستحلل منه فان عجز عن الاستحلال لغيبة صاحبه أوموته فليتصدق عنه فان عجز عن التصدق عنه فليكثر من الحسنات وليرجع الى الله تعالى فلعله يرضيه عنه يوم القيامة * وما كان في النفس فيجب تمكينه من القصاص لاوليائه حتى يقتصوا منه أو يجعلوه في حل فان عجز فليرجع الي الله تعالى لعله يرضيه عنه * وأما ماكان في العرض كالغيبة والنميمة والكذب والشتم فحقه أن يكذب نفسه بين يدي من اغتابه أو كذب عليه والاستحلال من صاحبه اذا لم يخش زيادة غيظ وهيجان فتنة في اظهار ذلك فعند ذلك يرجع الى الله تعالى ليرضيه عنه * فما كان في الحرمة بأن خانه في أهله وولده

أو نحو ذلك فلا وجه للاستحلال من ذلك لان اظهاره يورث فتنة وغيظاً ويؤدي الى منازعات ومخاصمات فيرجع الى الله سبحانه وتعالى بالتضرع والابتهال في ارضاء خصمه عنه وليكثر من التصدق والاستغفار وتكثير الحسنات فلعل الله أن يرضيه عنه * وما كان في الدين كتكفير أو نسبته الى بدعة أو ضلالة وهذا من أصعب الامور وطريق الخلاص منه أن يكذب نفسه بين يدي من نسبه الى شيء من ذلك والاستحلال منه والا فالابتهال الى الله تعالى أيضاً في ارضائه عنه

وهذه العقبة أصعب العقبات وأمرها مهم وضررها عظيم * فقد حكي الاستاذ أبو اسحاق الاسفرايني رحمه الله وكان من الراسخين في العلم قال دعوت الله تعالى ثلاثين سنة أن يرزقني توبة نصوحاً فلم يستجب لي فتعجبت في نفسي وقلت سبحان الله حاجة دعوت الله فيها ثلاثين سنة فما قضيت فرأيت فيما يرى النائم كأن قائلا يقول لي أتعجب من ذلك أتدري ماذا تسأل الله تعالى انما تسأل أن يحبك أما سمعت قوله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين هذه حاجة هينة فانظر الى مثل هؤلاء الائمة واحتمامهم وعليك رحمك الله بالتيقظ والجد عسى أن تقلع عن قلبك عرق هذه الآفات فان ضررها مخوف لان أول الذنب قسوة وآخره والعياذ بالله تعالى شؤم وشقوة واياك اياك لا تنسى أمر ابليس وبلعم بن باعوراء فانه كان مبدأ أمرهما ذنب وآخره كفر فهلكا مع الهالكين أبد الآباد * قال بعض الصالحين ان سواد القلب من الذنوب وعلامة سواده أن لا يجد للذنوب مفزعا ولا للطاعة موقعاً ولا للموعظة منجعاً فلا تستحقرن شيئاً من الذنوب فتحسب نفسك تائباً وأنت مصر على الكبائر * وجملة الامر انك اذا ابتدأت فبرأت قلبك عن الذنوب كلها ووطنت نفسك على أن لا تعود اليها ألبتة بصدق عزم وقلب نقي وترضي الخصوم بما أمكنك وتقضي الفوائت بما تقدر عليه وترجع الى الله تعالى بالابتهال والتضرع ليكفيك ذلك فتغسل ثيابك وتغتسل وتصلي أربع ركعات كما تجب وتضع وجهك على الارض في مكان خال لا يراك فيه الا الله ثم تجعل التراب على رأسك وتمرغ وجهك الذي هو أعز أعضائك بالتراب بدمع جار وقلب حزين وصوت عال وتذكر ذنوبك واحداً بعد واحد وتلوم نفسك وتقول أما تستحي يا نفسي أما آن لك أن تتوبي ألك طاقة على عذاب الله ألك مجير من سخط الله ثم ترفع يديك الى الرب الرحيم وتقول الهي عبدك الآبق رجع اليك وعبدك العاصي رجع الى الصلح وعبدك المذنب أتاك بالعذر فاعف عني بجودك واقبلني بفضلك وانظر الى برحمتك اللهم اغفر لي ما سلف من ذنوبي واعصمني فيما بقي من الاجل فان الخير كله بيدك وأنت بنا رؤوف رحيم ثم تدعو بما

أردت من الدعاء فتكون قد تبت ان شاء الله توبة نصوحا وقد خرجت من الذنوب طاهرا كيوم ولدتك أمك وأحبك الله تعالى وادخر لك من الاجر والثواب وأفاض عليك من البركة والرحمة مالا يحيط به وصف واصف وحصل لك الأمن والخلاص ونجوت من غضبه ومن غصة المعاصي وبليانها في الدنيا والآخرة وكنت قد قطعت هذه العقبة باذن الله تعالى فتستقبلك ههنا العقبة الثالثة وهي عقبة العوائق فتحتاج لامحالة الى قطعها بالسلوك فى طريق الله تعالى بالعبادة والدوام على الطاعة فلك في هذا الطريق موانع وعوائق تمنعك وتعوقك عن وصولك لمقصدك وتنحصر هذه العوائق فى أربعة أشياء وهى أمهات الموانع والعوائق * الدنيا * والخلق * والشيطان * والنفس * فبالضرورة تحتاج الى دفع هذه العوائق عنك ليسلك لك طريق مقصدك

العائق الاول الدنيا ودفعها مرتب على التجرد عنها والزهد فيها وانما يلزمك هذا التجرد والزهد لامرين أحدهما الاستقامة على دوام العبادة والاكثار منها وثانيهما عظم قدر العمل وشرفه وكثرة قيمته اذ الرغبة في الدنيا تشغل الظاهر والباطن أما شغل الظاهر فبطلبها والسعي اليها والتكالب عليها وأما شغل الباطن فبارادتها وحديث النفس فيها وتمنيها وكلاهما يمنع من العبادة اذ العبادة طريق الآخرة والدنيا والآخرة ضدان لايجتمعان وانهما كالشرق والمغرب فبقدر الاشتغال بأحدهما يحصل الاعراض عن الآخر * وقد جاء عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا مايبقى على مايفنى * فبان لك أنك اذا اشتغلت بالدنيا لاتتيسر لك العبادة وأما اذا زهدت فيها وتفرغت لها باطنك وظاهرك تيسرت لك بل يعاونك عليها أعضاؤك فقد نقل عن سلمان الفارسي رضى الله عنه أن العبد اذا زهد فى الدنيا استنار قلبه بالحكمة وتعاونه أعضاؤه على العبادة ويعظم قدر عمله ويشرف وتزيد قيمته ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ركعتان من رجل عالم زاهد قلبه طاهر خير وأحب الى الله تعالى من عبادة المتعبدين الى آخر الدهر أبدا سرمدا فاذا كانت العبادة تكثر وتشرف بذلك فحق على كل من طلب العبادة أن يزهد فى الدنيا ويتجرد عنها

مطلب

والزهد عند علمائنا رحمهم الله تعالى زهدان زهد مقدور للعبد وزهد غير مقدور له * فالزهد المقدور مركب من ثلاثة أشياء ترك طلب المفقود من الدنيا وتفريق المجموع منها وترك ارادتها واختيارها * وأما الزهد غير المقدور للعبد فهو برودة الدنيا على قلب

الزاهد بعد تركها فتركها مطلقاً يورث في قلبه برودتها بفضل الله تعالى ومعونته وهذا هو الزهد الحقيقي

ثم اعلم ان أصعب الامور الثلاثة انما هو ترك الارادة بالقلب اذ كم تارك لها بظاهره مريد لها بباطنه وهو في مكابدة ومقاساة في نفسه والشأن كله في هذا ألم تسمع قوله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الارض ولا فساداً والعاقبة للمتقين علق الحكم بنفي الارادة دون الطلب والفعل للمراد وقوله تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب وقوله تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء وقوله تعالى ومن أراد الآخرة الآية أما ترى الاشارة كلها الى الارادة فأمرها اذاً هو المهم لكن العبد اذا واظب واستقام على الاولين أعني الترك والتفريق فمأمول من فضل الله سبحانه وتعالى أن يوفقه لدفع هذه الارادة والاختيار عن قلبه فانه الجواد الكريم * ثم الزهد في الدنيا في موضع يكون فرض عين وفي موضع آخر يكون نفلا فالزهد في الحرام فرض والزهد في الحلال نفل فمنزلة الحرام للمستقيم بمنزلة الميتة لا يقدم عليها الا عند الضرورة وعند العارفين الحلال بمنزلة الميتة لا يتناولون منه الا قدر الضرورة وأما الحرام فهو عندهم بمنزلة النار لا يخطر ببالهم فمثاله انسان صنع خبزا ثم طرح فيه قطعة سم قاتل فأبصره رجل ولم يبصره آخر ووضع الخبز بين أيديهما مزينا مزخرفاً فالرجل الذي أبصر السم يكون زاهدا لا يخطر بباله أن يتناول منه بحال لكون ذلك عنده بمنزلة النار بل أصعب فلا يغتر بظاهره وأما الرجل الآخر الذي لم يبصر ماجعل فيه اغتر بظاهره وحرص عليه وأخذ يتعجب من صاحبه الزاهد فهذا مثل حرام الدنيا وأما حلال الدنيا فهو كبزقة بزقها انسان في خبز فشاهدها رجل ولم يشاهدها آخر فالذي شاهدها لا يقدم على الطعام الا عند الضرورة والذي لم يبصر مغتر بظاهره وحارص عليه وهذا مثال الدنيا مع الفريقين أهل البصيرة والاستقامة وأهل الرغبة والغفلة * فان قلت فلابد لنا من قدر من الدنيا ليكون قواما لنا فاعلم ان الزهد في الفضول مما لا يحتاج اليه في قوام البنية فالمقصود القوام والقوة حتي تعبد الله تعالى وانما يلزمك أن تحذرها وتزهد فيها اذا عرفت حقيقة ذلك وما أنت عليه وذلك لا يخلو من ثلاثة أوجه لانك اما ان تكون من ذوي البصائر والفطنة فيكفيك أن الدنيا عدوة لله والله سبحانه هو حسبك ووليك واما أن تكون من ذوي الهمة في العبادة فحسبك حينئذ ان الدنيا يبلغ شؤمها الى حد يمنعك عن ارادتها ويشغلك التفكر فيها عن عبادتك ويقطعك عن الوصول الى مافيه الخير لك

واما أن تكون من أهل الغفلة لا بصيرة لك تبصر بها الحقائق وليس لك همة عالية تبعثك على المكارم فيكفيك حينئذ ان الدنيا لا تبقى اما أن تفارقها واما أن تفارقك فاذا علمت أن في جميع أحوالك يجب عليك مفارقتها والزهد فيها ظهر لك أن الاشتغال بطلبها مانع عظيم وقاطع جسيم ٭ العائق الثاني الخلق فعليك وفقك الله لطاعته بالتفرد عن الخلق وذلك لامرين (أحدهما) أنهم يشغلونك عن عبادة الله تعالى ٭ قال سيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما بينما نحن حول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ ذكر الفتنة فقال اذا رأيتم الناس مرجت عهودهم وخفت أماناتهم وكانوا هكذا وشبك بين أصابعه فقلت ما أصنع عند ذلك يا رسول الله جعلني الله فداك قال الزم بيتك وأمسك عليك لسانك خذ ما تعرف ودع ما تنكر وعليك بأمر الخاصة ودع عنك أمر العامة (والثاني) أن الناس في هذا الزمان يفسدون عليك ما يحصل لك من العبادة ان لم يحفظك الله تعالى بسبب ما يعرض من قبلهم من دواعي الريا والتزين ٭ ثم ان الناس في هذا الباب رجلان رجل لا حاجة للخلق اليه في علم أو بيان حكم فالاولى لهذا الرجل التفرد عن الناس فلا يخالطهم الا في جماعة أو جمعة أو عيد أو حج أو مجلس علم بالسنة أو حاجة في معيشة لا بدله منها فاما ان احب هذا الرجل أن ينقطع عن الناس ولا يخالطهم في أمر ألبتة من دين أو دنيا أو جمعة أو جماعة لما يري له في ذلك من المصلحة وفراغ القلب فلا يسعه ذلك الا بأحد أمرين اما أن يصير الي موضع لا تلزمه فيه هذه الفروض كرؤوس الجبال وبطون الاودية واما أن يتيقن بالحقيقة ان الضرر الذي يلحقه من مخالطة الناس بسبب هذه الفروض أعظم من تركها فحينئذ يعذر في ذلك الا أنه يحتاج في هذا الى نظر دقيق وعوارض عظيمة حتي يسقط عنه ذلك وفيه خطر من الغلط ٭ والطريق العدل فيه هو الاول فيشارك الناس في الجمع والجماعات وضروب الخيرات المترتبة على الاجتماع ويباينهم فيما سوي ذلك ٭ الثاني من الرجلين رجل يكون قدوة في العلم بحيث يحتاج الناس اليه في أمر دينهم لبيان حق أو رد على مبتدع أو دعوة الى الخير بفعل أو قول أو نحو ذلك فلا يسع هذا الرجل الاعتزال عن الناس بل ينصب نفسه ناصحاً لخلق الله ذاباً عن دين الله مبيناً لاحكام الله تعالي ٭ قال صلى الله عليه وسلم اذا ظهرت البدع وسكت العالم فعليه لعنة الله هذا اذا كان بينهم ثم انه يحتاج هذا الرجل الى أمرين شديدين أحدهما صبر طويل وحلم عظيم ونظر لطيف والاستعانة بالله والثاني يكون في هذا المعني منفرداً عنهم وان كان معهم بشخصه ثم يقوم بجميع حقوقهم ويباسطهم بالبذل اذا قدر وينقبض في الاخذ اذا أعطي ويحمل منهم الأذي ويكتم حاجته عنهم وينظر لنفسه وقتاً فيجعل له حظاً من العبادة فيكون نفسه معهم

وقلبه بعيداً عنهم كما قال بعض المشايخ رحمه الله في وصيته لابنه يابني عش مع أهل زمانك ولا تتجنبهم ثم قال ما أشد هذا العيش مع الاحياء والاقتداء بالاموات * وقوله عليه الصلاة والسلام عليكم بالجماعة يحتمل ثلاثة أوجه * أحدها أنه يعني به في الدين والحكم اذ لا تجتمع هذه الامة على ضلالة فخرق الاجماع هو الحكم بخلاف ما عليه جمهور الائمة والشذوذ عنهم وذلك باطل وضلال فاما أن يعتزل عنهم لصلاح دينه فليس هذا من ذلك في شيء * الوجه الثاني في معني الحديث أن لا تنقطعوا عنهم في جمعهم وجماعتهم ونحو ذلك فان فيها قوة الدين وجمال الاسلام وغيظ الكفار * والوجه الثالث ان ذلك في غير زمان الفتنة للرجل الضعيف في أمر الدين اذا رأي الفتنة التي حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم الامة منها وأمرهم بالعزلة فالعزلة في ذلك أولى لما في الخلطة والاجتماع من الفساد والآفات وان لا ينقطع من جموع الاسلام والخيرات العامة فان جموع المسلمين من الله تعالى بمكان ولهذا الشأن أقام أكثر العارفين بين الناس لنفعهم لعباد الله تعالى في باب الدين وقلة أذاهم ومشاهدة الخلق لآدابهم وحسن رسومهم ليقتدوا بهم فلسان الحال أفصح من لسان المقال فصار ذلك أحسن تدبير في أمر الدين للعلم والعبادة واحكام رأي

مطلب

اعلم ان التفرد عن الناس يهون عليك بثلاثة أمور * أحدها استغراق أوقاتك بالعبادة لان في العبادة شغلا * والثاني قطع الطمع عنهم * والثالث تبصر آفاتهم وتذكر ذلك وتكرره على قلبك فاذا لزمت ذلك طردك عن صحبة الخلق وطريق الفلاح في التجنب عنهم أن تعرف أنك اذا خالطتهم ووافقتهم على أهوائهم أثمت وأفسدت عليك أمر آخرتك وان خالفتهم تعبت بايذائهم وجفوتهم وتكدر عليك أمر دنياك ثم لا تأمن أن يلجؤك الى معاداتهم فتقع في شرهم لانهم ان مدحوك وعظموك يخشى عليك الفتنة والعجب والكبر وان حقروك وذموك يخشى عليك الحزن تارة والغضب لغير الله تعالى تارة أخري وكلا الامرين آفة مهلكة اذا علمت ذلك ونظرت فيه بعين البصيرة هان عليك التجنب وسهل عليك طريق الاعتزال منهم فتسلم من آفاتهم

(العائق الثالث الشيطان) فعليك بمحاربته وقهره وذلك بخصلتين * احداهما أنه عدو لا مطمع فيه للمصالحة بل لا يقنعه الا هلاكك وتأمل آيتين في كتاب الله تعالى هما قوله تعالى ألم أعهد اليكم يابني آدم أن لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وقوله تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا * وهذا أقصى التحذير وغايته * والخصلة الثانية أنه

مجبول على عداوتك ومنتصب أبداً لمحاربتك فهو آناء الليل وأطراف النهار يرميك بسهامه وأنت غافل عنه فكيف بك اذا كنت فى عبادة ربك ودعوة الخلق الى بابه مما هو ضد صنيع الشيطان ومراده فصرت كأنك منتصب لمغالبته ومناقضته فهو حينئذ يزيد اجتهاده وشهرته في معاداتك وافساد شأنك بل في هلاكك رأساً اذ هو الذى يقصد بالهلاك من لا يغيظه بل يصادقه ويوافقه كالكفار وأهل الضلال فكيف قصده بمن قام باغاظته وتجرد لمناقضته فله اذاً مع سائر الناس عداوة عامة ومعك أيها المجتهد فى العبادة عداوة خاصة وان أمرك معه لأمر مهم ومعه عليك أعوان أشدها عليك نفسك وهواك وله أسباب ومداخل وأبواب أنت عنها غافل

وحاصل الكلام أنك فى محاربته فى هذه المسألة طريقين * احداهما ماقاله بعضهم ان التدبير فى دفع الشيطان الاستعاذة بالله لاغير فان الشيطان كلب سلطه الله عليك فان اشتغلت بمحاربته بمعالجته ومحاربته تعبت وضاع عليك وقتك وربما يظفر بك فيعقرك فالرجوع الي مسلط الكلب ليصرفه عنك أولى كيف وقد أمر الله بالاستعاذة منه عند قراءة القرآن حيث قال تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم وليس شيء فى الشريعة أفضل من الصلاة وقراءة القرآن فاذا قصدهما العبد جاءه الشيطان فاشغله عنهما بعمل آخر يمنعه عنهما فأرشده الحق سبحانه وتعالى الى السلامة من ذلك بالاستعاذة من الشيطان لانه ليس للمؤمن طاقة على منعه بنفسه الا أن ينادى الرب جل جلاله فيقول أعوذ بالله من الشيطان فاذا سلم العبد نفسه الى الله حفظه من الشيطان كما قال تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان * والطريق الثاني ماقاله آخرون وهو أن الطريق فى دفعه المجاهدة والقيام عليه بالرد والدفع والمخالفة والطريق العدل الجامع فى أمره أن تجمع بين الطريقين فتستعيذ بالله أولا من شره كما أمرك وهو الكافي شره ثم ان رأيته تغلب عليك علمت انه ابتلاء من الله تعالى ابتلاك به ليرى صدق مجاهدتك وقوتك فى أمره وصبرك كما انه يسلط الكفار على المسلمين مع قدرته على كفاية أمرهم لاجل حصول ثواب المجاهدة والصبر وتمحيص الذنوب والشهادة كما قال تعالى أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ثم ان محاربته وقهره كما قاله العلماء رحمهم الله تعالى منحصرة في ثلاثة أشياء * أحدها أن تعرف حيله ومكائده لئلا يجاسر عليك فانك اذا عرفت ذلك فر منك ولا يتعرض لك كما ان اللص اذا عرف أن صاحب الدار قد أحس به فر هاربا والثاني أن تستخف بدعوته فلا يتعلق قلبك به لان الشيطان كالكلب النابح ان أقبلت عليه ولع بك وان أعرضت عنه سكت لكن

لاينبغي لك أن تعرض عنه الا وأنت حذر من غدره ۞ والثالث أن تداوم على ذكر الله تعالى بقلبك ولسانك فقد قال صلى الله عليه وسلم ان ذكر الله في جنب الشيطان كالآكلة في جنب ابن آدم فان قلت كيف تعلم مكائده وحيله فاعلم أن له في ذلك طريقين ۞ أحدهما أن له وساوس بمنزلة السهام تظهر لك بمعرفة الخواطر الآتية وأقسامها والثاني أن له حيلاً بمنزلة الشبكات وتعرف بمعرفة المكائد وأوضاعها ومجاريها

وحاصل الكلام في ذلك أن تقول أما أصل الخواطر فاعلم أن الله تعالى قد وكل بقلب ابن آدم ملكا يدعو الى الخير يقال له الملهم ويقال لدعوته الهام فهو لايدعو الا الى الخير وسلط في مقابلته شيطانا يدعو العبد الى الشر يقال له وسواس ويقال لدعوته وسوسة فهو لايدعو الا الى الشر والى خير مفضول ليمنعك به عن خير فاضل أو يجرك به الى ذنب عظيم لايفي خيره بذلك الشر من عجب ونحوه وذلك كما روي في الخبر انه اذا ولد لابن آدم مولود قرن الله سبحانه به ملكا وقرن الشيطان به شيطانا أي بارادة الله والشيطان جاثم على أذن قلب ابن آدم اليسري والملك جاثم على أذن قلبه اليمني فهما يدعوانه ثم ركب الله في بنية الانسان طبيعة مائلة الى الشهوات راغبة في نيل اللذات كيف كانت من حسن أو قبح فذلك هوي النفس الصارفة الى الآفات فهؤلاء الثلاث دعاة ۞ ثم اعلم أن الخواطر انما هي آثار تحدث في قلب العبد باعثة له على الافعال والتروك وتدعوه اليها وسميت خواطر لاضطرابها وحدوثها في قلب العبد وهي في الحقيقه من الله تعالى وهي أربعة أقسام ۞ قسم يحدثه الله في القلب ابتداء فيقال له الخاطر فقط ۞ وقسم يحدثه موافقاً لطبع الانسان ويقال له هوي النفس ۞ وقسم يحدثه عقب دعوة الملهم ويقال له الالهام ۞ وقسم يحدثه عقيب دعوة الشيطان ويقال له الوسواس وكلها من الله سبحانه وتعالى يحدثها عند الدعوة

ثم ان الخاطر الذي يكون من قبل الله ابتداء قد يكون بخير اكراماً والزاماً للحجة وقد يكون بشر امتحانا وتغليظاً للمحنة وخاطر الملهم لا يكون الا بخير وخاطر الشيطان لايكون الا بشر وربما يكون بخير استدراجاً فقد قيل أن الشيطان يفتح للانسان تسعة وتسعين باباً من الخير حتى يوقعه في باب من الشر . والذي يكون من قبل هوي النفس يكون بالشر ويكون بالخير المقصود منه الشر

ثم اعلم انك تحتاج الى ثلاثة فصول ۞ أحدها الفرق بين خواطر الخير وخواطر الشر ۞ ثانيها الفرق بين خواطر الشر ابتدائي وشيطاني وهوائي ۞ ثالثها الفرق بين خواطر الخير ابتدائي . الهامي وشيطاني وهوائي لتتبع مايكون من الله ومن الملهم وتجتنب مايكون

من الشيطان وكذلك الهوانى عند من يقول به

أما الفصل الاول فقد قال العلماء رحمهم الله تعالي اذا أردت أن تعرف خاطر الخير من خاطر الشر فزنه بأحد موازين ثلاثة يظهر لك حاله (الاول) أن تعرض الامر الذي خطر لك على الشرع فان وافق جنسه فهو خير وان كان بضده بأن كان رخصة أو شبهة فهو شر فان لم يتبين لك فيه لاخير ولاشر فأعرضه على الاقتداء بالصالحين فان كان في فعله اقتداء بالصالحين فهو خير وان كان بضده فهو شر . فان لم يظهر لك فيه شيء لاخير ولاشر فأعرضه علي النفس والهوى فان كانت النفس تنفر منه نفرة طبع لا نفرة خشية ورهبة فهو خير .وان كانت تميل اليه ميل طبع وجبلة لاميل رجاء الى الله ورغبة فهو شر فاذا فعلت ذلك وعرضت الخاطر الذي خطر لك على هذه الموازين كما وصفنا ظهر لك حاله وتبين لك خاطر الخير من خاطر الشر

وأما الفصل الثاني فاذا أردت أن تعرف الفرق بين خاطر الشر الذي يكون من قبل الشيطان أو من قبل هوي النفس أو من الله ابتداء فانظر فيه من ثلاثة أوجه (أحدها) انك اذا وجدته مصمما على حالة واحدة فاعلم انه من هوي النفس أو من الله ابتلاء منه تعالى . وان وجدته مترددا مضطربا فاعلم أنه من الشيطان (ثانيها) انك اذا وجدته عقيب ذنب أحدثت فاعلم انه من الله تعالى اهانة وعقوبة من شؤم ذلك الذنب. وان كان الخاطر مبتدأ بأن لم يكن عقيب ذنب كان منك فاعلم انه من قبل الشيطان (والثالث) انه ان وجدته لايضعف ولايقل بذكر الله ولايزال فهو من هوي النفس. وان وجدته يضعف ويقل بذكر الله فهو من الشيطان

وأما الفصل الثالث فاذا أردت معرفة الفرق بين خاطر الخير هل هو من الله أو من الملك فالنظر في ذلك من ثلاثة أوجه (الاول) ان كان قويا مصمماً فهو من الله . وان كان متردداً فهو من الملك اذ هو بمنزلة الناصح يدخل معك من كل وجه ويعرض عليك كل نصح رجاء اجابتك ورغبتك فى الخير (والثانى) ان كان عقب اجتهاد منك وطاعة فهو من الله . وان كان مبتدأ فهو من الملك فى الغالب (والثالث) ان كان فى الاصول والاعمال الباطنة فهو من الله . وان كان في الفروع والاعمال الظاهرة فهو من الملك فى الاكثر

وأما خاطر الخير الذي يكون من قبل الشيطان استدراجاً الى الشر فقد قال الشيخ رحمه الله تعالى انظر فاذا وجدت نفسك فى ذلك الفعل الذي خطر ببالك مع نشاط لامع خشية ومع عجلة لامع تأن ومع أمن لامع خوف ومع عمى العاقبة لامع بصيرة فاعلم انه من الشيطان

فاجتنبه . وان وجدته مع خشيه لامع نشاط ومع تأن لامع عجلة ومع خوف لامع أمن ومع بصيرة العاقبة لامع عمى فاعلم انه من الله أو من الملك وكان النشاط خفة من الانسان للفعل من غير بصيرة وذكر ثواب ينشطه فى ذلك * وأما التأنى فمحمود الا فى مواضع معدودة . قال صلى الله عليه وسلم العجلة من الشيطان الا في خمسة مواضع تزويج البكر اذا أدركت . وقضاء الدين اذا وجب . وتجهيز الميت اذا مات . وقرى الضيف اذا نزل . والتوبة من الذنب اذا أذنب * وأما الخوف فيحتمل أن يكون فى اتمام أدائه على وجهه وحقه قبول الله اياه * وأما بصيرة العاقبة بأن يتبصر ويتيقن انه خير ورشد ومحتمل للثواب في العقبى ورجائه فامعن النظر يا أخي فى هذه الفصول الثلاثة التي لزمتك معرفتها فانها من العلوم اللطيفة . والاسرار الشريفة والله الموفق بفضله

وأما حيلة المخادعات ومكائد الشيطان فى فعل الطاعات مع ابن آدم فعلى سبعة أوجه (أحدها) أن ينهاه عنها فان عصمه الله وتمكن من دفعه ورده عنه بأن قال انى محتاج الى ذلك جداً اذ لابد لى من التزود من هذه الدنيا الفانية للآخرة التي لا انقضاء لها ثم يأمره بالتسويف فان عصمه الله ورده بأن قال ليس الاجل بيدي على انى ان سوفت عمل اليوم الى غد فعمل غد متي أفعله فان لكل يوم عملا فيأمره الشيطان بالعجلة فيه فيقول له عجل عجل فان عصمه الله ورده بأن قال قليل العمل مع التمام خير من كثيره مع النقصان فيأمره الشيطان بتمام العمل مراآة للناس فان عصمه الله ورده بأن قال ما الذي أعمل بمراآة الناس أفلا يكفى رؤية الله فيريد الشيطان أن يوقعه في العجب فيقول ما أعظمك وأيقظك فان عصمه الله ورده بأن قال المنة لله تعالى فى ذلك دونى وهو الذي خصني بتوفيقه وجعل لعملى قيمة عظيمة بفضله ولولا فضله فماذا كانت قيمة هذا العمل فى جنب نعمة الله تعالى وجنب معصيتي له فيأتيه من وجه سادس وهو أعظمها فيقول له اجتهد فى السر فان الله سيظهره وأراد بذلك ضرباً من الريا فان عصمه الله ورده بأن قال ياملعون الى الآن كنت تأتيني من وجه افساد عملى والآن تأتيني من وجه اصلاحه لتفسده انما أنا أعبد الله تعالى وهو سيدي ان شاء أظهر وان شاء أخفى وان شاء جعلني خطيراً وان شاء جعلني حقيراً وما أبالى ان أظهر ذلك للناس أم لم يظهره فليس بأيديهم شيء فيأتيه من وجه سابع ويقول لاحاجة لك الى هذا العمل لانك ان خلقت سعيداً لم يضرك ترك العمل وان خلقت شقياً لم ينفعك فعله فان عصمه الله ورده بأن قال انما أنا عبده وعلى العبد امتثال أمر العبودية والرب أعلم بربوبيته يحكم مايشاء ويفعل مايريد ولانه ينفعني عملى كيف ما كنت لاني ان كنت سعيداً احتجت لزيادة الثواب وان كنت شقياً فأنا محتاج

اليه كلا ألوم نفسي على أن الله لايعاقبني على الطاعة بكل حال ولايضرني على اني ان دخلت النار وأنا مطيع أحب الى من أن أدخلها وأنا عاص وكيف ووعده حق وقوله صدق وقد وعد على الطاعة بالثواب فمن لقيه على الايمان والطاعة لايدخل النار ألبتة ودخل الجنة لالاستحقاقه بعمله الجنة ولكن لوعده الصادق فلهذا المعنى أخبر الله عن السعداء اذ قالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده فتيقظ رحمك الله واستعن بالله تعالى واستعذ به من الشيطان فان الامر كله بيده وحسبك والشيطان ماقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون . فهذا أشرف الخلق وأفضلهم وأعقلهم وأعلمهم احتاج الي أن يستعيذ بالله من شر الشيطان فكيف بك مع جهلك وغفلتك

(العائق الرابع النفس) فعليك عصمنا الله واياك بالحذر من هذه النفس الامارة بالسوء فانها هي المطية ولامطمع لك فى موافقتها اذهي مجبولة على ضد الخير كالهوي واتباعها له وحسبك فيها ماتشاهده من حالها وسوء اختيارها فهى فى حال الشهوة بهيمة وفي حالة الغضب سبع وفي حالة المصيبة تكون طفلا وفي حال النعمة تراها فرعون وفى حالة الجوع تراها مجنونة وفي حالة الشبع تراها مختالة ان أشبعتها بطرت ومرحت وان أجعتها صاحت وجزعت فتحتاج اذاً أن تلجمها بلجام التقوي لتنقاد فلاتطغى وتستعملها فى المصالح والمراشد وتمنعها من المهالك والمفاسد فانها أضر الاعداء وبلاؤها أصعب البلاء وعلاجها أعسر الاشياء ودواؤها أشكل الدواء وانما ذلك لامرين (أحدهما) انها عدو من داخل (والثانى) انها عدو محبوب واذا نظرت وجدت ان أصل كل فتنة وفضيحة وهلاك وذنب وآفة وقع فى خلق الله من أول الخلق الى يوم القيامة من قبل هذه النفس امابها أو بمعاونتها ومشاركتها ومساعدتها فأول معصية كانت من ابليس . ثم ذنب آدم وحواء الظاهرى . ثم حديث هابيل وقابيل ثم لا تجد في الخلق فتنة الا كانت من قبل النفس

(فان قلت) فما الحيلة الآن لنا فى هذا العدو وما التدبير في أمره (فأقول لك) اعلم ان أمرها صعب اذلايمكن قهرها مرة كسائر الاعداء اذ هى المطية والآلة ولايمكن اهمالها مرة لامكان ضررها فتحتاج الى طريق بين الطريقين تربيها وتقويها بقدر ماتحتمل فعل الخير وتضعفها وتخوفها على حد لاتتمادي فانت فى أمرها فى علاج شديد ونظر لطيف فتلجمها بلجام التقوى والورع لتحصيل الفائدتين جميعاً

(فان قلت) ان هذه الدابة جموح وبهيمة صعبة لاتنقاد بلجام فما الحيلة فيها (فاقول)

إنه لاحيلة فيها الا ما قال علماؤنا رحمهم الله تعالى وهو ان النفس انما تذل وتنكسر وتضعف عن هواها بثلاثة أشياء (أحدها) منع الشهوات (والثاني) حمل أثقال العبادة (والثالث) الإستعانة بالله والتضرع اليه أما تسمع قول يوسف عليه السلام وما أبرىء نفسي ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي فإن واظبت على هذه الامور الثلاثة انقادت لك النفس الجموح باذن الله تعالى فتلجمها بلجام التقوى

وبيان ذلك أن تعلم أن التقوى كنز عزيز فلئن ظفرت به فكم تجد فيه من جواهر نفيسة وملك عظيم وكأن خيرات الدنيا والآخرة جمعت وجعلت تحت هذه الخصلة الواحدة التي هي التقوى . ولهذا قال بعض الصالحين لما قيل له أوصني قال أوصيك بوصية رب العالمين للاولين والآخرين فلا تنس نصيبك أيها الرجل منها وتأمل ما في القرآن من ذكرها . كم علق عليها من خير . وكم وعد عليها من ثواب . وكم أضاف اليها من سعادة

وها أنا أسرد عليك من جملتها اثني عشرة خصلة (أولها) المدح والثناء قال تعالى وان تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور (الثاني) الحفظ والحراسة من الإعداء قال تعالى وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً (الثالث) التأييد والنصر قال الله تعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون (الرابع) النجاة من الشدائد والرزق الحلال قال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب (الخامس) إصلاح العمل قال تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً يصلح لكم أعمالكم (السادس) غفران الذنوب وتكفير السيئات قال تعالى ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم من سيئاتكم (السابع) محبة الله تعالى قال تعالى ان الله يحب المتقين (الثامن) القبول قال تعالى انما يتقبل الله من المتقين (التاسع) الاعزاز والاكرام قال تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم (العاشر) البشارة عند الموت قال تعالى الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة (الحادي عشر) النجاة من النار قال تعالى ثم ننجي الذين اتقوا (الثاني عشر) الخلود في الجنة قال تعالى أعدت للمتقين فظهر لك ان كل خير وسعادة في الدنيا والآخرة انما هو بسبب التقوى فلا تنس نصيبك منها

ثم ان مدار العبادة على ثلاثة أصول (أحدها) التوفيق للعمل أولا حتى يعمل (والثاني) الاصلاح للتقصير فيه حتى يتم ويتمم (والثالث) القبول ثانياً ثم . وهذه الثلاثة هي التي يتضرع فيها العابدون الى الله سبحانه وتعالى ويسألونه فيقولون ربنا وفقنا لطاعتك وأصلح

تغفر لنا وتقبل منا وقد وعد الله بذلك كله على التقوى وأكرم بها التقى سأل أم لم يسأل فمليك بها ان أردت العبادة بل ان أردت السعادة فى الدنيا والاخرى وقد حض الله سبحانه وتعالى عليها وأكثر من ذكرها وأوصى بها فقال تعالى ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله والله سبحانه أعلم بمصالح العبد وأرأف به وأرحم من كل راحم فلو كان هناك خصلة هي أصلح للعبد وأجمع للخير وأعظم للأجر وأجل فى العبودية وأولى بالحال وأنجح للمآل من هذه الخصلة التي هي التقوى لكان أمره بها أولى أكثر من ذكر هذه الخصلة والوصية بها والحث عليها وترتيب السعادة عليها دنيا وأخرى علم أنها هي الغاية القصوى التي لا متجاوز عنها ولا مقصود دونها وانه سبحانه قد جمع كل نصح ودلالة وارشاد وتنبيه وتأديب وتعليم وتهذيب في هذه الوصية الواحدة التي هي التقوى وهي الجامعة لخيرى الدنيا والآخرة والكافية لجميع المهمات والمبلغة الى أعلى درجات العبودية لان التقوى فى قول شيوخنا رحمهم الله تعالى تنزيه القلب عن ذنب لم يسبق منك مثله وذلك لان لفظ التقوى في اللغة أصله الوقوى بالواو وهو مصدر الوقاية يقال وقى يقى وقاية فابدلت الواو كما فى الوكالة ونحوها تاء فقيل تقوى فاذا حصلت الوقاية بين العبد وبين المعاصي بقوة عزمه على تركها وتوطين قلبه على ذلك وصف العبد حينئذ بانه متق ويقال لذلك التنزيه والعزم والتوطين تقوى وتطلق التقوى فى القرآن على ثلاثة أشياء (أحدها) بمعنى الخشية والهيبة ومنه بهذا المعنى قوله تعالى وإياي فاتقون (والثاني) بمعنى الطاعة والعبادة ومنه بهذا المعنى قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته (والثالث) بمعنى تنزيه القلب عن الذنوب وهذا معنى حقيقة التقوى دون الاطلاقين الاولين ويدل على ذلك قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون فذكر الطاعة والخشية ثم عطف على ذلك التقوى والاصل فى العطف أن يكون للمغايرة فيدل على أن التقوى غير الطاعة والخشية وهي تنزيه القلب كما ذكرناه

ثم ان التقوى لها ثلاث مراتب تقوى عن الشرك وتقوى من البدعة وتقوى عن المعاصي الفرعية وقد ذكرها الله سبحانه فى آية واحدة وهى قوله تعالى ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا الآية فالتقوى الاولى التقوى عن الشرك والايمان الذي ذكر معها فى مقابلة التوحيد والتقوى الثانية التقوى عن البدعة والايمان الذي ذكر معها فى مقابلة الاقرار بالسنة والجماعة والثالث التقوى عن المعاصي الفرعية فالاقرار فى هذه المنزلة مقابل بالاحسان وهو الطاعة والاستقامة عليها فهذه الآية جمعت منازل التقوى من السعادة

منزلة الايمان ومنزلة السنة ومنزلة الاستقامة وكذلك التقوي بمعني اجتناب فضول الحلال لقوله عليه الصلاة والسلام انما سمي المتقون متقون لتركهم مالاباس به حذراً عما به باس

ثم ان التقوي اجتناب كل ماتخاف منه ضرراً في دينك • ثم ان الذى يخاف منه الضرر فى أمر الدين قسمان محض الحرام وفضول الحلال لان الاشتغال بفضول الحلال والانهماك فيه يجر صاحبه الى الحرام وذلك لشدة النفس وطغيانها وتمرد الهوى وعصيانه ثم ان العبادات شطران شطر للاكتساب وشطر للاجتناب فالاكتساب فعل الطاعة والاجتناب الامتناع عن المعاصي والسيئات وهو التقوي وان شطر الاجتناب على كل حال أسلم وأصلح وأفضل وأشرف للعبد من شطر الاكتساب ولذلك يشتغل المتعبدون من أهل العبادة الذين هم فى أول درجة الاجتهاد بشرط الاكتساب جل همتهم بأن يصوموا نهارهم ويقوموا ليلهم ويشتغل المنتهون أولو البصائر من أهل العبادة بشطر الاجتناب فأعظم همتهم أن يحفظوا قلوبهم عن الميل الي غير الله تعالي وبطونهم عن الفضول والسنتهم عن اللغو وأعينهم عن النظر الى مالايعنيهم فاذا علمت أن جانب الاجتناب أولى بالرعاية والاجتهاد فقد حصل لك الشطران جميعاً الاكتساب والاجتناب فحينئذ استكمل أمرك وحصل مرادك وسلمت وغنمت وان لم تبلغ الا الى أحدهما فليكن ذلك جانب الاجتناب فتسلم ان لم تغنم والا خسرت الشطرين جميعاً ولم ينفعك قيام الليل • تعبه ثم تحبطه بارادة واحدة وما يغنيك صيام نهار طويل ثم تفسده بكلمة واحدة * وأما حد التقوي على موضوع العلم الشرعى فهو الحد الجامع وهو تنزيه القلب عن شر لم يسبق مثله بقوة عزم على تركه حتي يصير ذلك وقاية بينك وبين كل شر لان الشر قسمان أصلى وغيرأصلى (فالاصلى) هومانهى عنه نهي تحريم كالمعاصى المحضة (وغيرالاصلى) وهومانهى عنه تأديباً وهو فضول الحلال كالمباحات المأخوذة بالشهوات فالاولى تقوي فرض يلزم بتركها عذاب النار • والثانية تقوى زجر وأدب يلزم بتركها الحبس والحساب أوالتعيير واللوم فمن اتصف بالتقوي عن الاولى فهوفى الدرجة الدنيا وهى منزلة المستقيمين علي الطاعة • ومن اتصف بالتقوى عن الثانية فهو في الدرجه العليا وهي منزلة تارك المباح فان جمع العبد بينهما واتصف بهما معا فقد استكمل معني التقوي وتام بحقيها وجمع كل خير فيها وهذا هو الورع الكامل الذي هوملاك أمر الدين وذلك منزلة الادب على باب الله تعالى فمن أراد أن يتقى الله تعالى فليراع الاعضاء الخمسة فانها الاصول وهي العين والاذن واللسان والقلب والبطن • أما العين فراعاتها بان تسلم

ان مدار أمور الدنيا والدين على القلب وخطأ القلب وشغله وفساده في الاكثر من العين . ولذلك قال سيدنا علي رضي الله عنه من لم يملك عينه فليس القلب عنده فيذ فعليك وفقك الله بحفظها فانها سبب كل فتنة وآفة

واذكر في أمرها ثلاثة أصول (أحدها) كما قال تعالى قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون . فتأمل في هذه الآية فان فيها مع وجازتها معاني غزيرة . تأديباً . وتنبيهاً . وتهديداً * فأما التأديب فقوله قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ولابد للعبد من امتثال أمر سيده . وأما التنبيه فقوله تعالى ذلك أزكى لهم والتزكية لها اطلاقات فتطلق على التطهير وعلى النماء وعلى المدح وكل من هذه المعاني مراد في الآية فقد نبه تعالى الى تطهيرهم ومدحهم بترك النظر وكف البصر لان الشخص ان لم يغض بصره وأرخى عنانه ونظر الى مالا يعنيه فلا يخلو من أن تقع عينه على حرام وقد قيل . رب نظرة أوقعت في حسرة . فان تعمد واستدام النظر فذنب كبير وربما تعلق قلبه بذلك فهلك فيأتيه الوسواس والخواطر بسبب ذلك فان غض بصره وترك مالا يعنيه كان نقي الصدر فارغ القلب مستريحا عن كثير من الوساوس سالم النفس من الآفات متزايداً في الخيرات . وأما التهديد فقوله تعالى (ان الله خبير بما يصنعون) وقوله (يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور) وكفى بهذا تحذيراً لمن خاف مقام ربه (الاصل الثاني) منها قوله صلى الله عليه وسلم ان النظرة الى محاسن المرأة سهم من سهام ابليس فمن تركها أذاقه الله طعم العبادة (الاصل الثالث) منها أن تنظر لكل عضو من أعضائك يصلح لماذا وتنظر له لماذا فعل بحسب ذلك وتصونه وتحفظه فالرجل للمشي في رياض الجنة وقصورها . والايادي لكاس الشراب وتناول الاثمار والعين انما هي للنظر الي رب العالمين وليس في الدارين كرامة أجل وأكبر من ذلك وكذلك في سائر الاعضاء فتأمل فيها

وأما الاصل الثاني من الخمسة فالاذن فعليك بصيانتها عن الخنا والفضول . وذلك لامرين (أحدهما) ماروي أن المستمع شريك المتكلم (والثاني) ان ذلك يهيج خواطر الوسواس في القلب ثم من ذلك يبدو الاشتغال في البدن فما بقي في العبادة شيء *واعلم ان الكلام الذي يقع في قلب الانسان وسمعه بمنزلة الطعام الذي يقع في الجوف فمنه ضار ومنه نافع ومنه غذاء ومنه سم بل ان ابقاء الكلام وتجرعه أكثر وأبلغ من الطعام فان الطعام يزول عن المعدة وربما يبقى أثره زمناً ثم يزول وله دواء يزيل أثره من جسم الانسان . وأما الكلام الذي يقع في قلب الانسان ويجرى به اللسان فانه يبقى معه جميع

عمره ولا يزال يتعبه ويعييه ويردد بسببه الخواطر فى القلب والوسواس فيحتاج أن يعرض عنها ويشغل بقلبه عن تذكرها ويستعيذ بالله من شرها

وأما الأصل الثالث منها فاللسان ومراعاته بأن تعلم ان فيه ربحك وغنيمتك وثمرة تعبك واجتهادك كله وأن خطر الطاعة والعبادة وافسادها فى الاكثر من قبل اللسان بالتصنع والتزين والثنية ونحوها يتلف عليك بلفظة واحدة ماتتعب فيه سنين كثيرة. ولهذا قيل ليس شئ أحق بطول السجن من اللسان فعليك بحفظه وضبطه وتقييده فانه أشد الأعضاء جماحاً وطغيانا وأكثرها فساداً وعدواناً . ولقد روينا عن سفيان انه قال قلت يارسول الله ما أكثر ماتخاف علىّ فأخذ عليه السلام بلسان نفسه ثم قال هذا فعليك اذاً بحفظه جداً وبذل المجهود فى ضبطه

ونذكر خمسة أصول (أحدها) قوله صلى الله عليه وسلم ان ابن آدم اذا أصبح بكرة بادرت أعضاؤه كلها الى اللسان وقالت له ننشدك الله أن تستقيم فانك اذا استقمت استقمنا وان اعوججت اعوججنا وذلك لان نطق اللسان يؤثر فى اعضاء الانسان بالتوفيق والخذلان (والاصل الثانى) منها حفظ وقتك فان أكثر مايتكلم به الانسان من غير ذكر الله فعلى الاقل يكون لغواً وتضييعاً للوقت به (والاصل الثالث) منها حفظ الاعمال الصالحات فان من لم يصن لسانه وكثر كلامه يقع لامحالة فى غيبة الناس كما قيل من كثر كلامه كثر سقطه (والاصل الرابع) منها السلامة من آفات الدنيا على ماقال سفيان لا تتكلم بلسانك ماتكسر به اسنانك. وقال سيدنا علي رضي الله عنه ماخلق الله فى الانسان أفضل من اللسان به يدخل الجنة وبه يدخل النار احفظ لسانك فانه كلب عقور ٭ واعلم ان الله تعالى أمر المؤمنين بحفظ خمسة أشياء . اللسان بقوله تعالى (واحفظوا أيمانكم) وبقوله (واذا قلتم فاعدلوا) والعين بقوله تعالى (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) والفرج بقوله تعالى (ويحفظوا فروجهم) والحدود بقوله تعالى (والحافظون لحدود الله) والصلوات بقوله تعالى (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى) . (والاصل الخامس) ذكر آفات الدنيا وعوائقها وان الانسان اذا تكلم بكلام فلايخلو اما أن يكون حراماً محظوراً أومباحاً من الفضول الذي لايعنيه . فلئن كان الأول فيترتب عليه العذاب والعقاب وقد قال صلى الله عليه وسلم ليلة أسري بي نظرت فى النار أقواماً يأكلون الجيف فقلت ياجبريل من هؤلاء. قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس . وعن أبى قلابة ان فى الغيبة خراب القلب من الهوى فنسأل الله العصمة من ذلك بفضله . وان كان الثانى ففيه أربعة أمور ٭ أحدها اشتغال الكرام الكاتبين بما لاخير فيه وحق المرء أن يستحي منهم ولايؤذيهم . والثانى ارسال

الصحيفة التي تعرض على الله تعالى من اللغو والهذر. والثالث قراءتها بين يدي الله سبحانه يوم القيامة على رؤس الخلائق. والرابع اللوم والتعيير لماذا قلت وانقطاع الحجة والحياء من رب العزة (وأما الاصل الرابع) منها القلب ومراعاته ان تعلم انه الاصل الجامع لجميع الاعضاء وانه اذا صلح صلح جميع الجسد واذا فسد فسد جميع الجسد لانه الشجرة وسائر الاعضاء أغصان ومن الشجرة تشرب الاغصان وانه الملك وسائر الاعضاء تبع له فاذا صلاح العين واللسان والبطن وغيرها دليل على صلاح القلب وعمرانه. واذا رأيت في شيء من الاعضاء خللا وفسادا فاعلم أن ذلك سببه خلل وفساد في القلب واذا كان كذلك فينبغي العناية في اصلاحه اذ صلاح الكل مترتب على صلاحه فاذا أصلحته استرحت ولم تحتج الي اصلاح غيره ثم ان أمره دقيق جداً لانه مبني على الخواطر وهي ليست اليك والامتناع من اتباعها بجهود طاقتك تتيه أقصى المشقة ولهذا المعنى صار صلاحه أشد علي أهل الاجتهاد والاهتمام بأمره أكثر وأكبر عند ذوي البصائر فعليك بحفظه واصلاحه وحسن النظر في ذلك وبذل الجهد فانه أعظم هذه الاعضاء خطراً وأكثرها أثراً وأدقها أملا وأشقها اصلاحاً

ولنذكر فيه خمسة أصول مقنعة (الاصل الاول) قوله تعالي يعلم خائنة الاعين وماتخفي الصدور. وقوله تعالى ربكم أعلم بما في نفوسكم فكفى باطلاع العليم تحذيراً وتحديداً للخواص من العباد لان المعاملة مع علام الغيوب خطيرة فانظر ماذا تحب أن يعلم من قلبك (الاصل الثاني) قوله صلى الله عليه وسلم ان الله لاينظر الى صوركم وأنسابكم وانما ينظر الى قلوبكم ونياتكم فالقلب اذاً موضع نظر رب العالمين. فياعجباً ممن يهتم بوجهه الذي هو موضع نظر الخلق فيغسله وينظفه ولا يهتم بقلبه الذي هو موضع نظر الرب فيطهره ويزينه بل يهمله ملطخاً بفضائح وأقذار ولواطع الخلق على شيء منها لهجروه وتبرؤا منه وطردوه (الاصل الثالث) ان القلب ملك مطاع ورئيس متبع وان الاعضاء كلها تبع له فاذا صلح المتبوع صلح التابع واذا استقام الملك استقامت الرعية. ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب (الاصل الرابع) ان القلب خزانة كل جوهر نفيس وكل معني خطير أولها العقل وأجلها معرفة الله تعالي التي هي سبب سعادة الدارين ثم البصائر التي بها التقدم والوجاهة عند الله عزوجل ثم النية الخالصة في الطاعات التي بها يتعلق ثواب الابد ثم أنواع العلوم والحكم التي هي شرف العبد وسائر الاخلاق الشريفة والخصال الجيدة التي بها تفاضل الرجال

الاصل الخامس أن للقلب خمسة أحوال ليست لغيره من الاعضاء (أحدها) أن العدو قاصداليه وملازمله (والثاني) ان الشغل به أكثر فان العقل والهوي كليهما فيه فهو معترك العسكرين (والثالث) أن العوارض له أكثر فان الخواطرله كالسهام لاتزال تقع فيه كالمطر وأنت لاتقدر على منعها فتمتنع وليست كالعين التي بين جفنين تغمضها وتستريح ولا كاللسان الذي وراء اللحيين والشفتين تقدر ان تمنعه من الكلام (الرابع) أن علاجه عليك عسير اذهو غائب عنك فلا تكاد تشعر حتى تهرب من آفته فتحتاج أن تبحث عن ذلك وتدقق النظر وتكثر الرياضة لتحدث له حالة حسنة (والخامس) أن الآفات اليه أسرع وهو الى الانقلاب أقرب فزلاته أعظم ووقوعه أصعب وأنفع أدناه قسوة ومنتهاه كفر والعياذ بالله أماسمعت قوله تعالى أبي واستكبر وكان من الكافرين وكان الكبر بالقلب فحمله على الاباء والكفر في الظاهر وقوله تعالى ولكنه أخلد الى الارض واتبع هواه فالميل واتباع الهوي بالقلب فحمله ذلك على الذنب المشؤم أما سمعت قوله تعالى (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون فلهذا خاف عباد الله الخواص على قلوبهم وبكوا عليها وقال تعالي في وصفهم يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والابصار)

ثم اعلم ان للقلب موتا وحياة فعلامة حياته اشراق نور العقل فيه فينشرح الصدر فتخمد النفس وتنقمع شهوتها الباطنة والظاهرة . وتري العبد اذا كان ميت القلب كاسف البال سيء الفعال مضطرباً في أفعاله عليه وحشة منقاداً بزمام الهوي * ثم ان موت القلب هذا قديكون من أصل خلقته وقد يكون لمايطرأعليه من الاحوال السيئة المميتة للقلب وتري القلب الميت من أصل خلقته وهو القاسي الذي لايلين ولا يخشع ولا يألف ولا يرحم وصاحبه رديء النفس وليس له استئناس بالباطن فيكره الوحدة ويميل للاجتماع ويحب الهذر والفضول والقيل والقال وتري صاحب القلب الحي رحيما ديناً سهلا قريباً الفاً مألوفا مستأنساً بالباطن محباً للوحدة كارها للاجتماع ويكره الهذر والفضول والقيل والقال ويبشر صاحبه أن قلبه موضع نظر الرب وخزانة الحكم

ثم انا نظرنا الاشياء التي لابد من ذكرها في علاج القلب والحاجة الهامة وداعية فوجدناها أربعة أمور وهي ملاحظة العابدين . وآفات المجتهدين . وفتن القلوب . وبلية النفوس تعوق وتشين وتفسد وتتلف . وأربع في مقابلتها وهي قوام العبادة وانتظام العبادة وأصلاح القلوب . فالآفات الاربع الامل والحسد والاستعجال والكبر . وأما ماقابل الاربع فقصر الامل . والتأني في الامور . والنصيحة . والتواضع . فهذه هي الاصول

فى اصلاح القلوب وفسادها والنكتة التي عليها المدار فليبذل المجهود فى التحرز عن هذه الآفات . أما طول الامل فانه العائق عن كل خير وطاعة الجالب لكل شر وفتنة وانه الداء العضال

واعلم انك اذا طال أملك هاج لك منه أربعة أشياء ترك الطاعة والكسل فيها تقول سوف أفعل والايام بين يدي . وترك التوبة وتسويفها تقول سوف أتوب وفى الايام سعة وأنا شاب والتوبة بين يدي وأنا قادر عليها متى أردتها . والحرص على الجمع والاشتغال بالدنيا عن الآخرة تقول أخاف الفقر في الكبر وربما أضعف عن الاكتساب ولابدلى من شيء وهذا وأمثاله يحرك الى طلب الدنيا والرغبة فيها . وقسوة القلب ونسيان الآخرة لانك اذا أملت العيش الطويل لا تذكر الموت ولا القبر قال صلى الله عليه وسلم ان أخوف ما أخاف عليكم اثنان طول الامل واتباع الهوي ألا وان طول الامل ينسى الآخرة واتباع الهوي يضل عن الحق وانما رقة القلب وصفاؤه بذكر الموت والقبر والثواب والعقاب وأحوال الآخرة فان لم يكن شيء من ذلك فمن أين يكون في القلب رقة أوصفاء قال تعالى فطال عليهم الامد فقست قلوبهم فاذا طولت أملك قلت طاعتك وتأخرت توبتك وكثرت معصيتك واشتد حرصك وقساقلبك وعظمت غفلتك عن العاقبه فذهبت والعياذبالله * وأما اذا قصرت أملك وقربت نفسك من الموت وتذكرت أحوال أقرانك واخوانك الذين غصبهم الموت فى وقت لايحتسبونه فلعل حالك مثل حالهم . قال عوف بن عبدالله كم من مستقبل يوماً لم يستكمله ومنتظر غداً لم يدركه لو رأيتم الاجل ومسيره لابغضتم الامل وغروره . وقال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه أما تعجبون من أسامة المشتري الوليدة بشهرين ان أسامة لطويل الامل والله ماوضعت قدماً فظننت انى أرفعها ولا لقمة ألقمها فظننت انى أسيغها حتي يدركني الموت والذي نفسي بيده انما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين * فاذاً أنت أيها الرجل ان تذكرت هذه الامور وواظبت على تذكرها بالاعادة والتكرار قصر أملك وزالت عنك القسوة وبدت لك الرقة والصفوة واستشعرت عندذلك الخوف من الله تعالى والخشية فيستقيم لك أمر عبادتك . قال صلى الله عليه وسلم أكثروا من ذكر هاذم اللذات فانه ماذكر في قليل الا كثره ولافى كثير الا قلله . قال العلماء رحمهم الله تعالى ماذكر فى قليل أى من العمل الا كثره ولافي كثير أي من الامل الاقلله

وأما الحسد فانه مفسد للطاعة باعث على الخطيئة فانه الداء العضال الذى ابتلى به كثير من القراء والعلماء والفضلاء حتى أهلكهم وأوردهم النار * واعلم ان الحسد يهيج خمسة

أشياء (أحدها) افساد الطاعة . قال صلى الله عليه وسلم الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب (الثاني) فعل المعاصي والشر . قال وهب للحاسد ثلاث علامات يتملق اذا شاهد ويغتاب اذا غاب ويشمت بالمصيبة . وحسبك ان الله تعالى أمر بالاستعاذة من شر الحاسد فقال تعالى ومن شر حاسد اذا حسد (والثالث) التعب والغم من غير فائدة (والرابع) عمى القلب حتى لايكاد يفهم حكما من أحكام الله عز وجل (والخامس) الحرمان والخذلان فلايكاد يظفر بمراده ولاينصر على عدوه

وأما الاستعجال والترفه فانه الخصلة المفوتة للمقاصد الموقعة في المعاصي اذ يترتب عليها آفات أربعة (أحدها) أن يقصد العابد منزلة في الخير والاستقامة وربما يستعجل في نيلها قبل حصول أوانها فاما أن يفتر وييأس فيترك الاجتهاد فيحرم تلك المنزلة واما أن يغلو فى الاجتهاد واتعاب النفس فينقطع عن تلك المنزلة فهو بين افراط وتفريط وكلاهما نتيجة الاستعجال قال صلى الله عليه وسلم ان ديننا هذا متين فأوغل فيه برفق فان المنبت لا ارضاً قطع ولاظهراً أبقى (والثانى) أن يكون للعابد حاجة يدعو الله فيها ويكثر الدعاء وربما يستعجل الاجابة قبل أوانها فلا يجدها فيفتر ويسأم فيترك الدعاء فيحرم حاجته ومقصوده (والثالث) أن يظلمه انسان فيغضب فيعجل بالدعاء عليه فيهلك مسلم بسببه وربما يجاوز الحد فيقع في معصية وهلاك قال تعالى ويدعو الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا (والرابع) ان أصل العبادة وملاكها الورع والورع أصل النظر البالغ فى كل شيء والبحث التام عن كل شيء وهو بصدده فى أكل وشرب ولبس وكلام وفعل فاذا كان الرجل مستعجلا فى الامور غير متأن لم يحصل له توفيق ولا نظر فى الامور فيقع فى زلل وحرام وشبهة لحق الانسان أن يهتم لها

وأما الكبر فانه خصلة مهلكة قال تعالى أبى واستكبر وكان من الكافرين وليست هذه الخصلة فى منزلة سائر الخصال التي تقدح فى أصل الاعمال وانما تضر بالاصل وتقدح في الدين والاعتقاد واذا قويت وغلبت على الشخص لا تتدارك والعياذ بالله ثم أقل مايهيج منها على صاحبها أربع آفات (احداها) حرمان الحق وعمى القلب عن معرفة آيات الله وفهم أحكام الله قال تعالى كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار (والثانية) المقت والبغض قال تعالى انه لايحب المستكبرين (والثالثة) الجزاء والنكال فى الدنيا والآخرة فان المتكبر لايخرجه الله عن الدنيا حتى يريه الهوان من أراذل أهله وخدمه (الرابعة) النار والعذاب قال تعالى الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني فى واحد منهما أدخلته نار جهنم

أما حقيقة الامل وحـده فهو كما قال العلماء رحمهم الله تعالى انه ارادة الحياة للوقت المتراخي بالحكم وقصر الامل ترك الحكم فيه بأن تقيده بالاستثناء بمشيئة الله تعالى وعلمه في الذكر وشرط الصلاح في الارادة فاذا ذكرت حياتك بأنك تعيش بعد نفس ثان أو ساعة ثانية أو يوم ثان بالحكم والقطع فانك آمل وذلك منك معصية لان ذلك حكم على الغيب فان قيدته بالمشيئة والعلم من الله تعالى فتقول أعيش ان شاء الله أو ان علم الله أن أعيش فقـد خرجت عن حكم الامل وكذلك ان أردت حياتك لوقت ثان قطعاً فانت آمل فان قيدت ارادتك بشرط الصلاح خرجت عن حكم الامل ووصفت بقصر الامل وحينما تركت الحكم فيه فعليك بترك الحكم في ذكر البقاء وارادته والمراد بالذكر ذكر القلب ثم المراد منه حينئذ التوطين على ذلك وتثبيت القلب عليه فافهم ذلك ترشد ان شاء الله تعـالى

ثم ان الامل ضربان أمل العامة وأمل الخاصة • فأمل العامة أن تريد حياة الدنيـا والبقاء لجمع الدنيا والتمتع بها وهذه معصية محضة وضدها قصر الامل قال تعالى ويلههم الامل فسوف يعلمون • وأمل الخاصة هو أن تريد البقاء لاتمـام عمل خير فيه خطر وهو مالا يستيقن الصلاح له فيه فانه ربمـا يكون خيرا ولا يكون فيه صلاح فيقيد ذلك الاتمـام بالاستثناء وبشرط الصـلاح ليتخلص من طول الامل قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تقولن لشيء أني فاعل ذلك غـداً الا أن يشاء الله وضد هذا الامل فيما قال العلماء النية المحمودة لان الناوى بالنية المحمودة يكون ممتنعاً من الامل والنية المحمودة هي ارادة الاخذ فى عمل مبتدئاً به قبل سائر الاعمال بالحكم مع ارادة اتمـامه بالتفويض والاستثناء (فان قيل) لم جاز الحكم فى الابتداء ووجب التفويض والاستثناء فى الاتمام (فالجواب) ان الابتداء ليس فيه خطر اذ ليس هو شيئاً متراخياً والاتمـام فيه خطر لانه يقع فى وقت متراخ ففيه حينئذ خطران خطر الوصول وهو انه لايدري هل يصل الى ذلك أم لا وخطر الفساد وهو أنه لايدري هل فيه صلاح أم لا فاذا وجب الاستثناء لخطر الوصول والتفويض لخطر الفساد فاذا حصلت الارادة على هـذا الشرط تكون النية حينئذ محمودة فيتخلص بها من الامل وآفاته

واعلم ان حصن قصر الامل ذكر الموت وحصن حصنه ذكر فجأة الموت وأخذه على غرة • وأما الحسد فحقيقته ارادة زوال نعمة الله عن الغير مما له فيه صلاح فان لم يرد زوالها عنه ولكن أراد مثلها لنفسه سمي ذلك غبطة وعلى هذا حمل قوله صلى الله عليه وسلم لاحسـد الا فى اثنين أي لاغبطة وضد الحسد النصيحة وهي ارادة بقاء نعمة الله

على المداعبة له فيه صلاح (فان قيل) كيف يعلم ان له فيه صلاحا أو فساداً (فاعلم) إنه قد يكون لنا غالب الظن بذلك وغلبة الظن تجرى مجرى العلم فى كثير من الاحكام وهذا الموضع منها وحصن النصيحة المانع من الحسد ذكر ما أوجب الله من موالاة المسلمين وحصن الحصن ذكر ماعظم الله فى مراعاة حقوقهم ورفع مقداره عند الله تعالى وماله عنده من الكرامة العظيمة فى العقبى وماله من فوائد جايلة فى الدنيا من التعاون والتظاهر والموازرة والجمعة والجماعة ومايرجو من الشفاعة فى الآخرة

وأما العجلة فحقيقتها المعنى الراسب في القلب الباعث على الاقدام على الامر بأول خاطر خطر دون التوقف فيه وضدها الاناة وهو المعنى الراسب فى القلب الباعث على الاحتياط فى الامور والتأني فى اتباعها وأما التوقف فضد التعسف . قال الشيخ الفرق بين التوقف والتأنى ان التوقف قبل الدخول فى الامر حتي يتبين له رشده والتأني بعد الدخول فيه حتي يؤدي كل جزء منه حقه

وأما الكبر فهو خاطر في رفع النفس واستعظامها والتكبر اتباعه والضعة خاطر فى وضع النفس واحتقارها والتواضع اتباعه وكل منهما اما عامي أوخاصى فالتواضع العامي هو الاكتفاء بالدون من الملبس والمسكن والمركب والتواضع الخاصي هو تمرين النفس على قبول الحق ممن كان وضيعاً أو شريفاً. ثم حصن التواضع العامي أن تذكر المبتدا والمنتهى وما أنت عليه فى الحال من ضروب الآفات والاقذار وحصن التواضع الخاصي ذكر عقوبة العادل عن الحق المتمادى فى الباطل والتكبر فى مقابلة الترفع عن ذلك وهو معصية كبيرة وخطيئة عظيمة

وأما ألاصل الخامس منها فالبطن ومراعاته بان تعلم أن مقصودك العبادة وأن الطعام بذر العمل ومنه يبدو وينبت واذا خبث البذر لايطيب الزرع بل تفسد الارض بالكلية ولا تصلح أبداً. ولهذا قال سهل رحمه الله تعالى جماع الخير كله في أربعة وبها صارت الابدال ابدالا اخماص البطون والصمت والاعتزال وسهر الليل . فعليك بحفظ البطن واصلاحه فانه أشق الاعضاء اصلاحاً على المجتهدين فيلزمك صيانته عن المحرمات والشبهات أو الاثم عن فضول الحلال ثانياً ان كان لك همة فى عبادة الله . فأما الحرام والشبهة فانه يلزمك الاجتناب عنهما بثلاثة أمور . أولها الحذر من نار جهنم . ثانيها ان آكل الحرام أو الشبهة مطرود غير موفق للعبادة . ثالثها أن آكل الحرام أو الشبهة محروم من فعل الخير وان اتفق له فعل خير فهو مردود عليه فاذا لايكون له من ذلك الا العناء والنكد وشغل الاوقات بما لايجدي قال صلى الله عليه وسلم كم من قائم ليس له من

قيامه الا السهر وكم من صائم ليس له من صيامه الا الجوع والظمأ • وأما فضول الحلال فانه آفة العباد وبلية أهل الاجتهاد • وفيه عشر آفات (الاولى) أن كثرة الاكل تقسى القلب وتذهب نوره. قال صلى الله عليه وسلم لا تميتوا قلوبكم بكثرة الطعام والشراب فان القلب يموت كالزرع اذا كثر الماء عليه (الثانية) ان فى كثرة الاكل فتنة الاعضاء وهيجانها وانبعاثها للفضول والفساد فان الرجل اذا كان شبعان البطن اشتهت عينه النظر الى مالا يعنيه من الحرام والفضول والاذن للاستماع اليه واللسان للتكلم به والفرج للشهوة والرجل للمشي اليه . وان كان جائعاً تكون أعضاؤه ساكنة هادئة لا تطمع فى شيء من ذلك ولا تميل اليه (الثالثة) ان فى كثرة الاكل قلة الفهم والعلم فان البطنة تذهب الفطنة . ولقد صدق الدارانى حيث قال اذا أردت حاجة من حوائج الدنيا والآخرة فلا تأكل حتى تقضيها فان الاكل يغير العقل (الرابعة) ان فى كثرة الاكل قلة العبادة فان الانسان اذا كثر أكله ثقل بدنه وغلبته عينه وفترت أعضاؤه • وقال سفيان العبادة حرفة حانوتها الخلوة وآلتها المجاعة (الخامسة) ان فى كثرة الاكل فقد حلاوة العبادة قال الصديق الاكبر رضى الله عنه ماشبعت منذ أسلمت لاجل حلاوة عبادة ربى وقال الداراني أحلى ماتكون العبادة اذا التزق ظهري ببطني (السادسة) ان فيه خطر الوقوع فى الشبهة والحرام قال صلى الله عليه وسلم ان الحلال لايأتيك الاقوتا والحرام يأتيك جزافاجزافا (السابعة) ان فيه شغلا للقلب والبدن بتحصيله أولا وتهيئته ثانياً وأكله ثالثاً والفراغ منه والتخلص منه رابعاً والسلامة منه خامساً (الثامنة) ماينالة من أمور الآخرة وشدة سكرات الموت ورد فى الاخبار أن شدة سكرات الموت على قدر لذة الحياة فمن اكثر من هذه أكثر من تلك (التاسعة) نقصان الثواب فى العقبى قال تعالى أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون فى الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون (العاشرة) الحبس والحساب واللوم والتعيير فى ترك الادب فى أخذ الفضول وترك الشهوات فان الدنيا حلالها حساب وحرامها عقاب وزينتها الى تباب فعليك أيها المجتهد بالاحتياط البالغ فى أمر القوت والاكتفاء منه بما يقيم صلبك ويعينك على طاعة الله تعالى كيلا تقع فى حرام أوشبهة فيلزمك العذاب ثم بالاقتصار فى الحلال على مايكون عدة وقوة على العبادة فلا تقع في السرف فتبقى فى الحبس والحساب * والحرام كما قال بعض العلماء هو كل ماتيقن كونه لغيره منهى عنه فى الشرع هذا هو الحرام المحض ومالم يتيقن كونه ملكا لغيره ولكن غلب على ظنه أنه ملك للغير فهو شبهة محضة وماتردد فى كونه ملكا للغير أولا بأن شك في ذلك فهو

شبهة غير محضة فالامتناع عن الذي هو حرام محض حتم أي واجب وعن الشبهة بقسميها تقوى وورع

(فان قيل) فما تقول في قبول جوائز السلاطين في هذا الزمان (فاعلم) ان في ذلك خلافا بين العلماء فقال قوم كل ما لا يتيقن انه حرام فله أخذه . وقال آخرون لا يحل أن يأخذ ما لا يتحقق انه حلال لان الغالب في هذا العصر ان أموال السلاطين حرام والحلال في أيديهم معدوم . وقال قوم ان صلة السلاطين تحل للغني والفقير اذا لم يتحقق انه حرام وانما التبعة على المعطى لان النبي صلى الله عليه وسلم قبل هدية المقوقس ملك الاسكندرية واستقرض من اليهودى ولقد أدرك جماعة من الصحابة أيام الظلمة وأخذوا منهم كابي هريرة وابن عباس وابن عمر وغيرهم ومن التابعين كالحسن البصري مع رسوخ قدمه فانه كان يقبل صلة الحجاج والشافعي رضي الله عنه قبل صلة الرشيد

ثم اعلم ان الاموال الحرام التي في أيدي السلاطين لا يمكن ردها الي أربابها ويجب صرفها الى أرباب الضرورات ولا ينبغي اتلافها ورميها فان حصل في يد الصالح شيء من أموال السلاطين فان كان من الحرام فينبغى للصالح أن لا يفوته بل يقبله ويصرفه الى أربابه من هؤلاء المستضعفين فان رده فقد أذهبه وفوته على هؤلاء الضعفاء وقد نهي النبي صلى الله عليه وسلم عمر عن رد معلوم وقال له يا عمر اذا أعطاك الله شيأ من هذا المال من غير مسألة فان كنت محتاجا فتموله وان لم تكن محتاجا فاصرفه الي غيرك

(فان قلت) رد بعض السلف الجوائز (قلنا) ردوا في موضع الرد وأخذوا في موضع الاخذ (فان قلت) فما تقوله في صلة أهل السوق وغيرهم هل يلزم ردها أو البحث عنها وقد علمت مجازفتهم وقلة نظرهم في معاملتهم (فالجواب) انه اذا كان ظاهر الانسان الصلاح والبر فلا حرج في قبول صلته وصدقته ولا يلزم البحث بأن يقال فسد الزمان فان هذا سوء ظن بذلك الرجل المسلم بل حسن الظن بالمسلمين مأمور به .

ثم ههنا شيآن حكم الشرع وظاهره . والثاني حكم الورع وحقه فحكم الشرع أن تأخذ ما أتاك ممن ظاهره الصلاح ولا تسأل الا أن تتيقن انه غصب أو حرام بعينه وحكم الورع أن لا تأخذ من أحد شيأ حتي تبحث عنه غاية البحث او حتي تتيقن انه لا شبهة فيه بحال والا فترده (فان قلت) كيف يكون الورع مخالفا للشرع في حكمه (فاعلم) أن الشرع موضوع على التيسير والسماح ولهذا قال صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السمحاء . والورع موضوع علي التشديد والاحتياط والورع من الشرع وكلاهما في الاصل واحد لكن للشرع حكمان حكم الجواز وحكم الافضل الاحوط فالجائز يقال له حكم الشرع والاحوط يقال له

حكم الورع فهما مع تميزهما شيء واحد في الاصل

ثم اعلم ان طريق الورع شديد ولهذا المعنى سار كثير من أهل الورع والسابقون الى الجبال واقتصروا على أكل الحشيش والثمار التي لاشبهة فيها بحال لانه اذا أقام بين الناس وأكل مما تناوله أيديهم يرى أن ذلك عنده بمنزلة الميتة لايجوز له الاقدام عليها الافي حال الضرورة وبقدر الضرورة وأما من دونهم فلهم احتياط وبحث على مقدار نظرهم ولهم أيضا نصيب من الورع ولهم في ذلك عذر فهذان طريقان للطبقة العليا من أهل الورع

(فان قيل) هذا جانب الحرام فأخبرنا عن جانب الحلال وماحد الفضول الذي يترتب عليه الحبس والحساب وماالمقدار الذي اذا أخذه العبد يكون أدبا ولا يكون فضولا ولاعليه حبس ولاحساب (فاعلم) أن أحوال المباح على ثلاثة أقسام (أحدها) أن يأخذه العبد متاخراً مكاثراً مباهيا مرائياً فيكون الاخذ منه فعلا منكراً يستوجب على ظاهر فعله الحبس والحساب واللوم والتعيير وهو منكر وشر (والثاني) أن يأخذ الحلال لشهوة النفس لاغير فذلك منه شر يستوجب عليه الحبس والحساب (والثالث) أن يأخذ من الحلال في حال العذر قدر مايستعين به على عبادة الله تعالى ويقتصر على ذلك فذلك منه خير وحسنة وأدب لاحساب عليه ولاعقاب بل يستوجب الاجر قال صلى الله عليه وسلم من طلب الدنيا حلالا واستعفافاً عن مسئلة وتعطفاً على جاره وسعياً على عياله جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر (فان قيل) فما شرط المباح حتى يصير خيراً وحسنة (فاعلم) انه يحتاج في كونه خيرا الى شرطين أحدهما الحال والثاني القصد فالحال يجب أن يكون في حال عذر بحيث ان لم يأخذ ذلك المباح ينقطع بسببه عن فرض أو سنة فيأخذ ويكون ذلك أفضل من ترك المباح فان ترك مباح الدنيا فضيلة وأما القصد فهو أن يقصد به العدة والاستعانة على عبادة الله تعالى وانه لولم يكن فيه التوصل الى عبادة الله تعالى لما أخذ

ثم الاستقامة على حفظ هذا الادب تحتاج الى بصيرة وقصد مجمل بأنه لايأخذ من الدنيا بحال الا للعدة على عبادة الله تعالى حتى انه ان سهي عن ذكر الحجة في اجراء ذلك القصد المجمل عند تجديد تلك الحجة صارت الامور الثلاثة معتبرة فيه كل واحد من وجه يعني ان الترك والحال معتبران في حصول كونه خيراً أصلا والقصد المجمل المقتضي عن بصيرة منزل منزلة الادب معتبر في الاستقامة عليه فتأمل ذلك وافهمه (فان قلت) فما هذا الحساب والحبس الذي يلزم العبد في الحلال (فاعلم) أن الحساب أن تسأل يوم القيامة مما كسبت وفيماذا أنفقت ولماذا أردت بذلك والحبس حبس عن الجنة مدة

الحساب بذلك في عرصات القيامة بين أهوالها وشدائدها وكفى بذلك بلية (فان قيل) قد أحل الله لنا هذا الحلال واللوم والتعيير لماذا (فالجواب) ان اللوم والتعيير لتركه الادب كمن أجلس على مائدة ملك فترك الادب فانه يعير بذلك ويلام وان كان الطعام له مباحا في الاصل لان الله تعالى خلق العبد للعبادة فهو عبد الله من كل وجه وحق على العبد أن يعبد الله في كل وجه يمكنه فان لم يفعل ذلك وآثر شهوة نفسه واشتغل عن طاعة ربه مع تمكنه استحق اللوم بذلك والتعيير فنسأل الله تعالى أن يصلح فساد قلوبنا وأن يمدنا بحسن توفيقه واعانته بمنه وكرمه ولطفه وجوده

فاستقبلتك ههنا العقبة الرابعة عقبة العوارض فتحتاج لامحالة الى قطعها وهي أربعة الرزق. والاخطار. والشدائد. وأنواع القضايا. والاشتغال بشيء منها مانع من الاقبال على المقصود من العباد. أما الرزق فالاشتغال به من حيث مطالبة النفس به والاخذ في تحصيله بالسعي والجد والاجتهاد ولا شك ان هذا شاغل مانع من الوصول للمقصود وهذا دواؤه وكفايته بالتوكل فعليك بالتوكل على الله في موضع الرزق لتتفرغ للعبادة ويتيسر لك الخير لان من لم يكن متوكلا لابد له من الاشتغال عن العبادة بسبب الحاجة في الطلب اما ظاهراً كالكسب بالبدن كعامة الراغبين أو باطناً بذكر وارادة بالوسوسة في القلب كالمجتهدين المطلقين والعبادة تحتاج الى فراغ القلب والبدن. ولهذا قال الشيخ أبو محمد رحمه الله ان الامور لا تمشي في العالم الا لرجلين متوكل أو متهور فانه يقصد الامور على قوة عادة وجراءة قلب لايلتفت الى صارف يصرفه ولاخاطر يضعفه. وأما المتوكل فانه يقصد الامور على قوة وبصيرة وكمال يقين لوحدانيته سبحانه والطمأنينة بوعده وتمام الثقة بضمانه فلا يلتفت الى انسان يخوفه ولاشيطان يوسوس له فيفوز بمقصوده. وأما المائق الضعيف فانه يكون بين نكول وتردد وفتور كالحمار في معلفه والدجاج في نقبه يرمق ماتعود من صاحبه لايكاد ينفك عن ذلك تقاعدت نفسه عن معالي الامور وانقطعت همته فلا يكاد يقصد أمراً شريفاً وان قصده فلا يكاد يظفر ولايتم له ذلك ألا ترى أصحاب الهمم من أبناء الدنيا لم ينالوا مرتبة كبيرة الا بانقطاع قلوبهم عن أموالهم وأنفسهم وأهاليهم. وأما الملوك فيباشرون الحروب ويكافحون الاعداء اما هلكوا واما ملكوا. وأما أبناء الآخرة فرأس مالهم هذه الخصلة التي هي التوكل على الله وقطع القلب عن العلائق ولما أحكموها وحصلوها تفرغوا لعبادة الله وتمكنوا من التفرد عن الخلق والسياحة في الارض قال صلى الله عليه وسلم من سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله. ومن سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يده ومن سره أن يكون

أكرم الناس فاتق الله سبحانه وتعالى . وأما الذى اقتضى التوكل على الله فى هذا الشأن فهو مافى تركه الخطر العظيم والامر الكبير أليس الله قرن الرزق بالخلق فقال تعالى (الله الذى خلقكم ثم رزقكم) فدل على ان الرزق من الله لاغير كالخلق ثم لم يكتف بالدلالة حتى وعد وأكد (فقال ان الله هو الرزاق) ثم لم يكتف بالوعد والتأكيد حتى ضمن فقال (ومامن دابة فى الارض الا على الله رزقها) ثم لم يكتف بالضمان حتى أقسم فقال (فورب السماء والارض انه لحق) ثم لم يكتف بذلك حتى أمر بالتوكل فقال (وتوكل على الحي الذي لايموت) وقال (وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين) فمن لم يعتبر ولم يكتف بوعده ولم يطمئن بضمانه ولم يقنع بقسمه ولم يبال بأمره فانظر ماذا يكون حاله فهذه والله مصيبة شديدة ونحن منها في غفلة عظيمة * وعن الحسن قال لعن الله أقواماً أقسم لهم ربهم فلم يصدقوه ولذا قالت الملائكة عند نزول هذه الآية أي قوله فورب السماء والارض انه لحق هالك بنو آدم أغضبوا الرب حتى أقسم لهم على أرزاقهم وقد رؤى رجل من أهل الصلاح فسئل عن حاله فقيل له هل سلمت بايمانك فقال انما يسلم الايمان للمتوكلين نسأل الله أن يصلحنا بفضله ويعاملنا بما هو أهله ولايعاملنا بما نحن أهله

وأما حقيقة التوكل وحكمه ومايلزم العبد منه فى أمر الرزق فانما يتبين لك في أربعة فصول . بيان لفظ التوكل . وموضعه . وحده . وحصنه * فأما اللفظ فهو مصدر من باب التفعل وأصله من الوكالة فالمتوكل على أحد فهو الذي يتخذه بمنزلة الوكيل القائم بأمره الذي يكفيه شؤنه . وأما موضعه فاعلم ان التوكل اسم يطلق على ثلاثة مواضع (أحدها) موضع القسمة وهو الثقة بالله تعالى بأنه لايفوتك ماقسم لك فان حكمه لايتبدل وهذا واجب بالسمع (والثانى) موضع النصرة وهو الاعتماد والتوثق بنصر الله عز وجل لك (والثالث) موضع الرزق والحاجة فان الله متكفل بما يقيم صلبك لخدمته قال عليه الصلاة والسلام سمعت رب العزة سبحانه وهو يقول مامن مخلوق يعتصم بمخلوق دوني الا قطعت بأسباب السموات والارض دونه ان سألني لم أعطه وان دعاني لم أجبه وان استغفرني لم أغفرله . وما من مخلوق اعتصم بي دون خلقي الاضمنت السموات والارض رزقه ان سألني أعطيته وان دعاني أجبته وان استغفرني غفرت له . وقوله تعالى (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) وقال صلى الله عليه وسلم لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خماصاً وتروح بطانا . وهذا فرض لازم للعبد بدليل العقل والشرع جميعاً في موضع التوكل اذاً هو الرزق المضمون فيما قاله العلماء

واعلم أن الرزق أربعة أقسام مضمون ومقسوم ومملوك وموعود . فأما المضمون فهو الغذاء ومابه قوام البنية دون سائر الاسباب فالضمان من الله لهذا النوع والتوكل يجب بإزائه بدليل العقل والشرع جميعاً لان الله كلفنا خدمته وطاعته بأبداننا وضمن لنا مايسد خلل البنية لنقوم بما كلفنا به . والثاني الرزق المقسوم وهو ماقسمه الله سبحانه وكتبه في اللوح المحفوظ وما يأكله ويشربه ويلبسه كل واحد بمقدار مقدر ووقت موقوت لايزيد ولا ينقص ولا يتقدم ولا يتأخر كل ما كتب بعينه . قال صلى الله عليه وسلم الرزق مقسوم ومفروغ ليس تقوى متق تزيده ولا فجور فاجر ينقصه . وأما المملوك فما يملكه كل واحد من أموال الدنيا على حسب ماقدره الله وقسم له أن يملكه وهو من رزق الله تعالى قال تعالى (وأنفقوا مما رزقناكم) أي ملكناكم . وأما الموعود فهو ماوعد الله تعالى به المتقين من عباده بشرط التقوي حلالا من غير كد قال تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب) فهذه أقسام الرزق. والتوكل انما يجب بإزاء المضمون منها فافهم ذلك

وأما حد التوكل فهو كما قال بعض شيوخنا انه اتكال القلب على الله بالانقطاع اليه واليأس عما دونه . وقال الشيخ التوكل هو أن توطن قلبك على ان قوام بنيتك وسد خلتك وكفايتك انما هو من الله عزوجل لا من أحد دونه ولا بحطام من الدنيا ولا بسبب من الاسباب ثم ان الله ان شاء سبب لك مخلوقا أو حطاماً وان شاء كفاك بقدرته دون الاسباب والوسائط فاذا ذكرت ذلك وتوطنت عليه فقد حصل التوكل حقه فهذا حده

وأما حصن التوكل الباعث عليه فهو ذكر ضمان الله تعالى وحصن حصنه ذكر الجلال والكمال في علمه تعالى وقدرته وتنزيهه عن المخلوقات وعما لايليق بجلاله وعظمته فهذه الاذكار باعثة على التوكل على الله في أمر الرزق * قال دخل جماعة على الجنيد فقالوا نطلب الرزق فقال ان علمتم في أي موضع هو فاطلبوه قالوا فنسأل الله تعالى ذلك قال ان علمتم انه نسيكم فذكروه قالوا فندخل البيت ونتوكل فقال التجربة شك قالوا فما الحيلة قال ترك الحيلة

واعلم ان الرزق لايزيد بالطلب ولاينقص بالترك بل هو مكتوب في اللوح المحفوظ مقدر موقوت هذا هو الصحيح عند علمائنا رضي الله عنهم . وقال بعضهم الرزق لايزيد ولا ينقص بفعل العبد ولكن المال يزيد وينقص وهذا فاسد (فان قيل) فالثواب والعقاب أيضا مكتوب في اللوح المحفوظ عنده ويلزمنا طلبه وتركه موجب للعقاب فوت

يزيد بالطلب وينقص بالترك (فاعلم) ان طلب الثواب انما وجب لان الله أمر به أمراً حتما وأوعد على تركه ولم يتضمن بالثواب على غير فعل منا وزيادة الثواب والعقاب بفعل العبد فحصل الفرق بينهما

وقال بعض علمائنا ان المكتوب فى اللوح المحفوظ قسمان . قسم هو مكتوب مطلقاً من غير شرط وتعليق بفعل العبد وهو الارزاق والآجال لان ذلك عام للمخلوقات . قال تعالى (وما من دابة فى الارض الاعلى الله رزقها) وقال تعالى (فاذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولا يستقدمون) وقال صلى الله عليه وسلم فرغ الله من أربع من الخلق والخلق والرزق والاجل . وقسم مكتوب بشرط معلق مشروط بفعل العبد وهو الثواب والعقاب أماتري كيف ذكره تعالى فى كتابه مشروطاً بفعل العبد فى قوله تعالى (ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولادخلناهم جنات النعيم)

(فان قيل) هل يمكن دخول البادية بلا زاد (فاعلم) انه اذا كان ذلك قوة قلب بالله والثقة البالغة بوعد الله فادخل بلا زاد والافكن كالعوام بعلائقهم (فان قلت) المتوكل هل يحمل الزاد معه فى السفر (فاعلم) انه ربما يحمل ولا يعلق قلبه به بأنه لامحالة رزقه وفيه قوامه وانما يعلق قلبه بالله وربما يحمل بنية أخرى بأن يعين به مسلماً أونحو ذلك وليس الشأن فى أخذ الزاد والتوكل عليه انما الشأن في القلب فكم حامل للزاد وقلبه مع الله دون الزاد وكم حامل للزاد وقلبه مع الزاد دون الله فالشأن اذاً للقلب (فان قيل) كان النبي صلى الله عليه وسلم يحمل الزاد وكذلك الصحابة والسلف الصالح (فالجواب) انه لاجرم ان ذلك مباح غير حرام انما الحرام تعليق القلب بالزاد وترك التوكل على الله وانما كان أخذ الزاد منه صلى الله عليه وسلم ومن السلف الصالح بنية الخير لئلا تميل قلوبهم عن الله والمعتبر القصد (فان قلت أيهما أفضل أخذ الزاد أم تركه (فاعلم) ان هذا يختلف باختلاف الاحوال فان كان الشخص ممن يقتدي به ويريد أن يبين أن استصحاب الزاد مباح أو ينوي اعانة مسلم أو نجاة ملهوف أو نحو ذلك فالاستصحاب للزاد أفضل . وان كان منفرداً وكان قوي القلب واثقاً بوعده وكان فى استصحاب الزاد شغل له عن عبادة الله تعالى فالترك له أفضل

والحاصل ان الرزق وتدبيره هو أعظم العوارض وهو البلية الكبري العامة للخلق التى أتعبت نفوسهم وأشغلت قلوبهم واكثرت همومهم وضيعت أعمارهم وعدلت بهم عن باب الله تعالي وعن خدمته الى خدمة الدنيا وخدمة المخلوقين فعاشوا فى الدنيا في غفلة وظلمة وتعب ونصب ومهانة وذل وقدموا الآخرة مفاليس وبين أيديهم الحساب والعذاب انلم

يرحمهم الله بفضله . فانظركم من آية أنزلها الله فى ذلك وكم ذكر من وعده وضمانه وقسمه وأرسل الأنبياء والعلماء يعظون الناس ويبينون لهم الطرق ويضربون لهم الامثال ويخوفونهم بالله وهم مع ذلك لايهتدون ولايتقون ولا يطمئنون بل هم فى غمرة ساهون وأصل ذلك كله قلة التدبر فى كتاب الله وقلة التفكر فى مصنوعاته وترك التذكر لكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك التأمل في كلام الصالحين مع الاصغاء لكلام الجاهلين حتى تمكن الشيطان منهم بالوسوسة فأداهم ذلك الى ضعف القلب ورقة اليقين

وأما الاخيار الذين هم أولوا الابصار وأرباب الجد والاجتهاد فابصروا طريق السماء فلم يعبأوا بأسباب الارض واعتصموا بحبل الله فلم يكترثوا بعلائق الخلق وتيقنوا بآيات الله فلم يلتفتوا الى وساوس الشيطان • وعن ابراهيم بن أدهم رحمه الله انه لما أراد أن يدخل البادية أتاه الشيطان يخوفه بأن هذه البادية مهلكة ولازاد معك ولا راحلة ولاسبب فعزم فى نفسه على أن يقطع البادية على تجرده من ذلك ولايقطعها حتى يصلى تحت كل ميل من أميالها ألف ركعة وقام بما عزم عليه وبقى في البادية اثنتي عشرة سنة فهذا وأمثاله من الصالحين المجاهدين المناقضين للشيطان • وفي مثل ذلك ثلاث فوائد (احداها) أن يعلم أن الرزق لايفوت من قدرله بحال (والثانية) أن يعلم أن أمر الرزق والتوكل مهم جداً (والثالثة) أن يعلم أن هذا الامر لايتم له الابالجد المحض والمجاهدة البالغة فانهم كانوا لحماً وبدناً ودماً وروحاً مثلك بل كانوا أنحف أبدانا وأضعف أركانا وأدق عظاماً منك ولكن كانت قوة العلم ونور اليقين وهمة أمر الدين تقويهم وتشدهم على مثل هذه المجاهدات والقيام بحق العبودية

ثم اعلم أن الله تعالى ضمن لك الرزق فى كتابه وتكفل به وما تقول لو وعدك ملك من ملوك الدنيا أوسوقي من التجار أن يضيفك أو يعيشك أو يعين لك شيأ فى كل يوم وأنت تحسن الظن به وانه صادق لايكذب ولايخلف الوعد وتثق بوعده وتطمئن بقوله وموعوده أتهتم بشأنك . لافما لك وقد وعدك الله مع كمال علمه وقدرته وارادته وضمن لك الرزق وتكفل به بل أقسم عليه فى غيرموضع وأنت لاتطمئن بوعده بل يضطرب قلبك فيالها من فضيحة ويالها من مصيبة يخشى منها والعياذبالله تعالى سلب المعرفة والدين وكل هذا مع علمك بأن الرزق مقسوم فان أنكرت القسمة أوجوزت نقصها فذلك باب من أبواب الكفر وزعته نعوذبالله من ذلك فان علمت انه حق لايتغير فاى فائدة فى الاهتمام والتطالب الا الذل والهوان فى الدنيا والخسران فى الآخرة وقد علمت مما تقدم لك ان الرزق المضمون انما هو الغذاء الذي به قيام البنية والتربية والعدة .

وأما الاسباب من الطعام والشراب فاعلم ان العبد اذا تجرد للعبادة وتوكل على الله فربما تحتبس عنه الاسباب فلا يعبأ بذلك ولا يضجر لما علم من حقيقة الامر أن الضمان بقوام البنية والتوكل على الله انما هو فى هذا المعني لاغير وان المنتظر من الله انما هو هذا فقط وان الله تعالى يمده لامحالة بقوة اليقين ليقوم بحق العبادة والخدمة مادام له الاجل والتكليف للعبادة وهذا هو المقصود وان الله قادر على مايشاء ان شاء أقام بنية عبده بطعام وشراب أو بطين وتراب أو بتسبيح وتهليل كالملائكة وان شاء أقام بنيته بدون ذلك فليس مطلوب العبد الا القوام والقوة على العبادة لا الأكل والشرب وشدة الشهوة ونيل اللذات لان الاسباب لا اعتبار بها ولهذا قدر العباد والزهاد على الاسفار وطى الليالى والايام فمنهم من يطوى عشرة أيام لا يأكل فيها شيئاً ومنهم من يطوى شهراً أوشهرين وأما الذي يموت جوعاً فذلك أجل حضر كالذي يموت شبعاً وتخمة. ولقد بلغنا عن أبى سعيد الخراز انه قال كان لى حال مع الله أن يطعمني في كل ثلاثة أيام فدخلت البادية فمضى علىّ ثلاثة أيام ماطعمت فلما كان اليوم الرابع وجدت ضعفاً فجلست مكانى فاذا بهاتف يقول ياأبا سعيد أيهما أحب اليك سبب أوقوي فقلت لا الا القوي (١) فقمت من وقتي وقد استقللت فقمت اثني عشر يوماً ماطعمت ولاوجدت ألماً بذلك

العارض الثانى الاخطار والمخافة وارتكابها وارادتها وقصدها وكفاية ذلك انما هى فى تفويض الامور كلها الي الله سبحانه وتعالى وذلك لامرين طمأنينة القلب في الحال وحصول الصلاح والخير فى الاستقبال وذلك لان الامور في العواقب مبهمة فكم من شر فى صورة خير وكم من ضرر فى حلية نفع وكم من سم فى صورة شهد وأنت الجاهل بالعواقب والاسرار فاذا أردت الامور قطعاً وأخذت فيها باختيارك فتقع في هلاك وأنت لاتشعر. وأما اذا فوضت الامر الى الله وسألته أن يختار لك مافيه صلاحك لم تلق الا خيراً وسداداً ولا تقع الاعلى صلاح. قال تعالى حكاية عن العبد الصالح(وأفوض أمري الى الله ان الله بصير بالعباد فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب) انظر كيف عقب التفويض بالوقاية من الاسواء والنصر على الاعداء وبلوغ المراد (فان قلت) بين لنا معني التفويض وحكمه (فاعلم) أن هاهنا فصلين أحدهما فى موضعه والثانى في معناه وحده وضده وحسنه

اما موضعه فاعلم ان المرادات ثلاثة أحدها مراد تعلم يقينا انه فساد وشر لاشك فيه

(١) قوله لا الا القوي هكذا بالاصل ولعله أراد لا الا القوى أو نحوه اهـ

أدلة كالنار والعذاب وفي الأفعال كالكفر والبدعة والمعصية ولا سبيل إلى ارادة ذلك .
والثاني مراد تعلم قطعاً انه صلاح كالجنة والايمان والنية ونحو ذلك فلك ارادتها بالحكم ولا موضع للتفويض فيه اذ لا خطر فيه ولا شك انه خير وصلاح . والثالث مراد لا تعلم قطعاً ويقيناً ان ذلك فيه صلاح أو فساد وذلك نحو النوافل والمباحات وهذا موضع التفويض فليس لك أن تريدها قطعاً بل بالاستثناء وشرط الخير والصلاح فان قيدت ارادتك بالاستثناء فهو تفويض وان أردت دون الاستثناء فهو طمع مذموم منهي عنه فموضع التفويض اذاً كل أمر فيه خطر وهو أن لا تستيقن فيه صلاحك واذا تأملت في التفويض أصلين أعاناك على التخلق والاستمساك به

الاصل الاول ان تعلم ان الاختيار لا يصلح الا لمن كان عالماً بالامور بجميع جهاتها وصفاتها وظاهرها وباطنها وحالها وعاقبتها والا فلا تأمن أن تختار ما فيه الفساد والهلاك على ما فيه الخير والصلاح وهذا هو العلم المحيط بجميع الامور من جميع الوجوه وهو لا يصلح الا لله سبحانه وتعالى وحده فلا أحد اذاً يكون له اختيار وتدبير ولذلك قال عز من قائل (وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة)

والاصل الثاني أن تقدر أن رجلا قال لك اني أقوم بجميع أمورك وأدبر ما تحتاج اليه من مصالحك ففوض الامور كلها الي واشتغل أنت بشأنك وهو عندك أعلم أهل زمانك وأحكمهم وأقواهم وأرحمهم وأتقاهم وأصدقهم وأوفاهم ألست تعد ذلك أعظم نعمة ثم اختار لك شيئاً لا تعرف وجه الصلاح فيه فلا تضجر لذلك بل تطمئن الى تدبيره وتعلم انه لا يختار لك إلا ما هو الخير والصلاح كيفما كان فما بالك اذاً لا تفوض الامور الى رب العالمين وهو أعلم من كل عالم وأقدر من كل قادر وأرحم من كل راحم وأغني من كل غني يختار لك بلطيف علمه وحسن تدبيره ما لا يبلغه علمك ولا يدركه فهمك وتشتغل أنت بشأنك الذي يعنيك في عاقبتك وان اختار لك أمراً لا تعلم وجه سره رضيت به واطمأننت اليه فكيفما كان فهو الصلاح والخير

وأما معني التفويض فقال الشيخ أبو محمد هو ترك اختيار ما فيه المخاطرة على المختار ليختار لك ما هو خير لك . وقال الشيخ رضي الله عنه أن التفويض ارادة أن يحفظ الله عليك مصالحك فيما لا تأمن فيه الخطر وضد التفويض الطمع والطمع في الجملة يجري على وجهين . أحدهما في معني الرجاء تريد شيئاً لا خطر فيه أو فيه مخاطرة بالاستثناء وذلك ممدوح غير مذموم قال تعالى حكاية عن الخليل عليه الصلاة والسلام (والذي أطمع أن يغفر لى خطيئتي يوم الدين) والثاني طمع مذموم وهو الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم

اياك والطمع فانه فقر حاضر . وقال شيخنا رحمه الله الطمع المذموم شيئان ، سكون القلب الى منفعة مشكوكة . وارادة الاشياء الخاطرة بالحكم وهذه الارادة تقابل التفويض لاغير . وأما حسن التفويض فهو ذكر خطر الامور وامكان الهلاك والفساد فيها وحصن حصنه ذكر عجزك عن الاعتصام عن ضروب الاخطار والامتناع عن الوقوع فيها بجهلك وغفلتك وضعفك فالمواظبة على هذين الذكرين تحملك على تفويض الامور كلها الى الله تعالى والتحفظ على الحكم فيها والامتناع عن ارادتها الا بشرط الخير والصلاح

(فان قلت) فما هذه الاخطار التي يجب التفويض لاجلها (فاعلم) ان الخطر فى الجملة خطران خطر الشك بأنه يكون أولا يكون وانك تصل اليه أولا تصل وهذا يحتاج الى الاستثناء ويقع فى باب النية والامل . والثاني خطر الفساد بأن لا تستيقن فيه الصلاح لنفسك وهو الذي يحتاج فيه الى التفويض ثم اختلفت عبارات الائمة فى الخطر فنى قول بعضهم ان الخطر في الافعال هو أن يكون دونه نجاة أو يمكن أن يجامعه ذنب فالايمان والسنة والاستقامة لاخطر فيها اذ لايمكن دون الايمان نجاة ألبتة والاستقامة لايجامعها ذنب فاذاً يصح ارادة الايمان والاستقامة بالحكم . وقال الاستاذ الخطر فى الفعل ما يمكن أن يعترض فيه بعض ما يكون الاشتغال بالعارض أولى من الاقدام على ذلك الفعل وذلك يقع فى المباحات والسنن والفرائض ألا ترى أن من تضيق عليه وقت الصلاة وقصد أداءها فعارضه حريق أوغريق يمكن انقاذه فالاشتغال بانقاذه أولى من الاقبال على صلاته فلا تصح اذاً ارادة المباحات والنوافل والكثير من الفرائض بالحكم

(فان قيل) كيف يصح أن يفترض الله على عبده شيأ ويوعده على تركه ثم لايكون له صلاح فى فعله (فاعلم) ان شيخنا قال ان الله تعالى لايأمر العبد بشيء الاوفيه صلاحه اذا تجرد عن العوارض ولايضيق عليه فعل فرض بحيث لاعدول له عن ذلك الفرض الا وله فيه صلاح وانه ربما يسبب الله له عذراً لاجله يكون العدول عن أحد الامرين أولى من الاشتغال بالآخر فيكون العبد فى ذلك معذوراً بل مأجوراً بترك هذا الفرض الذي هو أولي . ولقد سمعت الامام رحمه الله يقول ان ما افترض الله على عبده من صلاة وصوم وحج ونحوه فيه صلاح لامحالة للعبد وصحة ارادتها بالحكم قال فاتفق رأينا على ذلك فدخل فى هذا الحكم حينئذ المباحات والنوافل فاعلم ذلك فانه من غوامض الباب وبالله التوفيق

(فان قيل) هل يأمن المفوض الهلاك والفساد (فاعلم) انه فى الاغلب والاكثر لايفعل بالمفوض الا الصلاح وكذا يفعل به فى النادر غير الصلاح اذ ربما يخذله الله

نفع عن منزلة التفويض ولا صلاح للعبد في الخذلان وبه قال الشيخ أبو عمرو . وقيل لا يفعل بالمفوض الا ما فيه صلاحه فيما فوض فيه والخذلان هو القصور عن منزلة التفويض مما لا نفع فيه تفويض اذ لا شك فى فساد ذلك والتفويض انما يقع فيما يشك فى فساده وصلاحه

(فان قيل) فهل يجب أن يفعل بالمفوض ما هو الافضل (فاعلم) ان ذلك لا يجب بل هو مستحيل على الله سبحانه لانه لا يجب عليه تعالى شيء لعباده كما هو مذهب أهل السنة والجماعة خلافا لبعض الفرق الضالة وقد يفعل بالعبد الاصلح دون الافضل حكمة من نعماه لانه ربما يقدر العبد الغني والنعمة في الدنيا وان كان الفقر له أفضل كما ان الطبيب الحاذق يختار للمريض ماء الشعير وان كان ماء السكر أفضل والمقصود للعبد النجاة من المهالك .

(فان قيل) هل يكون المفوض مختاراً (فاعلم) ان الصحيح انه يكون مختاراً ولا يقدح فى تفويضه اذا كان له صلاح فى المفضول والافضل على حد سواء فهو يريد من الله أن يسبب له الافضل كما أن المريض يقول للطبيب . اجعل دوائي ماء السكر دون ماء الشعير اذا كان المقصود يحصل بكل منهما على السواء ولكن يشترط انه اذا اختار الله له الصلاح فى غير الافضل أن يكون راضياً بذلك (فان قيل) فلماذا كان للعبد ان يختار الافضل وليس له أن يختار الاصلح (فاعلم) أن الفرق بينهما أن العبد يعرف الافضل من المفضول ولا يعرف الصلاح من الفساد ليريده بالحكم

الغرض الثالث القضاء وانما كفايته فى الرضا به فعليك أن ترضى بقضاء الله لامرين أحدهما التضرع للعبادة لانك اذا لم ترض بالقضاء كنت مهموما مشغول القلب أبداً والثانى خطر ما فى السخط من غضب الله تعالي . وفى الاخبار أن نبيا من الانبياء شكا ما ناله من المكروه الى الله تعالى فاوحي الله تعالي اليه أتشكوني ولست باهل ذم ولا شكوي وهذا أبدا شأنك فى علم الغيب فلم تسخط قضائى عليك أتريد ان أغير الدنيا لاجلك او أبدل اللوح المحفوظ لمشيئتك فاقض ما تريد دون ما أريد ويكون ما تحب دون ما أحب فبعزتي حلفت لئن تلجلج هذا في صدرك مرة أخري لاسلبنك ثوب النبوة ولاوردنك النار ولا ابالى فهذا في حديث النفس وتردد القلب فكيف بمن يصرح ويستغيث ويشكو وينادي بالويل والثبور على رؤس الملا نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ونسأله أن يعفو عنا .

(فان قيل) فما معنى الرضى بالقضا وما حقيقته وما حكمه (فاعلم) ان علماءنا

رحمهم الله تعالى قالوا ان الرضي ترك السخط والسخط ذكر غير ماقضى الله بانه أولى به وأصلح له فيما لايتيقن صلاحه ولافساده وهذا شرط فيه (فان قلت) اليس الشرور والمعاصى بقضاء الله وقدره فكيف يرضى العبد الشر ويلزمه ذلك (فاعلم) أن الرضا انما يلزم بالقضاء وقضاء الشر ليس بشر وانما الشر هو المقضى فلا يكون رضا بالشر وقد قال شيوخنا رحمهم الله تعالى المقضيات أربعة . نعمة . وشدة وخير وشر فالنعمة يجب الرضا فيها بالقاضى والقضا والمقضي ويجب عليك الشكر من حيث انه نعمة والشدة يجب الرضا فيها بالقاضي والقضا والمقضي ويجب عليه الصبر من حيث انها شدة • والخير يجب الرضا فيه بالقاضي والقضاء والمقضي ويجب عليه فى ذلك المنة من حيث انه خير والشر يجب عليه الرضا بالقاضي والقضاء والمقضي من حيث انه مقضى لامن حيث انه شر وكونه مقضيا يرجع الى القضا والقاضي فى الحقيقة وهذا كما ان رضا مذهب المخالف أن يكون معلوما لك لا ان يكون مذهباً لك ثم كونه معلوما يرجع الى العلم فالرضا والمحبة انما يكون حقيقة بالعلم بالمذهب المخالف لابمذهبه وكذلك هذا (فان قلت) هل يكون الرضا مستزيداً (فالجواب) نعم لكن بشرط الخير والصلاح دون الحكم لان من أحب شيأ ورضي به استزاد منه وكان صلى الله عليه وسلم اذا حضر اللبن يقول اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه وفى غيره يقول وزدنا خيرا منه وهذا لايدل منه صلى الله عليه وسلم انه غير راض بما قدره الله له من ذلك وانما الرضا بالقلب وانما يقال باللسان عبارة عن ذلك فاذا لايعتبر بترك العبارة مع حصول القلب والحاصل انه يعينك على الرضا بالقضا والقدر النظر في أصلين أحدهما ما في الرضا من الفائدة فى الحال والمآل . أما الفائدة الحالية فهي فراغ القلب وقلة الهم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لابن مسعود ليقل همك ماقدر يكون وما لم يقدر لم يكن . وأما الفائدة المآلية فثواب الله ورضوانه قال تعالى (رضى الله عنهم ورضوا عنه) وما في السخط من الهم والضجر فى الحال والوزر والعقوبة فى الآخرة . الاصل الثاني ما فى السخط من عظيم الخطر والضرر والكفر والنفاق قال تعالى (فلا وربك لايؤمنون حتي يحكموك فيما شجر بينهم) الاية فاقسم على من سخط قضاء رسوله صلى الله عليه وسلم فكيف حال من سخط قضاء الله تعالى

العارض الرابع الشدائد والمصائب وانما كفايتها بالصبر فعليك بالصبر في سائر المواطن ليتيسر لك طريق الوصول الى العبادة وحصول المقصود منها فان مبنى أمور العبادة على الصبر واحتمال المشقات فمن لم يكن صبوراً لم يصل الى شيء منها بالحقيقة وذلك لان من قصد عبادة الله تعالى وتجرد لها استقبلته شدائد وعن من وجوه • منها انه لاعبادة

الا وهي في نفسها مشقة اذلايتأتى فعل العبادة الا بقمع هوى النفس ومخالفة الهوى وقمع النفس من أشد الامور على الانسان • ومنها ان العبد اذا فعل خيراً مع المشقة لزمه الاحتياط له حتى لايفسد عليه والابقي فى ذلك العمل والابقاء فى العمل أشد من العمل • ومنها ان الدار دار محنة فمن كان فيها فلابد له من الابتلاء بشدائدها ومصائبها لان باعث الدين بالاضافة الى باعث الهوى له ثلاثة أحوال. أحدها أن يقهم داعى الهوى فلا تبقى له قوة المنازعة ويتوصل اليه بدوام الصبر ومن هذا المعنى يقال من صبر ظفر والواصلون الى هذه الدرجة هم الاقلون ولاجرم انهم الصديقون المقربون الذى قالوا ربنا الله ثم استقاموا فهؤلاء لازموا الطريق المستقيم • واستووا على الطريق القويم • واطمأنت نفوسهم على مقتضي باعث الدين واياهم ينادى المنادي ياأيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية • الحالة الثانية أن تغلب دواعي الهوى وتسقط بالكلية منازعة باعث الدين فيسلم نفسه الى جند الشياطين ولا يجاهد لاياسه عن المجاهدة وهؤلاء الغافلون وهم الاكثرون الذين استرقهم شهواتهم وغلبت عليهم شقوتهم فحكموا أعداء الله فى قلوبهم التي هى سر من أسرار الله تعالى وأمر من أموره واليهم الاشارة بقوله تعالى (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول منى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) وهؤلاء هم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة • الحالة الثالثة أن تكون الحرب سجالا بين الجندين فتارة تكون له اليد عليها وتارة تكون لها عليه وهذا يعد من المجاهدين لامن الظافرين وأهل هذه الحالة هم الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم

ثم اعلم ان الصبر ينقسم أيضا باعتبار حكمه الى فرض ونفل ومكروه ومحرم • فالصبر عن المحظورات فرض وعلى المكاره نفل وعلى الاذي المحظور محظور كمن تقطع يده أو يد ولده وهو يصبر عليه وكمن يقصد حريمه بشهوة محظورة فتهيج غيرته فيسكت عن اظهار الغيرة ويسكت على مايجري على أهله فهذا الصبر محرم • والصبر المكروه كمن يصبر على أذي يناله بجهة مكروهة فى الشرع فليكن الشرع محل الصبر ولايلزم من كون الصبر نصف الايمان أن يكون جميعه محموداً بل المراد به أنواع من الصبر مخصوصة

واعلم ان جميع مايلقاه العبد فى هذه الحياة لا يخلو من نوعين . أحدهما هو الذي يوافق هواه والآخر هو الذي لايوافق هواه بل يكرهه وهو محتاج الى الصبر فى كل منهما وهو في جميع الاحوال لا يخلو عن هذين النوعين أو عن أحدهما فهو اذاً لا يستغني

عن الصبر أبداً * النوع الاول مايوافق الهوى وهو الصحة والسلامة والمال والجاه وكثرة العشيرة واتساع الاسباب وكثرة الاتباع والانصار وجميع ملاذ الدنيا وما أحوج العبد الى الصبر على هذه الامور فان العبد ليطغى أن رآه استغنى ولهذا قال بعض العارفين البلاء يصبر عليه المؤمن والعوافي لا يصبر عليها الا صديق . وقال سهل الصبر على العافية أشد من الصبر على البلاء ولما فتحت أموال الدنيا على الصحابة رضى الله عنهم قالوا ابتلينا بفتنة الضراء فصبرنا وابتلينا بفتنة السراء فلم نصبر ولذلك حذر الله عباده من فتنة المال والزوج والولد فقال تعالى (ياأيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله) وقال تعالى (ياأيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم) بالصبر وهذا الصبر متصل بالشكر فلا يتم الا بالقيام بحق الشكر * النوع الثاني مالا يوافق الهوي والطبع وذلك لا يخلو اما أن يرتبط باختيار العبد كالطاعات والمعاصي أولا يرتبط باختياره كالمصائب والنوائب أولا يرتبط باختياره ولكن له اختيار في ازالته كالتشفي من المؤذى بالانتقام منه فهذه ثلاثة أقسام * القسم الاول ما يرتبط باختياره وهو سائر أفعاله التي توصف بكونها طاعة أو معصية وهو ضربان * الاول الطاعة والعبد يحتاج الى الصبر عليها والصبر على الطاعة شديد لان النفس بطبعها تنفر عن العبادة والعبودية وتشتهى الربوبية لان العبودية شاقة على النفس مطلقاً * ثم من العبادة ما يكره بسبب الكسل كالصلاة ومنها ما يكره بسبب البخل كالزكاة ومنها ما يكره بسببهما جميعا كالحج والجهاد والصبر على الطاعة صبر على الشدائد ويحتاج المطيع الى الصبر على طاعته في ثلاثة أحوال * الاول قبل الطاعة وذلك في تصحيح النية والاخلاص والصبر على شوائب الريا ودواعي الآفات * الحالة الثانية حالة العمل كيلا يغفل عن الله في أثناء عمله أو يتكاسل عن تحقيق آدابه وسننه ويداوم على شروط الآداب الى آخر العمل فيلازم الصبر عن دواعى الفتور الي الفراغ * الحالة الثالثة بعد الفراغ من العمل اذ يحتاج الى الصبر عن افشائه والتظاهر به للسمعة والرياء والصبر عن النظر اليه بعين العجب وعن كل ما يبطله ويحبط أثره والطاعة تنقسم الي فرض ونفل وهو محتاج الى الصبر عليهما في كل منهما وقد جمعهما الله تعالي في قوله (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى) فالعدل هو الفرض والاحسان هو النفل وايتاء ذي القربى هو المروة وصلة الرحم وكل ذلك يحتاج الى الصبر * الضرب الثاني المعاصي وما أحوج العبد الى الصبر عنها وقد جمع الله تعالى أنواع المعاصى في قوله تعالي (وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى) * القسم الثاني ما لا يرتبط باختياره ولا حصر له في أوله ولا في آخره كالمصائب مثل موت الاقرباء

وهلاك الأموال وزوال الصحة بالمرض وفي العرض باغتياب الناس اياه والطعن فيه والازدراء به والكذب عليه وكل واحدة من هذه المصائب لذعة وحرقة من نوع آخر فيحتاج الى الصبر عليها والصبر على ذلك من أعلى مقاماته * القسم الثالث مالا يرتبط باختياره ولكن له اختيار في ازالته كالو أوذي بفعل أو قول أوجني عليه فى نفسه أوماله فالصبر على ذلك بترك المكافاة تارة يكون واجباً وتارة يكون فضيلة * ثم اعلم ان طالب الآخرة يكون أشد ابتلاء وأكثر محنة أبداً ومن كان من الله أقرب فالمصائب له فى الدنيا أكثر والبلاء عليه أشد ولهذا قال صلى الله عليه وسلم أشد الناس بلاء الانبياء ثم الشهداء ثم العلماء ثم الامثل فالامثل فاذاً من قصد طريق الآخرة استقبلته هذه المحن فان لم يصبر عليها انقطع عن الطريق قال تعالى (وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور) وقال فضيل رحمه الله من عزم على قطع طريق الآخرة فليجعل فى نفسه أربعة ألوان من الموت الابيض والاحمر والاسود والاخضر . فالابيض الجوع والاحمر مخالفة الشيطان والاسود ذم الناس والاخضر الوقائع بعضها على بعض اه

ثم اعلم ان للصبر فوائد كثيرة فى الدنيا والآخرة فمنها النجاة والفلاح قال تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لايحتسب) ومنها الظفر والنصر على أعداء الله تعالى قال تعالى (فاصبر ان العاقبة للمتقين) ومنها الظفر بالمراد قال تعالى (وتمت كلمت ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا) ومنها التقدم على الناس والامامة قال تعالى (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا) ومنها الثناء من الله تعالى قال تعالى (انا وجدناه صابراً نعم العبد انه أواب) وغير ذلك من الآيات وقال صلى الله عليه وسلم ماأعطي أحد من عطاء وخير أوسع من الصبر فبان لك بهذا ان خير الدنيا والآخرة فى الصبر * فان قلت فما حقيقة الصبر وما حكمه * فاعلم ان معني الصبر فى اللغة الحبس وشرعاً حبس النفس على تحمل المشاق من غير جزع وهو فى الحقيقة من جملة مساعى القلب قال تعالى (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) وحصن الصبر ذكر مقدار الشدة ووقتها وانها لاتزيد ولا تتقدم ولا تتأخر وانه لافائدة فى الجزع بل فيه الضرر والخطر * وحصن حصنه ذكر عوض الله عليه وعلى الجملة فاعلم ان الصبر دواء مر وشربة كريهة مباركة تجلب كل منفعة وتدفع كل مضرة واذا كان الدواء بهذه الصفة يلزم العاقل أن يكره النفس على شربه ويقول أتحمل مرارة ساعة لاستريح بها سنة * وأما المنافع التي يجلبها الصبر * فاعلم ان الصبر على أربعة أقسام صبر على الطاعة وصبر عن المعصية وصبر عن فضول الدنيا وصبر على المحن والمصائب فاذا احتمل الانسان

مرارة الصبر فى هذه المواضع الاربعة تيسرت له الطاعة والاستقامة عليها ويظفر بمقصوده من الثواب الجزيل في العاقبة وأما دفع المضار فيربح أولا من الجزع ومقاساة الدنيا وعناها ووزرها وعقوبته فى العقبى وان ضعف عن الصبر وسلك طريق الجزع فانه كل منفعة ولحقه كل مضرة اذ لا يصبر على مشقة الطاعة فلا يفعل ولا يصبر على حفظها فلا يصل الى منزلة شريفة فيها من درجات الاستقامة ولا يصبر عن معصية فيقع فيها ولا عن فضول فيشتغل به ولا يصبر على مصيبة فيحرم من ثواب الصبر عليها ولقد قيل حرمان الصبر على المصيبة أشد من المصيبة * واعلم يقينا انه غني عن امتحانك وابتلائك عالم بحالك بصير بضعفك وهو بك رؤوف اما سمعت قوله عليه الصلاة والسلام الله ارحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها فاذا علمت أنه لا ينزل بك هذا المكروه الا لصلاح لك جهلته أنت وهو عالم به كان حقك الرضى والصبر عليه بل والفرح به لان فيه صلاحك ونفعاً يعود عليك فاذا تحققت ان الله سبحانه هو المتكفل برزقك الذي لا بد لك منه فى بقائك وقيامك بالعبادة وانه القادر على ما يشاء وهو البصير بحاجتك اتكلت على ضمانه واعتمدت كفالته وسكن قلبك بذلك واضربت عن ذكر العلائق والاسباب اذ العلائق لا تغنيك ولا يكفيك الا الله تعالى فانه هو الذي يسر اكلها وشربها ويمريها ويهنيها ثم هو الذي يمنحك قوتها ونفعها ويدفع عنك ثقلها وضرها فالامر كله اليه وحده لا شريك له فتوكل عليه لا غير وقل لنفسك فى الجملة يانفس لن يصيبنا الا ماكتب الله لنا هو مولانا وهو حسبنا ونعم الوكيل وكذلك توطن قلبك على انه ما يقضى الله تعالى لك فهو الاوفق والاصلح وان ذلك لا يبلغ علمنا كيفيته وسره وتقول يا نفس المقدور كائن لا محالة فلا فائدة فى السخط والخيرة فيما يصنع الله تعالى فلا وجه للسخط الست تقولين رضيت بالله ربا فكيف لا ترضى بقضائه والقضاء من شأن الربوبية وحقها فعليك بالرضي فاصبرى قليلا ترى العجب من لطيف صنعه فاذا أجريت هذه الافكار ونحوها فقد دفعت هذه العوارض الاربعة عن نفسك وكفيت مؤنتها وصرت عند الله من المتوكلين المفوضين الراضين بقضائه الصابرين علي بلائه وحصلت لنفسك راحة القلب والبدن فى الدنيا وعظيم الثواب فى العقبى فاذا تم لك الامر بدفع العوارض وقطعها وقصدت العبادة وجدت النفس فترانة ومتراخية وكسلانة وراغبة عن فعل الخير لان ميلها وطبعها الذاتى الى الغفلة والدعة والراحة والبطالة فتحتاج حينئذ الى سائق يسوقها

فاستقبلتك هاهنا العقبة الخامسة عقبة البواعث فتحتاج لا محالة الى قطعها * اعلم

وفقنا الله وإياك لسلوك طريقه انه اذا استقام لك الطريق وتيسر عليك السبيل وارتفعت العوائق وزالت العوارض فلا يكمل لك السير المستقيم الا باستشعار الخوف والرجاء أما الخوف فانما يجب التزامه لامرين . أحدهما الزجر عن المعاصي والتدبير فى أمرها ان تقرعها أبدا بسوط الخوف قولا وفعلا وفكراً . وقد ذكر عن بعض الصالحين ان نفسه دعته الى معصية فانطلق ونزع ثيابه وجعل يتمرغ فى الرمضاء ويقول لنفسه ذوقى نار جهنم أشد حرا من هذه ياجيفة بالليل بطالة بالنهار . والثاني لئلا يعجب بالطاعة فيهلك مع الهالكين فلا بد أن يقمعها بالذم والعيب والنقص بما فيها من الاسواء والاوزار التى فيها ضروب الاخطار لما يروي عن النبي صلى الله عليه وسلم لو انى أنا وعيسى أخذنا بما كسبت هاتان لعذبنا عذابا شديداً لم يعذب به أحد من العالمين وأشار بأصبعيه . فهذه وأمثالها مما يلزم العبد ذكرها للنفس وتذكيرها بها وتكريرها عليها ليندفع بذلك العجب عنها

وأما الرجاء فانما يلزمك لاشعاره أمران أيضا . أحدهما البعث على الطاعة وذلك لان الخير ثقيل والشيطان عنه زاجر والهوى الى ضده داع واذا كان الامر على هذه الحالة فلا تنبعث النفس الى الخير ولا ترغب فيه ولا تهتز له الا بأمر يقابل هذه الموانع ويساويها بل يزيد عليها وذلك الامر هو الرجاء القوى فى رحمة الله والترغيب البالغ فى حسن ثوابه وجزيل أجره . والثانى أنه يهون عليك احتمال الشدائد والمقاسات لان من عرف مايطلب هان عليه مايفعل وكذلك العباد الذين هم أهل الاجتهاد اذا ذكروا الجنة وأنواع نعيمها وسائر ما أعد الله لاهلها هان عليهم مااحتملوه من التعب والنصب فى العبادة وما فاتهم فى الدنيا من جاه أو نعمة . أو نالهم من ذل أو نقمة . فاذا كان مدار العبودية على أمرين القيام بالطاعة والانتهاء عن المعصية وذلك لايتم مع هذه النفس الامارة الا بترغيب وترهيب والترغيب انما يحصل بالرجاء والترهيب انما يحصل بالخوف فظهر بهذا ان الرجاء والخوف أصلان عظيمان فى التوصل الى صحة العبادة لان الدابة تحتاج الى قائد يقودها والى سائق يسوقها واذا وقعت فى مهواة فربما تضرب بالسوط من جانب ويلوح لها بالعلف من جانب آخر حتى تنهض وتخلص مما وقعت فيه وكذلك النفس فيلزم العبد الطالب للعبادة والرياضة أن يشعر النفس بهذين الامرين اللذين هما الرجاء والخوف والافلا تساعده نفسه على العبادة

(فان قلت) فما حقيقة الخوف والرجاء وما حكمهما (فاعلم) ان الخوف والرجاء عند علمائنا يرجعان الى قبيل الخواطر وانما المقدور للعبد مقدماتهما * وقالوا الخوف

رعدة تحدث في قلب العبد عن ظن مكروه يناله والخشية نحو ذلك لانها تقتضي ضرباً من الاستعظام والمهابة . وضد الخوف الجراءة ولكن قد يقابل بالامن فيقال خائف وآمن

ومقدمات الخوف أربعة . الاولى ذكر الذنوب الكثيرة التي سبقت وكثرة الخصوم الذين مضوا ولهم عليك مظالم وأنت مرتهن لم يتبين لك الخلاص بعد . والثانية ذكر عقوبة الله تعالى . والثالثة ذكر ضعف نفسك عن الاحتمال . والرابعة ذكر قدرة الله تعالى عليك متى شاء وكيف شاء

وأما الرجاء فهو ابتهاج القلب بمعرفة فضل الله واسترواحه الي سعة رحمة الله تعالى وهذا من جملة الخواطر غير مقدور للعبد وانما المقدور للعبد تذكره فضل الله تعالى وسعة رحمته وقد تسمي أيضاً ارادة الخاطرة بالاعتناء رجاء والمراد هنا الاول وهو التذكر على حسب الابتهاج والاسترواح . وضده اليأس وهو تذكر فوات رحمة الله وفضله وقطع القلب عن ذلك وهو معصية محضة

ومقدمات الرجاء أربعة . الاولى ذكر سوابق فضله اليك من غير قدم ولا شفيع . الثانية ذكر ما وعد من ثوابه وعظيم كرامته على حسب قدر فضله وكرمه دون استحقاقك اياه . والثالثة ذكر كثير رحمة الله عليك من أمر دينك ودنياك . والرابعة ذكر سعة رحمة الله وسبقها غضبه وانه الرحمن الرحيم الغني الكريم الرؤف بعباده المؤمنين فاذا واظبت على هذين النوعين من الاذكار أفضيا بك الي استشعار الخوف والرجاء بكل حال

ثم اعلم ان طريق الخوف والرجاء بين طريقين مخوفين مهلكين . أحدهما طريق الامن . والثاني طريق اليأس وطريق الرجاء والخوف هو الطريق العدل بين الطريقين الجائرين فان غلب الرجاء عليك حتي فقد الخوف بالكلية وقعت في طريق الامن ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون وان غلب عليك الخوف حتي فقدت الرجاء بالكلية وقعت في طريق اليأس ولا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون . فان كنت سلكت الطريق المتوسط بينهما فهو الطريق العدل المستقيم الذي هو سبيل أولياء الله تعالى وأصفيائه الذين وصفهم الله تعالى بقوله (انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين) فاذن ظهر لك طرق ثلاث . طريق الامن والجراءة . وطريق اليأس والقنوط . وطريق الخوف والرجاء يتوسط بينهما . ثم ان الطريقين الجائرين المهلكين شأنهما أوسع مجالا وأكثر داعياً وأسهل سلوكا من طريق العدل لانك اذا نظرت من جانب الامن وجدت سعة رحمة الله وكثرة فضله وغاية وجوده مالا يبقي لك معه خوف

يبكي على ذلك مرة وتأمن * وان نظرت من جانب الخوف رأيت من عظيم جلال الله وكبريائه هيبته ودقة أمره وغاية مناقشته مع أوليائه وأصفيائه فتيأس مرة وتقنط فلا يبقى معك رجاء ألبتة فالخاص من هذين الطريقين انما هو سلوك الحد المتوسط بينهما فتأخذ بعضاً من هذا وبعضاً من هذا وتركب بينهما وتستقيم على ذلك لتسلم من كل منهما وان كان دقيقاً عسراً صعب المسالك فانه سبيل السلامة ومنهج بين يؤدي الى الغفران والاحسان ثم الى الجنان والرضوان

ثم اعلم انه لايتأتى لك سلوك هذا الطريق وحمل هذه النفس الجموح الكسلانة عن فعل الخير باجتناب المحبوب عندها واكتساب الطاعات الثقيلة عليها الا بالتحفظ لثلاثة أصول • أحدها ذكر أقواله تعالى في الترغيب والترهيب . والثاني ذكر أفعاله سبحانه في الاخذ والعفو . والثالث ذكر جزائه تعالى للعباد في المعاد من الثواب والعقاب . ونحن نشير في هذا الكتاب الى كلمات توقفك على المقصود ان شاء الله تعالى

فالاصل الاول آية الرجاء كقوله تعالى (لاتقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً . غافر الذنب وقابل التوب . وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات) فهذه الآيات ونحوها من آيات الترغيب التذكر فيها طريق الرجاء ومن آيات الترهيب قوله تعالى (ياعباد فاتقون • أيحسب الانسان أن يترك سدى • وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً) الى غير ذلك من الآيات الدالة على الترهيب *ومن الآيات اللطيفة الجامعة بين الرجاء والخوف قوله تعالى (نبيء عبادي اني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الاليم) والمراد من ذلك أن يكون الطريق عدلا من غير ميل الى قنوط أو أمن

الاصل الثاني في ذكر أفعاله ومعاملاته . أما من جانب الخوف فأولا أن ابليس عبد الله تعالى ثمانين ألف سنة فلم يترك فيها قيل موضع قدم الا وسجد فيه لله تعالى ثم ترك أمراً واحداً فطارده عن بابه وضرب بوجهه عبادة ثمانين الف سنة ولعنه الى يوم الدين وأعد له عذابا اليما أبد الآبدين وبلعام بن باعوراء بلغ في العبادة الى حد عظيم وكان اذا نظر يرى العرش وهو المعني بقوله تعالى (واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين) ولم يكن له الازلة واحدة مال الى الدنيا واهلها ميلة واحدة وترك لولى من أوليائه حرمة واحدة سلبه معرفته وجعله بمنزلة الكلب المطرود فقال (فمثله كمثل الكلب) فاوقعه فى بحر الضلال والهلاك الى آخر الابد • ويونس عليه السلام غضب مرة واحدة فى غير موضعها فسجنه في بطن الحوت تحت قعر البحر اربعين

وما وهو ينادي لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين فسمعت الملائكة صوته فقالوا الهنا وسيدنا صوت معروف من موضع مجهول فقال تعالى ذلك صوت عبدي يونس ابن متى سجنته في بطن حوت فشفعت فيه الملائكة ثم مع ذلك كله غير اسمه فقال (وذا النون) فنسبه الى سجنه ثم قال (فالتقمه الحوت وهو مليم فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون) ثم ذكر نعمته ومنته عليه فقال (لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم) فانظر الى هذه السياسة أيها المسكين وانظر قوله تعالى لسيد المرسلين أكرم خلقه عليه : فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا انه بما تعملون بصير) حتى كان صلى الله عليه وسلم يقول شيبتني هود وأخواتها قيل عني هذه الآية وأشكالها في القرآن . وقال تعالى (فاستغفر لذنبك) الى أن من الله عليه بالغفران فقال (ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك) وقال تعالى (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) فكان مع ذلك صلى الله عليه وسلم يصلي الليل حتى تورمت قدماه فيقولون له أتفعل هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فيقول أفلا أكون عبداً شكوراً . نسأل الله تعالى الرحيم الكريم أن لا يعاملنا الا بمحض كرمه وفضله

وأما من جانب الرجاء فحدث عن رحمة الله الواسعة ولا حرج ومن ذا الذي يعرف غايتها ويحسن وصفها فانه الذي يهب كفر سبعين سنة بايمان ساعة واحدة . قال تعالى (قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف) أما ترى أمر سحرة فرعون لما قالوا آمنا برب العالمين عن صدق قلب كيف قبلهم وجعلهم في الجنة بعد قولهم بعزة فرعون انا لنحن الغالبون فهذا حال من عرفه ووحده ساعة بعد كل ذلك الكفر والضلال فكيف حال من أفنى عمره في توحيده ولا يرى لذلك أهلا في الدارين غيره . أما ترى أصحاب الكهف وقصتهم كيف أكرم كلباً تبعهم حتى ذكره في كتابه العزيز مرات ثم يدخله الجنة معهم فهذا فضله مع الكلب خطى خطوة مع قوم عرفوه ووحدوه أياما معدودات من غير عبادة فكيف فضله مع عباده المؤمنين الذين خدموه وعبدوه مدة أعمارهم ولو عاش أحدهم سبعين ألف سنة كان قاصداً العبودية . ثم انظر كيف عاتب سيد المرسلين فيما روى انه دخل من باب بني شيبة فرأى قوما يضحكون فقال لم تضحكون لا أراكم تبكون حتى اذا كان عند الحجر رجع القهقري فقال جاءني جبريل فقال ان الله يقول لك لم تقنط عبادي من رحمتي نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم . وهذا رسول الله يقول ان الله أرحم بالعبد المؤمن من الوالدة الشفيقة على ولدها . وقال صلى الله عليه وسلم ان

الله تعالى مائة رحمة واحدة منها قسمها بين الانس والجن والبهائم فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وادخر منها تسعة وتسعين لنفسه ليرحم بها عباده يوم القيامة . واذا أعطاك من هذه الرحمة الواحدة كل هذه العطايا الكريمة من معرفته سبحانه والكون من هذه الامة المرحومة ثم معرفة السنة والجماعة وسائر مالديك من النعم الظاهرة والباطنة فحقيق بأن يسعك وأمثالك في رحمته الواسعة . نسأل الله تعالي أن لايخيب آمالنا من فضله العظيم انه جواد كريم رؤف رحيم

الاصل الثالث في ذكر ما وعد وأوعد في المعاد فنذكر في هذه الاحوال الخمسة الموت والقبر والقيامة والجنة والنار ومافي كل مقام منها من الخطر للمطيعين والعاصين والمقصرين والمجتهدين * أما الموت فلنذكر فيه حال مايروي عن ابن شبرمة أنه قال دخلت مع الشعبي على رجل مريض نعوده وعنده رجل يلقنه لااله الا الله محمد رسول الله فقال الشعبي ارفق به فتكلم المريض فقال ان تلقني أولم تلقني فاني لا أدعها ثم قرأ (وألزمهم كلمة التقوي وكانوا أحق بها وأهلها) وحكي أنه حضر الفضيل عند وفاة تلميذه فجلس عند رأسه وقرأ سورة يس فقال ياأستاذ لا تقرأ هذه السورة فسكت ثم لقنه فقال قل لااله الا الله فقال لا أقولها اني بريء منها ومات على ذلك فدخل الفضيل منزله وجعل يبكي أربعين يوما ثم رآه يسحب الى جهنم فقال بأي شيء نزع الله المعرفة عنك وقد كنت أعلم تلاميذي فقال بثلاثة أشياء بالنميمة والحسد وكان لي علة فجاءني طبيب فسألته عنها فقال لي اشرب في كل سنة قدحا من الخمر فان لم تفعل تبق بك العلة فكنت أشربه نسأل الله السلامة والعافية . ثم أذكر ما حكى عن عبد الله بن المبارك انه لما احتضر نظر الى السماء فضحك وقال لمثل هذا فليعمل العاملون.

وأما القبر والحال بعد الموت فقد قال بعض الصالحين كان لي ابن استشهد فلم أره في المنام الا ليلة توفى فيها عمر بن عبد العزيز رحمه الله فرأيته تلك الليلة فقلت اي أي ألم تك ميتاً قال لا ولكن استشهدت وأنا حي عند الله تعالي أرزق فقلت ماجاء بك قال نودي في أهل السموات أن لايبقى نبي ولاصديق ولاشهيد الا ويحضر الصلاة على عمر بن عبد العزيز فجئت لاحضر الصلاة ثم جئتكم لاسلم عليكم . وروي عن هشام بن حسان أنه قال مات لي ابن حديث السن فرأيته في النوم فاذا هو شائب فقلت يابني ماهذا الشيب فقال لما قدم علينا ابن فلان زفرت جهنم لقدومه زفرة لم يبق أحد منا الا شاب

وأما القيامة فتأمل قوله تعالى (يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفداً ونسوق المجرمين الى جهنم ورداً) فوالمتقى يخرج من قبره فاذا البراق على رأس القبر والتاج والحلل فيلبس

ويركب الى جنات النعيم لايخلى من عزه أن يمشي الى الجنة برجله . والآخر يخرج من قبره فاذا بالزبانية والاغلال والانكال لايخلون الشقى يمشى برجله الى النار بل يسحب الى سولي الجحيم على وجهه نعوذ بالله من سخطه

وأما الجنة والنار فتأمل فيهما آيتين فى كتاب الله عز وجل . احداهما قوله تعالى (وسقاهم ربهم شرابا طهورا) ثانيتهما (ان هـذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكوراً) وقال تعالى حكاية عن آخرين (ربنا أخرجنا منها فان عـدنا فانا ظالمون قال اخسؤا فيها ولا تكلمون) روي انهم يصيرون عند ذلك كلابا يتعاوون فى النار . قال يحيي بن معاذ لا ندري أي مصيبة أعظم فوت الجنان أم دخول النيران . أما الجنة فلاصبر عنها . وأما النار فلاصبر عليها وعلى كل حال فوت النعيم أيسر من مقاساة الجحيم ثم الطامة الكبرى والمصيبة العظمى هي في الخلود اذ لو كان الامر على حال منقطع لكان هيناً ولكن الشأن فى أبد بلا آخر فأي قلب يحتمل ذلك وأي نفس تصبر عليه . ولذلك قال عيسى بن مريم عليهما السلام ذكر الخالدين يقطع قـلوب الخائفين . وقال بعضهم ان الغموم ثلاثة غم الطاعة أن لا تقبل . وغم المعاصي أن لا تغفر . وغم المعرفة أن تسلب فنسأل الله ربنا المنان أن لايبتلينا بمعصية وأن يتم علينا بفضله وأن يتوفانا على ملة الاسلام انه أرحم الراحمين

(فان قلت) أي الطريقين أسلك أطريق الخوف أم طريق الرجاء (فيقال لك) المركب بينهما ولذلك قيل ان الرجا كله لاهل الخوف لا لاهل الامن . والخوف كله لاهل الرجاء لا لاهل اليأس (فان قلت) فهل يكون أحدهما أرجح (فاعلم) ان العبد اذا كان صحيحاً قويا فالخوف أولى له فاذا مرض وضعف لاسيما اذا أشرف على الآخرة فالرجاء أولى له لقوله تعالى فى الحديث القدسي أنا عند المنكسرة قلوبهم من مخافتي فيصير رجاءه أولي فى ذلك الوقت لانكسار قلبه وخوفه المتقدم في زمن الصحة والقوة والامكان ولذلك يقال لهم لا تخافوا ولا تحزنوا (فان قلت) أوليس قد جاء فى الاخبار الكثيرة في حسن الظن بالله والترغيب في ذلك (فاعلم) ان حسن الظن بالله الحذر عن معصيته والخوف من عقابه والاجتهاد فى خدمته

واعلم ان الفرق بين الرجا والامنية ان الرجاء يكون على أصل والتمني لايكون على أصل . مثاله من زرع واجتهد وبذر ثم يقول ارجوان يحصل لى منه مائة قفيز فذلك منه رجاء . والآخر لايزرع ولايعمل بل ذهب ونام وغفل سنة فاذا جاء وقت البيادر يقول ارجوان يحصل لي منه مائة قفيز فيقول من أين لك هذا الرجاء وانما ذلك أمنية بلا أصل

فكذلك العبد اذا اجتهد في عبادة الله وانتهى عن معصيته ثم يقول أرجو الجنة والنجاة من النار فهذا منه رجاء . وأما من خالف أمر الله ثم يقول ذلك فهو أمنية . قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والفاجر من يتبع نفسه هواها ويتمني على الله الاماني وقال جعفر الضبعي رأيت أبا ميسرة العابد قد بدت أضلاعه من الاجتهاد فقلت له يرحمك الله رحمة الله واسعة فغضب وقال هل رأيت مني مايدل على القنوط ان رحمة الله قريب من المحسنين قال جعفر فأبكاني قوله فاذا كان الرسل والابدال والاولياء مع كل هذا الاجتهاد في الطاعة والحذر عن المعصية فأي شيء نقول أما كان لهم حسن الظن بالله بل انهم كانوا أعلم الناس بسعة رحمة الله تعالى وأحسن ظناً بجوده منك ولكن علموا أن ذلك دون الاجتهاد أمنية وغرور فاعتبر بهذه النكتة

والحاصل انك اذا تذكرت سعة رحمة الله التي سبقت غضبه ووسعت كل شيء وانه تعالى جملك من هذه الامة المرحومة الكريمة على الله بسبب نبيها صلى الله عليه وسلم وتذكرت غاية فضله العظيم وانه جعل عنوان كتابه اليك بسم الله الرحمن الرحيم وكثرة أياديه اليك ونعمه عليك باطنة وظاهرة من غير شفيع ولا قدم سابقة لك وتذكرت من جانب آخر كمال جلاله وعظمته وسلطانه وهيبته وتذكرت شدة غضبه الذي لا تقام له السماء والارض ثم تذكرت غاية غفلتك وكثرة ذنوبك وجفوتك مع دقة أمره وخطر معاملته في احاطة علمه وبصره بالغيوب والعيوب ثم حسن وعده وثوابه الذي لا يبلغ كنهه الاوهام وشدة وعيده وأليم عقابه الذى لا تحتمل القلوب ذكره فتارة تنظر الى فضله وتارة تنظر الى عذابه وتارة تنظر الي عدله وتارة تنظر الى رحمته ورأفته وطوراً تنظر الي رحمته ورأفته وطوراً تنظر الى نفسك وجفوتها وجنايتها فيؤديك ذلك الى الخوف والرجاء فنسأل الله أن يمدنا بتوفيقه وتسديده فاذا فرغت من جميع هذه العقبات السابقة وقطعتها ولم يبق لك في الطريق عائق ولا شاغل وأردت الاقبال على العبادة والاجتهاد فيها وأخذت فيها بالنشاط وعانقتها بتمام الشوق نظرت فاذا للعبادة الذى أخذت فيها فتنتان عظيمتان وهما الرياء والعجب

فاستقبلتك هاهنا العقبة السادسة عقبة القوادح فتحتاج لامحالة الى قطعها فعليك أمدنا الله واياك بتوفيقه بعد ان استبان لك السبيل واستقام لك المسير بتمييز سعيك وصيانته من الرياء والعجب وغير ذلك من الصفات المهلكات التي تفسد سعيك وتضيعه عليك بل وتحبطه وانما يحصل لك ذلك باقامة الاخلاص والمنة لله تعالى وحده والاجتناب عما ينافي ذلك ذلك لامرين أحدهما مافي فعله من الفائدة وهو حسن القبول من الله . والثاني وفور

الثواب عليه كاملا والافيكون عملك مردوداً ذاهب الثواب كلا أو بعضاً لما روي عن الله تعالى فى الحديث القدسي انه تعالى يقول أنا أغني الاغنياء عن الشرك من عمل عملا فأشرك فيه غيري فنصيبي له فاني لا أقبل الاما كان خالصاً

ثم اعلم ان الرياء يورث العبد فضيحتين ومصيبتين الفضيحة الاولي فضيحة السر وهي اللوم على رؤس الملائكة . وذلك لما روى أن الملائكة تصعد بعمل العبد مبتهجين فيقول الله ردوه الى سجين فانه لم يردني به . الفضيحة الثانية فضيحة العلانية وهي اللوم يوم القيامة على رؤس الخلائق لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان المرائى يوم القيامة ينادي بأربعة أسماء يا كافر يافاجر ياغدار ياخاسر ضل سعيك وبطل أجرك ولا خلاق لك التمس الاجر ممن كنت تعمل له يامخادع . وروي انه ينادى مناد يوم القيامة يسمع الخلائق أين الذين كانوا يعبدون النار قوموا خذوا أجوركم ممن عملتم له فاني لا أقبل من العمل ماخالطه شيء . وأما المصيبتان فاحداهما فوات الجنة قال صلى الله عليه وسلم ان الجنة تكلمت وقالت انى حرام على كل بخيل ومراء . والثانية دخول النار لما روى عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان أول مايدعى يوم القيامة رجل قد جمع القرآن ورجل قاتل فى سبيل الله ورجل كثير المال فيقول الله تبارك وتعالي ألم أعلمك ما أنزلت على رسولى فيقول بلى يارب فيقول الله ماعملت فيما علمت فيقول يارب قمت به آناء الليل وأطراف النهار فيقول الله تعالى كذبت وتقول الملائكة كذبت فيقول الله تعالى بل أردت به أن يقال فلان قاري، وقد قيل ذلك ويؤتي بالذى أوتى المال فيقول الله ألم أوسع عليك حتي لم أدعك تحتاج الى أحد فيقول بلى يارب فيقول فما عملت فيما آتيتك فيقول كنت أصل به الرحم وأتصدق فيقول الله كذبت وتقول الملائكة كذبت فيقول الله بل أردت أن يقال فلان جواد وقدقيل ذلك ويؤتي بالذى قتل فى سبيل الله فيقول ماذا فعلت وفيماذا قتلت فيقول أمرتي بالجهاد فجاهدت فى سبيلك فقاتلت حتي قتلت فيقول الله كذبت وتقول الملائكة كذبت فيقول الله تعالى بل أردت أن يقال فلان جري، وقد قيل ذلك ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على ركبتي فقال ياأباهريرة أولئك أول خلق الله تسعر بهم جهنم

(فان قلت) فما حقيقة الاخلاص والرياء وماحكمهما وما كيفية تأثيرهما فى الاعمال

(فاعلم) ان حقيقة الاخلاص عند علمائنا على ضربين اخلاص العمل واخلاص طلب الاجر . فاما اخلاص العمل فهو ارادة التقرب الى الله وتعظيم أمره واجابة دعوته والباعث عليه الاعتقاد الصحيح وضدهذا الاخلاص النفاق وهو التقرب الى غير الله *

وأما اخلاص طلب الاجر وهو ارادة نفع الآخرة بعمل الخير فهو كما قال الجنيد تصفية الاعمال من الكدورات • وقال الفضيل هو دوام المراقبة ونسيان الحظوظ كلها وهذا أراد به الاخلاص الكامل وقد قال فيه سيد الاولين والآخرين حين سئل عن الاخلاص فقال تقول ربى الله ثم تستقيم كما أمرت أي لا تعبد هواك ونفسك ولا تعبد الا ربك وتستقيم فى عبادته كما أمرت وهذا هو حقيقة الاخلاص وضد هذا الرياء وهو ارادة نفع الدنيا بعمل الآخرة

ثم اعلم ان الرياء أيضاً على ضربين رياء محض ورياء تخليط فالمحض هو أن تريد بالعمل نفع الدنيا فقط . والتخليط أن تريد به نفع الدنيا والآخرة معاً هذا حدهما . وأما تأثيرهما فاعلم ان تأثير الاخلاص بمعنييه أن يكون العمل مقبولا وافر الاجر والتعظيم خالياً عن شوائب الرد مثابا عليه الثواب الجزيل وتأثير النفاق يحبطه ويخرجه عن كونه قربة مستحقة للثواب بالوعد من الله تعالى • والصحيح ان الرياء المحض لا يكون من العارف المتذكر للآخرة وانما يكون من الجاهل الغافل والرياء المخلط لا يكون من العارف أيضاً عند بعض العلماء وان كان يبطل نصف الثواب والمختار أن تأثير الرياء دفع القبول والثواب وأن لا تقدير له بنصف وربع • وان أردت الاحاطة بأقسام الرياء وأنواعه وفروعه وآفاته وما يترتب عليه فى الدنيا والآخرة فعليك باحياء علوم الدين فان فيه ما يشفي الغليل ويبرى العليل جزي الله مؤلفه عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم خيراً فقد جمع فأوعى وأجمل وفصل وبين وأوضح وكفى به حجة للاسلام

(فان قلت) فما مواضع الاخلاص وفى أي طاعة يكون (فاعلم) ان الاعمال عند بعض العلماء على ثلاثة أقسام قسم يقع فيه الاخلاصان جميعاً وهي العبادة الظاهرة الاصلية وقسم لا يقع فيه شيء منهما وهي الاعمال الباطنة الاصلية وقسم يقع فيه اخلاص طلب الاجر دون اخلاص العمل وهو المباحات المأخوذة للعدة * وقال الشيخ ان كل عمل يحتمل الصرف الى غير الله تعالى من العبادات الاصلية يقع فيه اخلاص العمل فالعبادات الباطنية أكثرها لا يقع فيها اخلاص العمل . وأما اخلاص طلب الاجر فقال مشايخ الكرامية انه لا يقع فى العبادات الباطنية اذ لا يطلع عليها أحد الا الله تعالى فامتنعت فيها دواعي الرياء فلم يحتج فيها الى اخلاص طلب الاجر وكان الشيخ رحمه الله يقول اذا أردت من الله تعالى بالعبادات الباطنة نفع الدنيا فهو رياء فاذاً لا يبعد أن يقع الاخلاص في كثير من العبادات الباطنة وكذلك النوافل يجب معها الاخلاصان جميعاً عند الشروع فيها • وأما المباحات المأخوذة للعدة فيقع فيها اخلاص طلب الاجر دون اخلاص العمل لانها

لا تصلح ان تكون قربة لذاتها بل هي عدة القربة ثم ان اخلاص العمل يقارن العمل لا محالة ولا يتأخر عنه . وأما اخلاص طلب الأجر فربما يتأخر عنه وعند بعض العلماء يعتبر فيه وقت الفراغ من العمل فاذا فرغ على الاخلاص أو الرياء فقد انقضى الامر ولا سبيل الي استدراكه بعد وعند بعض الكرامية ما لم ينل المنفعة المطلوبة بالرياء يمكن اقامة الاخلاص فى ذلك العمل فاذا نل المطلوب فقد فات . وقال بعضهم ان الفريضة يمكن اقامة الاخلاص فيها الى الموت . وأما النوافل فلا سبيل الى ذلك قال والفرق بينهما ان الله ادخل العبد فى الفريضة فالمأمول منه التيسير والتفضل فيها وأما النوافل فان العبد أدخل نفسه فيها وكلفها بها فطولب بحق ما تكلف به وينبني على هذه المسألة فائدة وهي أن من سبق منه الرياء وترك الاخلاص فى العمل فيمكنه استدراك ذلك وتلافيه على أحد الوجوه التى ذكرناها دون باقى الوجوه الاخر

(فان قلت) هل كل عمل يحتاج الى اخلاص على حدته أم لا (فاعلم) انه قد اختلف في ذلك فقيل انه يجب الاخلاص في كل عمل على حدته وقيل يجوز تناول الاخلاص لجملة من الاعمال وأما العمل ذو الاركان كالصلاة والوضوء فيكفى فيه اخلاص واحد لان بعضه متعلق ببعض صلاحا وفسادا وصار كشيء واحد * (فان قلت) ان أراد بعمله الخير نفعاً من الله تعالي ولم يرد من الناس شيأ لا مدحة ولا سمعة ولا منفعة هل يكون ذلك رياء * (فاعلم) أن ذلك رياء قال علماؤنا رحمهم الله الاعتبار فى الرياء بالمراد الذي يراد منه فان كان مرادك بعمل الخير نفعاً دنيويا فانه ريا سواء أردته من الله تعالى أو من الناس وبعضهم عده من الاخلاص الدنيء على أن مراتب الاخلاص ثلاث عليا ووسطى ودنيا ويؤيد الاول قوله تعالى (من كان يريد حرث الآخر نزدله فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله فى الآخرة من نصيب) فحينئذ ليس الاعتبار بلفظ الرياء لكونه مشتقاً من الرؤية وانما سمي بذلك لان الارادة الفاسدة أكثر ما يكون وقوعها من الناس ورؤيتهم

(فان قلت) اذا كان القصد من الدنيا التى يريدها من الله العفة عن الناس والمعونة على طاعة الله تعالي هل يكون ذلك رياء أم لا (فاعلم) أن التعفف ليس بكثرة المال والجاه وانما هو بالقناعة بكفاية الله تعالى * وأما العدة على عبادة الله تعالى فاذا كان ذلك مراده فلا يكون رياء وكذلك ما يتصل بأمر الآخرة وأسبابها فان أراد بعمل الخير هذا النوع فلا تكون تلك الارادة رياء لان هذه الامور تكون بتلك النية خيراً وتصير فى جملة أعمال الآخرة وكذلك لو أراد أن يكون له تعظيم عند الناس ومحبة عند المشايخ قصده التمكن

من تأييد مذاهب الحق والرد على أهل البدعة والنشر لعلم أو حض الناس على العبادة أو نحو ذلك دون أن يكون القصد بذلك شرف النفس من حيث هي أو دنيا ينالها فهذه كلها ارادات سديدة ونيات محمودة لا يدخل شيء منها في باب الرياء اذ المقصود منها في الحقيقة انما هو أمر الآخرة

واعلم اني سألت بعض مشايخي عما يعتاد الناس من قراءة سورة الواقعة في أيام العسر اليس المراد بذلك أن يدفع الله تلك الشدة عنهم ويوسع عليهم بشيء من الدنيا بناء على ماجرت به العادة فكيف تصح ارادة متاع الدنيا بعمل الآخرة فقال الجواب ان المراد منهم أن يرزقهم الله قناعة أو قوتا يكون لهم عدة على عبادة الله تعالى أو قوة على دروس العلم وهذه من جملة الخير دون الرياء واعلم أن السر في هذه السورة خصوصية لها في أمر الرزق عند الشدة والخصاصة ورد به الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة رضي الله عنهم ولذلك أصل في السنة وهي ثابتة في سير العلماء رضى الله عنهم والا فلا بالاة بحمد الله بشدة في أمر الدنيا أو بسعة وهذا هو مذهب أهل التصوف وهو مذهب من لقينا من الاشياخ وبذلك جرت سيرة أسلافنا رحمهم الله تعالي وأما تقصير بعض المتأخرين فلا اعتبار به وانما ذكرنا هذا الفصل لئلا يغمز فيه مخالف جهلا منه بمقاصد القوم في أمورهم أو يغلط فيهم مبتدىء سليم الصدر لم يأخذ من العلم حقه فيقول كيف يليق هذا بحال أهل الزهد والتجرد ولم يعلم أن هذا شيء مأخوذ من السنة ومقصودهم بذلك حصول القناعة لا اتباع الشدة والشهوة ويعلم ذلك من جربه وذاقه

القادح الثاني العجب وانما يجب عليك اجتنابه لامرين أحدهما أنه يحجبك عن التوفيق والتأييد من الله تعالى فان المعجب بعمله مخذول ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه. والثاني انه يفسد العمل الصالح ولذلك قال المسيح بن مريم عليه السلام يامعشر الحواريين كم من سراج أطفأه الريح وكم من عابد قد أفسده العجب وكم من خير قيده العجب (فان قلت) فما حقيقة العجب وما معناه وما آفاته وما حكمه (فاعلم) ان حقيقة العجب استعظام العمل الصالح وضده ذكر المنة وهو أن يذكر أن ذلك انما هو بتوفيق الله وانه هو الذي شرفه وعظم ثوابه وقدره وهذا التذكر فرض عند دواعي العجب نفل في سائر الاوقات. وأما تأثير العجب في العمل فهو كما قال بعضهم ان المعجب يتعلق الاحباط فان من تاب قبل موته سلم والا أحبط عمله واليه ذهب محمد بن صابر والاحباط أن يذهب ثواب الاعمال كلها حتى لا يستحق شيئاً من ذلك. وعند غيره هو أن تذهب مضاعفة الحسنات لا غير

واعلم ان الناس في العجب ثلاثة أصناف . الاول المعجبون بكل حال وهم المعتزلة والقدرية الذين لا يرون لله تعالى عليهم منة في أعمالهم وينكرون العون والتوفيق الخالص واللطف وذلك لشبهة استولت عليهم . والثاني هم الذين ذكروا المنة في كل حال وهم المستقيمون الذين لا يعجبون بشيء من الاعمال وذلك لبصيرة أكرموا بها وتأييد خصوا به . والثالث هم المخلطون وهم عامة الناس من أهل السنة تارة يتنبهون ويذكرون المنة لله تعالى وتارة يغفلون فيعجبون (فان قلت) كيف حال القدرية والمعتزلة في أعمالهم هل هي مقبولة أم مردودة ومحبطة (فاعلم) ان في ذلك اختلافات كثيرة . فقيل انها محبطة لمكان اعتقادهم . وقيل لا يحبط لهم عمل باعتقادهم لانهم من فرق المسلمين في الجملة (فان قلت) هل سوى العجب والرياء شيء قادح في العمل (فالجواب) نعم ان في العمل قوادح غيرهما وانما اقتصرنا في الذكر عليهما لانهما الاصل الذي يدور عليه معظم الباب . وقد قال بعض المشايخ من حق العبد أن يحفظ في العمل من عشرة أشياء . النفاق . والرياء . والتخليط والمنة . والاذي . والندامة . والعجب . والحسرة . والتهاون . وخوف ملامة الناس . وذكر شيخنا رحمه الله تعالى آفات هذه الاخلاق كلها وذكر اضدادها فقال ضد النفاق اخلاص العمل وضد الرياء اخلاص طلب الاجر وضد التخليط التفريد . وضد المن تسليم العمل لله وضد الاذى تحسين العمل وضد الندامة تثبيت النفس وضد العجب رؤية المنة من الله تعالى وضد الحسرة اغتنام الخير وضد التهاون تعظيم التوفيق وضد الخوف ملازمة الخشية . واعلم ان النفاق يحبط العمل والرياء يوجب رده والمن والاذي يحبط الصدقة من أصلها في الوقت وعند بعضهم يبطل مضاعفتها وأما الندامة فانها تحبط العمل اتفاقا والعجب يذهب مضاعفة العمل والحسرة وخوف الملامة والتهاون تخفف العمل فتذهب رزانته

ولنذكر في الرياء والعجب أصولا مقنعة . الاصل الاول الرياء فنذكر فيه قوله تعالى (الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن) الآية فكانه تعالى يقول اني خلقت السموات والارض وما بينهما من الصنائع والبدائع فاكتفيت لتعلم اني قادر وأنت تصلي ركعتين مع ما فيهما من المعائب والتقصير فلا تكتفي بنظري اليك حتي تحب أن يعلم الخلق ليمدحوك بذلك أيكون ذلك وفاء أو عاقل يرضاه لنفسه * الاصل الثاني ان من كان له جوهر نفيس يمكنه أن يأخذ في ثمنه الف الف دينار فباعه بفلس أليس يكون ذلك خسرانا عظيما ودليلا بينا على خسة العقل وقصور العلم وضعف الرأي وما ينال العبد بعمله من الخلق من مدح وحطام بالاضافة الى رضا الرب وشكره وثنائه كفلس في

جانب الف الف دينار بل في جنب الدنيا وما فيها واكثر أفلا يكون ذلك من الخسران المبين . ثم ان كان لا بد لك من هذه الهمة الخسيسة فتقصد أنت الآخرة تتبعك الدنيا بلا طلب قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يعطي الدنيا بعمل الاخرة ولا يعطي الآخرة بعمل الدنيا فاذا أنت أخلصت النية وجردت الهمة للآخرة حصلت لك الدنيا والآخرة جميعاً فتأمل أيها العاقل * الاصل الثالث ان المخلوق الذي تعمل لاجله وتطلب رضاه لو علم منك انك تعمل لذلك لبغضك وسخط عليك واستهانك مع انه لا يقدر على نفعك ولا ضرك فاعمل يا مسكين لمن اذا عملت لاجله وقصدته بسعيك وطلبت رضاه بذلك أحبك واكرمك واعطاك حتي ارضاك واغناك عن الكل * الاصل الرابع ان من حصل له شيء يمكن أن يكتسب به رضا أعظم ملك في الدنيا فطلب به رضي كناس خسيس بين الناس فيكون ذلك دليلا على السفه ورداءة الرأي وفساد العقل ويقال له ما حاجتك الى رضا هذا الكناس مع امكانك من ارضاء الملك فكيف وقد سخط الناس عليك بسبب سخط الملك عليك ففاتك الكل فهذا حال المرائي فسبيلك أن تجرد ارادتك وتخلص سعيك الي الله فان القلوب والنواصي بيده فهو يميل اليك القلوب ويجمع عليك النفوس ويشحن بحبك الصدور فتنال بذلك ما لا تناله بجهدك وقصدك وان لم تفعل ذلك وقصدت بعملك رضا المخلوقين دون الله فانه يصرف عنك القلوب وينفر عنك النفوس ويسخط عليك الخلق فيحصل لك سخط الله وسخط الناس جميعاً فياله من خسران وحرمان

وأما العجب فلنذكر فيه أصولا أيضاً مقنعة في ذمه وحاثة على تركه * الاصل الاول ان فعل العبد انما صار له قيمة لما وقع من الله موقع الرضى والقبول ألا تري ان المستأجر يعمل طول النهار والحارس يسهر طول الليل بدانقين أو درهمين فتكون قيمته ذلك وأنت اذا صرفت الفعل لله سبحانه وحده نصمت له يوما أحسن لك الاجر والثواب الوافر فقد قال تعالى (انما يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب) ولو قمت ليلة لله تعالى وأخلصتها له كان قيامك لا قيمة له في الشرف والنفاسة قال تعالى (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) فهذا الذي قيمته بدانقين أو بدرهمين صار بهذه القيمة والقدر فافهم * الاصل الثاني هلا علمت ان ملكا من ملوك الدنيا أجري على واحد جراية من طعام أو كسوة أو دراهم أو دنانير معدودة فانية فانه يخدمه بضروب من الخدمة آناء الليل وأطراف النهار مع ما في ذلك من الذل والصغار وربما يبدو له عدو فيحتاج أن يقاتل عدوه فيبذل روحه التي لا عوض له عنها لاجل تلك المنفعة النكدة الحقيرة مع انها في

الحقيقة من الله تعالى وإنما هو بمنزلة السبب ثم أنك تصلي ركعتين مع ما فيهما من التقصير والاختلال وما يترتب على فعلهما من الوعد في المستقبل بالثواب وضروب الكرامات وأنت تستعظم ذلك وتعجب به فهل هذا من شأن العقلاء * الأصل الثالث ان الملك الذي شأنه أن يخدمه الملوك والامراء والسادات والعظماء فمن الخدم على بابه جبريل الامين وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وحملة العرش والكروبيون والروحانيون وسائر الملائكة المقربين الذين لا يحصي عددهم الا الله رب العالمين ثم من خدمه الذين هم على بابه آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد خير البرية مع سائر الانبياء والمرسلين فبي هذه العظمة والجلال والملك والكمال قد أذن لك مع حقارتك وعيوبك وأنت الذي لو استأذنت على رئيس بلدك فربما لا يأذن لك وان تكلمت لامير ناحيتك فربما لا يكلمك وان سجدت له فربما لا يلتفت اليك فكيف وقد أذن الله جل جلاله لك حتى تعبده وتثني عليه وتخاطبه بل تدل عليه بالمسألة وتباسطه وتستقضيه حوائجك وتستكفيه مهماتك ثم انه يرضى بركعتين منك مع ما اشتملتا عليه من العيوب ويعدلك من الثواب عليهما ما لا يخطر بقلب بشر وأنت مع ذلك تعجب بهاتين الركعتين وتستكثر ذلك وتستعظمهما وما ذلك الا سفاهة منك ألا ترى ان ذلك كله من نعم الله وتوفيقه لك . قال شيخنا وانظر أيها الغافل هل وجهت صلاة قط من صلاتك الى السماء كالهدية تبعثها الى بيوت الاغنياء . وكان أبو بكر الوراق رحمه الله يقول ما فرغت من صلاة الا استحييت حين فرغت منها أشد حياء من حياء امرأة فرغت من الزنا

ثم اعلم ان ههنا ثلاثة أمور دقة الامر وشدة الغبن وعظم الخطر فاما دقة الامر فان مجاري العجب والرياء في الاعمال دقيقة جداً ولا يكاد يتنبه لذلك الا كل نحرير في أمور الدين بصير متيقظ القلب محترز مجتهد وأنى يطلع على ذلك الجاهل والغافل النؤم . وقد حكي عن عطاء السلمي انه نسج ثوبا فأحكمه وحسنه جداً ثم حمله الى السوق فعرضه واسترخصه البزاز فقال ان فيه عيوبا كيت وكيت فأخذه عطاء وجلس يبكي بكاء شديداً فندم الرجل على ذلك وجعل يعتذر اليه ويبذل فيه ثمن ما يريد فقال عطاء ليس ذلك ما تظن انما أنا عامل في هذه الصناعة وقد اجتهدت في احكام هذا الثوب واصلاحه وتحسينه حتى لا يوجد فيه عيب فلما عرض على البصير بعيوبه أظهر فيه عيوبا كثيرة كنت عنها غافلا وكيف أعمالنا هذه اذا عرضت غداً على الله الخبير البصير كم يبدو فيها من العيوب والنقص التي نحن اليوم عنها غافلون

وأما شدة الغبن فان الرياء والعجب آفتان عظيمتان يتهاز في لحظة فربما أفسدا

عليك عبادة سنين كثيرة وان أقل طاعة سلمت من هاتين الآفتين كان لها عند الله قيمة فاخرة عظيمة وأكبر طاعة أصابها شيء من هاتين الآفتين فلا قيمة لها الا ان يتدارك الله برحمته * وعن وهب رحمه الله قال كان فيمن كان قبلكم رجل عبد الله سبحانه وتعالى سبعين عاماً صائماً لم يفطر الا من سبت الى سبت فطلب من الله حاجة فلم تقض فاقبل على نفسه وقال لو كان عندك خير لقضيت حاجتك فأنزل الله ملكا فقال يا ابن آدم ساعتك التي أزريت فيها نفسك خير من عبادتك التي مضت (قلت) فلينظر العاقل الى هذه وأمثالها أليس من الغبن ان واحداً يكدح ويتعب سبعين سنة وآخر يتفكر ساعة واحدة فيكون فكره ساعة أفضل من سبعين سنة مع تمكنه من الفكر وتركه من غير مانع بلى والله انه لمن أعظم الغبن ولمثل هذا المعنى وقع نظار أولى البصائر من العباد واهتموا لمثل هذه الاسرار بمعرفتها أولا ثم رعايتها والتحفظ منها ثانياً ولم يقنعوا بكثرة الاعمال الظاهرة وقالوا الشان فى الصفوة لا في الكثرة وقالوا جوهرة واحدة خير من ألف خرزة

وأما عظام الخطر فمن وجوه . أحدها ان المعبود ملك لا نهاية لجلاله وعظمته وله عليك نعم لا تعد ولا تحصى ولك بدن معيب بعيوب خفية معروف بآفات كثير وأمر مخوف ان وقع لك زلل مع تسارع النفس اليه فتحتاج الى أن تستخرج عملا صافياً سالماً من بدن معيب ونفس ميالة الى الشر أمارة بالسوء علي وجه يصلح لرب العالمين ويقع موقع الرضا والقبول والا فيفوتك الربح العظيم وهذا والله شأن عظيم وخطب جسيم

أما جلال الملك وعظمته ان الملائكة الابرار قائمون له بالعبادة آناء الليل والنهار حتى ان منهم من هو قائم منذ خلقه الله ومنهم من هو في ركوع ومنهم من هو فى سجود ومنهم من هو في تسبيح وتهليل فلا يتم القائم قيامه ولا الراكع ركوعه ولا الساجد سجوده ولا المسبح تسبيحه ولا المهلل تهليله ماداً به صوته الى نفخة الصور ثم اذا فرغوا من هذه الخدمة العظيمة نادوا بأجمعهم سبحانك ماعبدناك حق عبادتك وكذلك النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك معناه اني لا أقدر أن أثني عليك ثناء أنت له أهل فضلا عن أن أعبدك كما أنت له أهل . وقد قال عليه الصلاة والسلام ليس أحد يدخل الجنة بعمله قالوا ولا أنت يارسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدني الله برحمته .

وأما النعم والايادي فقد قال تعالى (وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها) وقد روي انه يحشر الناس على ثلاثة دواوين ديوان الحسنات وديوان السيئات وديوان النعم فيقابل

الحسنات بالنعم فلا يؤتي بحسنة الا أتى بنعمة حتى تم الحسنات وتبقى السيئات والذنوب ولله فيها المشيئة . وعن أبي يزيد رحمه الله قال كابدت العبادة ثلاثين سنة فرأيت قائلا يقول ياأبا يزيد والله خزائنه مملوءة بالعبادة ان أردت الوصول اليه فعليك بالذل والافتقار

ويحكي عن الاستاذ أبي الفضل رحمه الله أنه كان يقول اني أعلم ان ماأعمله من الطاعات غير مقبول عندالله فقيل له في ذلك فأجاب اني أعلم مايحتاج اليه من الفعل حتى يكون مقبولا وعلمت اني لاأقوم بذلك فعلمت انها غير مقبولة فقيل له فلم تفعلها قال عسى أن يصلحني الله يوما فتكون النفس متعودة بعمل الخير فلا أحتاج الى أن أعودها ذلك من الرأس فهذا حال هؤلاء الاعلام • وذوي المجاهدات والاقدام

وبالجملة انك اذا أمعنت النظر رأيت قدر طاعة الله تعالى ورأيت عجز الخلق وضعفهم وجهلهم فلا تلتفت اليهم بقلبك وكن زاهداً في شأنهم والزم الباب بالقرع والابتهال والبكاء آناء الليل وأطراف النهار فانه لا نجاة الا برحمته . ولا كان الا بقدرته ومشيئته . فاذا قطعت هذه العقبات وتخلصت منها وأخذت في أسباب العبادة واشتغلت بها بما يجب وينبغي لها نظرت فاذا أنت غريق في بحر منن الله تعالى ونعمه من امداده بالتوفيق والعصمة وأنواع التأييد والحراسة فتخاف أن يكون منك اغفال عن الشكر فتقع في كفران النعمة فتنحط عن تلك الرتبة الرفيعة التي هي مرتبة الخدم المخلصين لله تعالى فتحتاج الى قيد تقيد به تلك النعم وتستزيدها به وذلك القيد هو الحمد والشكر لقوله تعالى (لئن شكرتم لازيدنكم)

فاستقبلتك ههنا العقبة السابعة عقبة الحمد والشكر فعليك وفقنا الله واياك بتوفيقه وأمدنا واياك باعانته ورعايته بعد قطع هذه العقبات . والظفر بالمقصود من العبادات السالمة من الآفات . بالحمد والشكر لله تعالى على هذه النعمة العظيمة وانما يلزمك ذلك لامرين . أحدهما تقييد النعمة ودوامها . والثاني حصول الزيادة منها * أما دوام النعمة فلان الشكر قيد النعم به تدوم وتبقى وبتركه تزول وتحول قال تعالى (مايفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم) وقال صلى الله عليه وسلم ان للنعم أوابد كاوابد الوحوش فقيدوها بالشكر • وأما حصول الزيادة فقال تعالى (لئن شكرتم لأزيدنكم) لان الشكر من جملة مقامات السالكين وهو أيضا ينتظم من علم وحال وعمل . فالعلم بثلاثة أمور . الاول بعين النعمة ووجه كون النعمة في حقه وبداية النعم ووجود صفاته التي بها يتم الانعام ويصدر الانعام منه عليه فانه لابد من نعمة منعم ومنعم عليه فلا يتم له ذلك الا بعد معرفة ان النعم كلها من الله تعالى فهو المنعم حقيقة والوسائط انما هم مسخرون من قبله . والثاني الحال المستمد

من أصل المعرفة وهو الفرح بالنعم مع المحبة والخضوع والتواضع وهو أيضاً في نفسه شكر على تجريده كما ان المعرفة شكر ولكن انما يكون الشكر اذا كان حاويا لشرطه وشرطه ان يكون الفرح بالمنعم لا بالنعم ولا بالانعام ولعل هذا مما يتعذر عليك فهمه فنوضح لك ذلك بضرب مثل فنقول

الملك الذي يريد الخروج الى سفر فأنعم على انسان بفرس يتصور أن يفرح المنعم عليه بالفرس من ثلاثة أوجه . أحدها أن يفرح بالفرس من حيث انه فرس ومال ينتفع به وهذا الفرح لمن لاحظ له في الملك بل غرضه الفرس فقط . الثاني أن يفرح به لا من حيث انه فرس بل من حيث انه يستدل به على عناية الملك وشفقته عليه. الثالث أن يفرح به ليركبه في خدمة الملك فيحتمل مشقة السفر لينال بخدمته رتبة القرب منه وربما يرتقي الى درجة الوزارة فهذه ثلاث درجات . فالاولى لا يدخل فيها معني الشكر أصلا والثانية دخلت في معني الشكر من حيث انه فرح بالمنعم .والثالثة هي أن يكون فرح العبد بنعمة الله تعالى من حيث انه يقدربها على التوصل الى القرب منه سبحانه والنزول في جواره والنظر الى وجهه الكريم على الدوام وهذه هي المرتبة العليا ٭ الامر الثالث العمل بموجب الفرح الحاصل من معرفة المنعم وهذا العمل يتعلق بالقلب واللسان وبالجوارح ٠ أما القلب فقصد الخير واضماره لكافة الخلق ٠ وأما اللسان فباظهار الشكر بالتحميد له عليه ٠ وأما الجوارح فباستعمال نعم الله تعالى في طاعته فشكر العينين ستر كل عيب يراه لمسلم وغيرذلك مما يناب النظر فيه وصرفه عن العورات وكل ما يحرم النظر له وشكر الاذنين باستماع القرآن والعلوم النافعة وصرفه عما لايجوز سمعه وان تستر كل عيب تسمعه لمسلم

ثم ان النعم قسمان دنيوية ودينية . فالدنيوية ضربان نعمة نفع ونعمه دفع فنعمة النفع اعطاء المصالح والمنافع وهى ضربان الخلقة السوية وسلامتها وعافيتها والملاذ الشهية من المطعم والمشرب والملبس والمنكح وغيرها . ونعمة الدفع صرف المفاسد والمضرات وهي ضربان أحدهما في النفس بأن سلمك من فتن الزمان وسائر الآفات والعلل . والثاني دفع مايلحقك به من ضرر من أنواع العوائق أو يقصدك بسوء من انس أوجن أوسبع أو هوام أو نحو ذلك

وأما النعم الدينية فضربان نعمة التوفيق ونعمة العصمة فنعمة التوفيق أن يوفقك أولا للاسلام ثم للسنة ثم للطاعة. ونعمة العصمة أن يعصمك أولا من الكفر والشرك ثم من البدعة والضلالة وسائر المعاصي فهذه النعم مما يعجز الخلق عن احصائها فلا يحصيها

الا المنم سبحانه وتعالى وقد قال (وان تعدوا نعمت الله لاتحصوها) (فان قيل) فما حقيقة الحمد والشكر وما معناهما وحكمهما (فاعلم) ان العلماء فرقوا بين الحمد والشكر عند التحصيل بأن الحمد من اشكال التسبيح والتهليل فيكون من المساعي الظاهرة والشكر من اشكال الصبر والتفويض فيكون من المساعي الباطنة والشكر يقابل الكفر والحمد يقابل اللوم والحمد أعم وأكثر والشكر أخص وأقل قال تعالى (وقليل من عبادي الشكور) فثبت انهما معنيان متميزان . ثم الحمد هو الثناء على الله تعالى بالفعل الحسن كما هو مقتضي كلام شيخنا. والشكر كما قال ابن عباس رضي الله عنهما هو الطاعة بجميع الجوارح لرب الخلائق في السر والعلانية واليه ذهب بعض مشايخنا فقال الشكر هو اداء الطاعة فى الظاهر والباطن ثم رجع الى انه اجتناب المعاصي ظاهراً وباطناً . وأما الاجتناب عن المعصية فهو أن لايفعل المعصية عند دواعيها ولا يكون فى نفسه معني محصلا يكون العبد مشتغلا وعن الكفران معتصما .وقال شيخنا الشكر هو تعظيم المنم على مقابلة نعمته على حد يمنعه عن جفاء المنم وكفرانه اذ أقل مايستوجبه المنم بنعمته أن لايتوصل بها الى معصيته وما أقبح حال من جعل نعمه سلاحاً وعدة على معصيته (فان قلت) فما موضع الشكر (فاعلم) أن موضعه النعم دينية كانت أو دنيوية على اقدارها . وأما الشدائد والمصائب فى الدنيا فى نفس أومال أو أهل فقال بعضهم لايلزم العبد الشكر عليها من حيث هى شدة أومصيبة وانما يجب فيها الصبر والشكر انما يكون على النعمة لاغير وقالوا لاشدة الاوفى جنبها نعم من الله تعالي فيلزم العبد الشكر على تلك النعم المقترنة بها دون نفس الشدة ولهذا قال عمر رضي الله عنه ما ابتليت ببلية الا كان لله تعالي على فيها أربع نعم إذ لم تكن في ديني واذ لم تكن أعظم منها واذ لم أحرم الرضابها واذ رجوت الثواب عليها *وقال شيخنا ان شدائد الدنيا مما يلزم العبد الشكر لان تلك الشدائد نعم فى الحقيقة بدليل أنها تعرض العبد لمنافع عظيمة ومثوبات جزيلة واعواض كريمة فى العاقبة أماتري كيف يقول تعالى (فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً) وليست النعمة خيراً عن اللذات وماتشتهيه النفس بمقتضي الطبع انما النعمة مايزيد فى رفع الدرجات ولذلك تسمي نعمة فى معني الزيادة

(فان قلت) فهل الشاكر أفضل أم الصابر (فاعلم) أنه قد قيل ان الشاكر أفضل بدليل قوله تعالى (وقليل من عبادي الشكور) فجعلهم أخص الخواص وقال في نوح عليه السلام (انه كان عبدا شكورا) ولذلك قال بعضهم لان أنعم فاشكر احب الي من أن أبتلى فاصبر .وقيل بل الصابر أفضل لانه أعظم مشقة فيكون أعظم ثوابا وأرفع منزلة قال تعالى

(انا وجدناه صابراً نعم العبد انه أواب) ثم ان الشاكر فى الحقيقة لايكون الاصابراً والصابر في الحقيقة لا يكون الاشاكرا لان الشاكر فى دار المحنة لايخلو من محنة يصبر عليها لامحالة ولايجزع منها فان الشكر تعظيم المنعم على حد يمنعه من عصيانه والجزع عصيان والصابر لايخلو من نعمة كما ذكرناه آنفا من أن الشدائد نعم فى الحقيقة فانه شكر فى الحقيقة اذا صبر لان حبس النفس عن الجزع تعظيما لله تعالى لتوفيقه للصبر والعصمة نعمة يشكر عليها الصابر اذا علمت ذلك علمت انهما متلازمان حقيقة وانه متى وجدت حقيقة الصبر وجدت حقيقة الشكر وبالعكس فأحدهما لاينفك عن الآخر

وتأمل هنا أصلين أحدهما أن النعمة انما تعطى من يعرف قدرها ولايعرف قدرها الا الشاكر بدليل قوله تعالى حكاية عن الكفار والرد عليهم (أهؤلاء من الله عليهم من بيننا) فاجابهم الله تعالى بهذه النكتة الباهرة (أليس الله بأعلم بالشاكرين) تقدير الكلام ان السيد الكريم انما يعطي النعمة من يعرف قدرها وانما يعرف قدرها من أقبل عليها بنفسه وقلبه واختارها على غيرها ولا يعبأ بما يتحمل من اعباء المؤنة وتحصيلها ثم لايزال قائما بالباب حتى يؤدي شكرها فاذا أردت ذلك لزمك أن تبذل مجهودك لتعرف قدر نعمة الله تعالى وتعظمها حق تعظيمها فتكون أهلا لها ولاعطائها ثم يمن عليك بابقائها كما من عليك بابتدائها * الاصل الثانى أن النعمة انما تسلب ممن لايعرف قدرها والذي لايعرف قدرها هو الذى كفرها بعدم الشكر عليها ويدل لهذا قوله تعالى (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين) تقدير ذلك والله أعلم انما أنعمنا على هذا العبد بالنعم العظام والايادي الجسام في باب الدين بما ملكنا بذلك من تحصيل الرتبة العلية الكبيرة على بابنا ليصير بذلك رفيع القدر كثير الجاه ولكنه جهل قدر نعمتنا فمال الى الدنيا الخسيسة وآثر شهوة نفسه ولم يعلم أن الدنيا لاتزن عند الله جناح بعوضة فكان بذلك بمنزلة الكلب الذي لايعرف الاكرام من الاهانة والرفعة والشرف وانما الكرامة عنده فى كسرة يطعمها أو عراق مائدة يرمي اليه سواء تقعده على سرير ملك أو تقيمه فى التراب والقذر بين يديك فهمته وكرامته ونعمته كلها في ذلك وهذا العبد السوء اذا جهل قدر نعمتنا بالالتفات الى غيرنا والاشتغال عن ذكر نعمتنا بدنيا حقيرة ولذة خسيسة نظرنا اليه نظر السياسة وأحضرناه ميدان العدل وأمرنا فيه فيه بحكم الجبروت فسلبناه جميع خلعنا وكرامتنا ونزعنا من قلبه معرفتنا فانسلخ عاريا عن جميع ما آتيناه من فضلنا فصار كلبا طريداً أو شيطانا رجيما فنعوذ بالله من سخطه فانه بنا رؤف رحيم فهذا حال العالم اذا مال الى الدنيا والعابد اذا اتبع هواه بعد ما أكرمه الله

بعبادته ومعرفة آياته وشريعته وأحكامه ثم انه لما لم يعرف قدر ذلك وصار الى أحقر شيء عند الله تعالى فرغب فيه وحرص عليه وكان أعظم شيء في قلبه وأحب اليه من جميع ما اعطاه الله من تلك النعم الغزيرة من العلم والعبادة والحكم والحقائق وكذلك من خصه الله بأنواع توفيقه وعصمته وزينه بأنواع خدمته وبديم اليه النظر برحمته ويباهي به ملائكته وأعطاه على بابه القيادة والوجاهة وأحله بمحل الشفاعة وأنزله منزلة الاعزة حتى صار بحيث لو دعاه أجابه ولباه ولو اقسم عليه لابره ولو خطر بباله شيء لاعطاه قبل أن يسأله بلسانه ومن كانت هذه حاله ثم لم يعرف قدر هذه النعم ولم ينظر الى قدر هذه المنزلة فيعدل عن ذلك الى شهوات نفس وينسى ما أعد الله له في الآخرة من الثواب العظيم فما أحقرها من نفس وما أسوأه من عبد وما أعظم خطره فعليك أيها الرجل ببذل المجهود حتى تعرف قدر نعم الله تعالى عليك فاذا أنعم عليك بنعمة الدين فاياك أن تلتفت الى الدنيا وحطامها أما تسمع قوله لسيد المرسلين (ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم لاتمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم) الآية تقديره ان كل من أوتي القرآن العظيم حق له أن لا ينظر الى الدنيا الحقيرة نظرة استحلاء فضلا عن ان يكون له رغبة فيها فيلزمه الشكر على ذلك فانها الكرامة ولقد حرص خليله ابراهيم عليه السلام أن يمن بها على أبيه فلم يفعل وحرص حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم أن يمن بها على عمه أبي طالب فلم يفعل

وأما حطام الدنيا فانه يصيبه كل كافر وفرعون وفاسق قال تعالى (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة) الآية ويصرفه عن كل نبي وصفي وصديق وعالم وعابد الذين هم أعز خلق الله عليه فاذا نظرت وعرفت الفرق بين الفريقين ان كنت بصيراً فقل الحمد لله الذي من علي بما من به على أوليائه وأصفيائه وصرف عني فتنة أعدائه وتمحض الشكر الاوفر والحمد الاكبر والمنة الكبري والنعمة العظمي التي هي نعمة الاسلام فانها الاولي والاخري

واعلم بالحقيقة انك لو خلقت من أول الدنيا وأخذت في شكر الاسلام الى الابد لما قمت بذلك أما تسمع قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان) وقال (وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما). وقيل ما من كلمة أحب الى الله ولا أبلغ عنده في الشكر من أن يقول العبد الحمد لله الذي أنعم علينا وهدانا للاسلام واياك أن تغفل عن الشكر وتغتر بما أنت عليه في الحال من الاسلام والمعرفة والتوفيق والعصمة فان مع ذلك لا موضع للامن والغفلة فان الامور

الهرالهرب وكان سفيان الثورى رحمه الله يقول ما أمن أحـد على دينه الا سلب . وعن بعض الصحابة رضى الله عنه كم من مستدرج بالاحسان اليه وكم من مغبون بحسن القول فيه وكم من مغرور بالستر عليه

واعلم انك كلما صرت أقرب فأمرك أخوف وأصعب والمعاملة أشد وأرق والخطر عليك أعظم . وكان سفيان الثورى رحمه الله يقول اللهم سلم اللهم سلم كأنه فى سفينة يخشى الغرق وبلغنا عن محمد بن يوسف أنه قال تأملت سفيان الثوري ليلة فبكى الليل أجمع فقلت بكاؤك هذا على الذنوب قال لا وحمل تبناً وقال الذنوب أهون على الله من هذا انما أخشى أن يسلبني الاسلام والايمان والعياذ بالله تعالى . والحاصل انك اذا أحسنت النظر فى منن الله تعالى العظام عليك وأياديه الجسام لديك التى لا يحصيها قلبك ولا يحيط بها وهمك حتى خلفت هـذه العقبات الصعاب فوجـدت العلوم والبصائر . وتطهرت من الاوزار والكبائر . وسبقت العوائق ودفعت العوارض وظفرت بالبواعث وسلمت من القوادح فكم حصل لك فيها من خصلة شريفة . وزينة منيفة . أولها التبصير والتعريف . وآخرها التقريب والتشريف . فتأملت فيها بمقدار عقلك وتوفيقك وشكرت الله تعالى جل جلاله على قدر طاقتك بأن تشغل لسانك بحمده وثنائه وتملأ قلبـك بعظمته لتبلغ مبلغاً يحول بينك وبين معاصيه ويبعثك على الخدمة له بما أمكنك معترفا بالقصور عن حق انعامه واحسانه وكلما غفلت عن شكره أو فترت أو قصرت عدت فاجتهـدت وتضرعت اليـه وتوسلت وقلت يا الله يا مولاي كما بدأت بالاحسان بفضلك من غير استحقاق فأتمه أيضا بفضلك من غير استحقاق وتناديه بنداء الاولياء الذين وجدوا تاج هدايته وذاقوا حلاوة معرفته فخافوا على أنفسهم حرق الطرد والاهانة ، ووحشة البعد والضلالة ومرارة العزل والازالة فتضرعوا بالباب مستغيثين . ومدوا اليه الاكف مبتهلين . ونادوه فى الخلوات مستصرخين . (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمـة انك أنت الوهاب) كنت حينئذ من العارفين الصادقين (فان قلت) العمر قصير وهـذه عقبات طويلة شديدة فكيف يبقى العمر حتى تكمل هذه الشرائط وتقطع هذه العقبات (فاعلم) ان العقبات طويلة والشرائط فيها شديدة كما ذكرت ولكن اذا أراد الله تعالى أن يجتبي عبده قصر عليه طويلها وهون عليه شديدها فمنهم من يحصـل له ذلك فى لحظة بتوفيق الهي ومنهم فى ساعة ومنهم في جمعة ومنهم في شهر حتى يقوا . بعد قطعها ما أقرب هذه الطريق وأقصرها ومنهم في سبعين سنة لا يسئل عما يفعل وهم يسـئلون وليس هـذا الطريق في طوله وقصره كالمسافة التي تقطعها بالاقدام انما هو طريق روحاني تسلكه

القلوب فتعاطيه بالفكر والذكر على أحسن العقائد . والبصائر أصلها نور سماوي ونظر الهي يقع فى قلب العبد ينظر به فيري أمر الدين بالحقيقة ثم هذا النور ربما يطلبه العبد مائة سنة فلا يجده ولا يري أثراً منه وذلك لخطئه في الطلب، وتقصيره فى الاجتهاد وجهله بطريق السير وكيفيته

(فان قلت) ما أعظم هذا الخطر وأشد هذا الامر (فأقول) الامر شديد ولذلك قال تعالي (لقد خلقنا الانسان فى كبد) وقال تعالى (انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوماً جهولا) وقال صلى الله عليه وسلم لو علمتم ما أعلم لبكيتم كثيراً ولضحكتم قليلا . وروى أن المنادي ينادى من السماء ليت الخلائق لم يخلقوا وليتهم اذا خلقوا عملوا لما خلقوا ولذلك تمني السلف رضي الله عنهم عدم كونهم من بني آدم فقد ثبت عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال وددت اني كنت خضرة تأكلني الدواب مخافة العذاب . وعن الفضيل اني لا أغبط ملكا مقربا ولا نبياً مرسلا ولا عبداً صالحاً أليس هؤلاء يعاينون القيامة انما أغبط من لم يخلق . وعن عطاء السلمى لو أن نارا أوقدت فقيل من ألقى نفسه فيها صار لا شيء لخشيت أن أموت من الفرح قبل أن أصل الى النار فالامر اذاً أيها الرجل شديد كما تقول بل أشد وأعظم مما تظن وتتوهم ولكنه أمر سبق في العلم القديم فلا حيلة للعبد الا بذل المجهود في العبودية والاعتصام بحبل الله والابتهال دائماً الى الله عسى أن يرحمه فيسلمه بفضله (فان قلت) كل هذا لماذا (فأقول) لان هذا الكلام منك يدل على غفلة منك عظيمة بل الصواب أن تقول كل هذا فى جنب ما يطلبه العبد الضعيف ماذا أتدري ما يطلبه العبد فأقل ما يطلبه على الجملة شيآن . أحدهما السلامة فى الدارين . والثانى الملك فيهما أما السلامة فلان الدنيا وفتنها وغوائلها كثيرة شديدة اذ لم يسلم منها الملائكة المقربون وقد سمعت حديث هاروت وماروت حتي روى انه اذا عرج بروح العبد الى السماء تقول الملائكة متعجبين كيف نجا هذا من دار فسد فيها خيارنا * وأما شدائد الآخرة وأهوالها بحيث يصرخ فيها الانبياء والرسل نفسي نفسي لا أسألك اليوم الا نفسي حتي روى انه لو كان للرجل عمل سبعين نبياً لظن انه لا ينجو فمن أراد أن يسلم من فتن هذه فيخرج منها بالاسلام سالماً لم يصبه شيء من فتنها ومن أراد أن يسلم من أهوال الآخرة فيدخل الجنة سالماً لا تصيبه نكبة فهل يكون ذلك أمراً هيناً لا والله ليس بالهين * وأما الملك والكرامة فان الملك نفوذ التصرف والمشيئة وذلك بالحقيقة فى الدنيا لاولياء الله تعالى وأصفيائه الراضين بقضائه البحر والارض لهم قدم والحجر والمدر لهم ذهب والانس

والجن والبهائم والطير لهم مسخرون لا يريدون شيئاً الا وهو بهم كائن لانهم لا يشاؤن الا ما شاء الله وما شاء الله كان ولا يهابون أحداً من الخلق ويهابهم كل الخلق ولا يخدمون أحداً الا الله ويخدمهم كل من دون الله وأنى لملوك الدنيا بعشر معشار هذه الرتبة بل هم أقل وأذل

وأما ملك الآخرة فقد قال تعالى (واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيراً) وأنت تعلم أن الدنيا بأسرها قليلة وكيف حال من يطالب الملك الكبير في دار النعيم الخالد أيستكبر مع ذلك أن يصلي ركعتين لله تعالى وينفق درهمين أو يسهر ليلتين كلا بل لو كان ألف ألف نفس وألف ألف روح وألف ألف عمر كل عمر منها مثل عمر الدنيا وأكثر فبذل ذلك كله فى هذا المطلوب العزيز لكان ذلك قليلا ولئن ظفر بعده بمقصوده كان ذلك غنما كبيراً وربحاً عظيما ثم ان الله تعالى يكرم عبده بالجنة أربعين كرامة عشرين منها فى الدنيا وعشرين فى العقبى

أما التي فى الدنيا . فالاولى أن يذكره الله تعالى ويثني عليه . والثانية أن يشكره الله جل جلاله ويعظمه . والثالثة أن يحبه . والرابعة أن يكون له وكيلا يدبر أموره . والخامسة ان يكون كفيلا لرزقه . والسادسة أن يكون له نصيراً . والسابعة أن يكون له أنيساً . والثامنة ان يعزه فلا يلحقه ذل . والتاسعة رفع همته عن التلطخ بأقذار الدنيا وأهلها . والعاشرة ان يجعل قلبه غنياً . والحادية عشرة ان ينور قلبه فيهتدي بنور قلبه الى ادراك العلوم والاسرار . والثانية عشرة أن يشرح صدره . والثالثة عشرة أن يجعله مهاباً . والرابعة عشرة أن يجعل له في القلوب وداً ومحبة . والخامسة عشرة أن يرزقه البركة العامة . والسادسة عشرة أن يسخر له الارض فى البر والبحر حتى ان شاء سار فى الهواء ومشى على وجه الماء . والسابعة عشرة أن يسخر له ماشاء من الحيوانات الصعبة النفورة . والثامنة عشرة أن يملكه مفاتيح أرضه . والتاسعة عشرة أن يجعله قائداً وجيهاً على بابه تعالى . العشرون أن يجيب دعوته فلا يسأل الله تعالى شيأ الا أعطاه اياه

وأما التي فى العقبى . فالاولى منها أن يهون عليه سكرات الموت . والثانية أن يثبته على المعرفة والايمان . والثالثة ارسال الروح والريحان بالبشر والامان . والرابعة الخلود فى الجنان . والخامسة الجلوة فى السر لروحه على ملائكة السموات بالاكرام والالطاف والانعام . والسادسة الامان من فتنة القبر وتلقين الصواب . والسابعة توسيع القبر وتنويره . والثامنة ايناس روحه فيجعل فى جوف طير أخضر مع اخوانه الصالحين . والتاسعة الحشر فى العز والكرامة . والعاشرة بياض الوجه يوم تبيض وجوه وتسر

وجوه . والحادية عشرة الامن من أهوال القيامة . والثانيــة عشرة أن يعطي كتابه بيمينه . والثالثة عشرة أن ييسر عليه الحساب • والرابعة عشرة أن يثقل موازينه . والخامسة عشرة أن يرد على الحوض . والسادسة عشرة أن يجوز على الصراط وينجيه من النار • والسابعة عشرة الشفاعة فى عرصات القيامة . والثامنة عشرة ملك الابد في الجنة . والتاسعة عشرة الرضوان الاكبر والفوز والامان . العشرون النظر لوجهه الكريم ولقاء رب العالمين اله الاولين والآخرين بلا كيف جل جلاله . وعظم نواله فهذه كلها أمور تقريبية ولا يحيط بها الا خالقها قال تعالى (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بمـا كانوا يعملون) وقد قال صلى الله عليه وسلم خلق فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر يعني فى الجنة . وبالجملة فلا بد للعبد من أربعة أشياء العلم والعمل والاخلاص والخوف فيعلم أولا الطريق والا فهو أعمى لانه لا يهتدى الا بالعـلم ثم يعمل بالعلم والا فهو محجوب لان ثمرة العلم العمل ثم يخلص العمل والا فهو مغبون لان الاخلاص روح العمل ثم لا يزال يخاف ويحذر من الآفات الى أن يجد الامان والا فهو مغرور لان من خاف نجا

وجملة الامر وتفصيله ما قاله رب العالمين فى كتابه المبين (أفحسبتم انمـا خلقناكم عبثاً وانكم الينا لا ترجعون) ثم قال (ومن جاهد فانمـا يجاهد لنفســه ان الله لغني عن العالمين) • ونحن نستغفر الله رب العالمين من كل ما زل به القدم وطغى به القلم . ونستغفره من أقوالنا التي تخالف أعمالنا ، ونستغفره مما ادعيناه وأظهرناه من العلم بدين الله مع التقصير فيه ونسأله أن يجعلنا وإياكم معاشر الاخوان بمـا علمناه عاملين • ولوجهه الكريم ناظرين وفى طاعته مخلصــين واليه منيبين ولاحبابه محبين انه أكرم الاكرمين وأرحم الراحمين

﴿ الخاتمة نسأل الله حسنها تشتمل على ثلاثة مقاصد ﴾

﴿ المقصد الاول فى بيان طريق السادة العلويين ﴾

اعلم يا أخي انه لا طريق الى الوصول الي الله تعالى الا بالتخلي عن جميع المذمومات ظاهراً وباطناً والتحلي بجميع المحمودات ظاهراً وباطنا وهذه هي طريقة الانبياء والصحابة والتابعين وصالحي السلف وقد استمر على هذه الطريق الشريفة السادة بنو علوي بن عبيد الله بن أحمد المهاجر بن عيسى بن محمد بن علي العريضي بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين بن سيدنا الحسين السبط رحمهم الله تعالى . ثم ان اصطلاح الصدر الاول يسمون

أولادسيدنا على من غير السيدة فاطمة علويين ثم بعدذلك اختص بهذا الاسم أولادسيدنا الحسن وسيدنا الحسين فقط حتي اندرست هذه الشهرة واشتهر بالعلوية أبناء سيدنا علوي ابن عبد الله المذكور فأطلق هذا الاسم عليهم واختص بهم وبقية من ينسب الى سيدنا الحسن والحسين يطلق عليهم أسماء أخرخاصة بهم وقد ذكر صاحب (المشروع الروي في مناقب بني علوي) أحاديث كقوله صلي الله عليه وسلم كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة ماخلا سببي ونسبي وغيره من الاحاديث . وذكر فى مقدمة الكتاب المذكور فضل الرحم والقرابة والآل وقريش وبنى هاشم وبنى المطلب وأهل البيت والعترة والذرية وذكر مدلول ذلك كله لغة واصطلاحا ومايتعلق به من الفضائل والاحكام وان من خصائصه صلى الله عليه وسلم ان أولادبناته ينسبون اليه نسبة صحيحة نافعة فى الدنيا والآخرة وان الائمة العلماء والفقهاء اعتبروا ذلك فى الاحكام الشرعية كالوقف والكفاءة والوصية وان الولد يتبع أباه فى النسب الا أولاد فاطمة رضي الله تعالى عنها وحدها للخصوصية الثابتة عنه صلى الله عليه وسلم فقد صح انه صلى الله عليه وسلم قال أولادي من على . ونقل العلامة الشيخ ابن حجر فى باب الوصية من التحفة مانصه . والشريف المنتسب من جهة الاب الى الحسن والحسين لان الشرف وان عم كل رفيع الا انه اختص بأولاد فاطمة رضي الله عنها وعنهم عرفا مطرداً عند الاطلاق اه قال والسيد في الاصل هو من فاق أقرانه وخصه العرف بأولاد الحسنين فى جميع الجهات الاسلامية من غير نكير اه . وقد ذكر علماء هذا الفن حكاية تشير الى تفاصيل ذلك وأصله وتدل عليه بمختصر القول وفصله وهو ان السادة بني علوى لما استقروا بحضرموت أراد بعض منهم فى ذلك الزمان أن يؤكد تلك النسبة المحمدية والوصلة الاحمدية بحجة شرعية وأدلة مرضية فسافر الامام شيخ الاسلام الحافظ المجتهد أبو الحسن على بن محمد بن جديد الى العراق وأثبت نسبهم وأشهد على ذلك نحو مائة عدل ممن يريد الحج ثم أثبت ذلك بمكة المشرفة وأشهد على ذلك جميع من حج من حضرموت فقدم هؤلاء الشهود فى يوم مشهود فشهدوا بثبوت نسبتهم المحمدية وسلسلتهم النبوية وجري فى ذلك اليوم أشياء عجيبت اكانه وسلم الفضل لهم حماته . واستمر هؤلاء الاجلاء على طريقتهم الاصلية وذلك لانهم يحققون أولا بالشريعة ثم الطريقة والحقيقة وأحوال الخلق متنوعة فمن صلح منهم للسر فذلك والا فلايشتغل بالعلم وفي ترك العلم فوات الثواب وضياع الامة . وسبب ذلك ان من المشايخ الصوفية المشهورين من أهل الطريق كانوا يقصدون من كل جهة لاجل تلقى علم الظاهر والباطن فاذا ظهر لهم من أحد من المتلقين عنهم بارقة الصلاح نظروا اليه

وأرشدوه فوصل بسببهم خلق كثير فانتسب كل سالك الى مسلكه كانتساب أهل المذاهب الى أئمتهم ثم مضى ذلك الزمان ومال أكثرهم عن الطريقة الموصلة بترك تعلم العلم لان العلم هو أصل الوصول فظهر بهذا ان أغلب المتمسكين بالطريق المدعين لها في زماننا ليس معهم الا رسوم الاوائل فقط فلهذا منع أكابر بني علوى من اتباع غيرهم في السلوك لا في أخذ الاجازات لان طريقتهم مبنية على محو الرسوم

ثم ان اختلاف طرق المشايخ انما هو في الفروع لا في الاصول لان الاولياء بعد العلم اجتهدوا في التخلي والتحلي بأقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريره المشاهد من أحواله في سيرته كما عليه أكابر الصحابة وأهل البيت وصالحي السلف ومن تبعهم فاذا فتح الله عليهم ببعض أسرار الاذكار يخبرون به فينسب هذا الذكر اليه فيقال هذه طريقة الشيخ الفلاني كشيخ الطائفة الجنيد والغزالي وأبي مدين وابن عربي والسيد عبد القادر الجيلاني والسيد بهاء الدين نقشبند والسيد أحمد الرفاعي والسيد أحمد البدوي والسيد أحمد بن علوان والسيد علي بن عبد الجبار الشاذلي والشيخ ابراهيم الخلوتي وليست طريقتهم بل أذكارهم . فقد علمت مما قدمناه ان جميع طرق العارفين ليست الا الكتاب والسنة وهو طريق السادة بني علوي ومن نحا نحوهم من العارفين الى هذا الزمان فمن تخلى وتحلى صار كمن توضأ ورفع الحدث والخبث وستر العورة للصلاة فاذا أراد الله له بالفتوح فتح عليه * اما من لقن هذه الاذكار وواظب عليها بغير التخلي والتحلي فهو صاحب رسم الشيخ الفلاني لا من أهل طريقته نعم هو في بركته فبهذا السبب كثر المترسمون في هذه الازمان * والمترسم العالم بعلم الظاهر الخالي عن علم الباطن اذا تصدي للتلقين وجمع الناس على طريقة شيخه يخشى عليه الآفات لانه بعد لم يصل الى رتبة الاولياء الراسخين المربين الذين فرغوا من الاشتغال بأنفسهم حتي هذبوها فانقادت لهم فاذا كان هذا حال المترسم العالم بعلم الظاهر خطراً فما يكون حال المترسم الجاهل الذي لم يحسن مسألة في علم الظاهر فلاشك انه أهلك نفسه وغيره لترك الاساس الذي هو العلم

ثم ان طرق السالكين الى الله تعالى على عدد أنفاسهم وهي متعددة أسماء ورسوما والحقيقة واحدة فاذا رأى الانسان السالك كثرة المقامات والاحوال والاختلاف فربما تحير في أمره وظن انه لابد من مجموع ذلك وليس كذلك بل المآل كله واحد وانما هذا اختلاف وتعدد بتعدد الانفاس . فانظر الى اختلافهم في تعريف المقامات مثل التوكل والزهد الى عشرة أقوال الى عشرين قولا الى أكثر فيظن الانسان ان الجميع معتبر وليس كذلك وانما اعتبر كل شيء بما وجده من نفسه وحصل له الوصول

نه والكل شرب شارب وانظر الى أحوال الصحابة رضي الله عنهم وما كانوا عليه فتلك الطريقة الاصلية

قال الشعراني وأما زبدة علم التصوف الذي وضع القوم فيه رسائلهم فهو نتيجة العمل بالكتاب والسنة ومطالعة المريد مسائل القوم لا تفيده شيأ ولو مكث يطالع عمر نوح وانما أمر بعض المشايخ بذلك تشويقاً للمريد الضعيف في سلوك طريق أهل الله وأما جميع مقامات القوم التي أولها التوبة وآخرها الرضا فلا ينبغي لاحد أن يتعب نفسه في التحقيق بها لانها حكايات عن مواجيدهم ولا فائدة في ذكر العبد حكاية وقعت لغيره وتكرارها وفهمها ثم ذكر في آخر هذا البحث ان طينة الانسان معجونة من كل شيء من المتضادات المتماثلات فتارة يظهر كذا وتارة كذا ويدق نظره ويخفى فهي تقلب في مظاهر ماعجن في تلك الطينة

وكان بعض سلفنا العلويين يقول ان الغزالي وأحزابه لم يتكلموا الا بلسان الدعوة العامة لجذب أهل العموم وطلب ترقيهم الى ماعليه الخاصة ولا يحصل ذلك الا بتزكية النفس عن الاخلاق المذمومة وتحليتها بالاخلاق المحمودة وأما مقاماتهم وأحوالهم التي تحققوا بها فلم يتوجهوا الي شرحها في تلك الكتب وأما ساداتنا العلوية فجملة منهم قد وصلوا الى مرتبة المشيخة والتسليك التام ولم يبتدعوا لهم شيئاً من ذلك بل سلكوا مسلك الاوائل بالاذكار الواردة في السنة وتبعوهم في زيهم وأحوالهم فترى أحوالهم كأحوال علماء الظاهر كما لا يخفى على من طالع كتبهم واطلع على مجاهداتهم وأخلاقهم وسيرتهم التي تبعوا فيها العارفين الاوائل وحسموا مادة الرسوم الظاهرة ومحوها بالكلية لئلا يدخل في الطريق غير اهله وخوفا من ان يتولي ذلك من يضر بالطريق من الفسقة الذين جل مرادهم الاضرار من غير أن يكون لهم فيه حظ باطناً بل غاية مقصودهم التظاهر والتشبه فيظهر لهم بذلك أحوال وأمور خارقة لاجل أن تسلم لهم دعوي المشيخة وما ذلك الا اظهار بالرسوم من غير أن يكون هناك حقيقة كما مرت الاشارة اليه فخاف العلوية على أولادهم وأتباعهم أن يغويهم أحد ممن ذكر فتركوا ذلك واستقاموا على طريق الجادة التي ليس فيها رسوم ولا أوضاع ولا هيآت واكتفوا في ذلك بملاحظة أشياخهم ونظرهم وعلمهم بما يظهر لهم في كل مريد بحسب حاله وشخصه وزمانه لان مقام المشيخة بمنزلة علم الطب فمن كان ماهراً فيه نظر الى كل مريض بما يناسبه من العلاج والدواء وقد يختلف الدواء ويتحد المرض فاذا كان الشيخ بهذه الحالة فهو المربي حقيقة فيربي بنظره وملاحظته فاذا وجد في المشايخ من هو كذلك فليسلم المريد اليه قيادة ليعرفه

وما يراه بحسب نظره ومعرفته فان كل شيخ له خصوصية في بعض الاشخاص المأذون لهم من الحضرة فاذا ظهر لك أن السلوك على جادة الطريق أسلم من الاخطار وأولى من مراعاة الرسوم والاوضاع. لان السالك فى بداية أمره يتراءى له أحوال وأشياء فيظن انها من الله سبحانه وقد لا تكون منه وانما هي من الشيطان ليضله ويقطعه عن طريقه فيزل قدمه ويتسبب فى اضلال غيره كما وقع لبعض العباد المجتهدين فى الصلاح والعبادة فواظب على الاذكار والاوراد حتي ظهر له تجليات وأحوال ألجأته الي ان يترك شيخه واخوانه وحضور الجماعات واقتصر على صلاته وعبادته فى بيته فسأله بعض المشايخ عن ذلك فقال له اني أصلي العشاء كل ليلة فى الجنة واذ وصلت الى هذه الحالة مالى والحضور معكم والاجتماع عليكم وقد بلغت هذه المرتبة العظيمة فقال له الشيخ هنيئاً لك يا فلان لقد بلغت مقاما عظيما واني أريد أن أكون معك ليلة فاجابه الى ذلك فلما كان الليل جاء اليه وجلس عنده حتى انتصف الليل واذا بطائر عظيم حسن الشكل والزينة جاء اليه فاحتملهما وطار بهما حتى وضعهما فى مكان فيه قصور من ذهب واشجار وأنهار وطيور تغرد وغير ذلك مما هو بصورة الجنة فجلسا في ذلك المحل يصليان ويتعبدان الى قبيل الفجر فجاءهما ذلك الطائر وأشار اليهما أن اركبا على ظهري لاردكما الى موضعكما فامتنع ذلك الشيخ من الخروج من ذلك المحل الا بعد صلاة الصبح وطلوع النهار فصار الطائر يضرب برأسه ويصيح ويتملق بين أيديهما لاجل أن يحملهما في ذلك الوقت والشيخ مع ذلك ممتنع فاستمرا على جلوسهما حتي طلع النهار فوجدا أنفسهما فى محل قذر على نجاسات وأوساخ فتحققا أن ذلك من الشيطان ليفسد عليه عمله ويقطعه عن طريقه ويضله ويمنيه ويعده بالغرور وقد تم له على هذا الحال نحو عشرين سنة يصلي العشاء كل ليلة فى ذلك الموضع فنعوذ بالله من ذلك وأمثاله

وأما التداوي بالطب النبوي والاستمساك بالشريعة الغراء فهو مأمون العاقبة مطلقاً فان حصل الفتح فى الدنيا فذاك والا فهو في الآخرة ولى من أولياء الله تعالي فعلى كلا الحالين هو ولى اذ ليس الولي من يظهر له كشف وكرامات في الدنيا فقط بل الولاية الاستقامة فاذا استقمت على الطريق واشتغلت باصناف العبادة من قراءة أو ذكر أو صلاة أو صوم أو غير ذلك وجاهدت نفسك على ذلك وواظبت عليه فيرجى لك من الله الفتوح قال تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينكم سبلنا) فان وجدت شيخا عارفا عالماً مستجمعاً لشروط المشيخة وكان صاحب علم وعمل ونظر وبصيرة وملاحظة يوصلك الى الله تعالي بجاهه عند مولاه فان المشايخ ثلاثة . شيخ للتعليم . وشيخ للرياضة . وشيخ

بالملاحظة قال بعض المحققين ان المشايخ العارفين بمقام المشيخة تربيتهم انما هي بالنظر الذي هو اكسير عند كل خير

قال الشيخ اسماعيل الجبرتي نظرة الشيخ لمريده خير من عبادة الف سنة وقد حصل لكثير من الاكابر الجذبه الكاملة بسبب نظرة من عارف قال الشيخ أبو القاسم المرسى ماذا أصنع بالكيمياء والله لقد صحبت أقواما يمر أحدهم على الشجرة اليابسة فيشير اليها فتثمر من وقتها. ومن صحب هؤلاء الرجال فما يصنع بالكيمياء

وقد روي عن الاستاذ عبد القادر الجيلانى رحمه الله تعالي ونفعنا به كما حكي عن الشيخ الهيتي قال لقد فتح على سبعين رجلا لبسوا الخرقة عنه فى عشية اليوم الذي لبسوا فيه فتحا عظيما واعطوا عطاء جزيلا ببركة وضع يده على رؤسهم • وقال الشيخ ابو العباس المرسي نفعنا الله به ماسري الاولياء من ق الى ق الاليانوا أمثالنا فاذا وجدوا أحدا منهم كان ذلك بتيهم. وكان بعض المشايخ يطوف في مسجد الخيف بمني ويتصفح وجوه الناس فقيل له فى ذلك فقال ان لله عبادا اذا نظروا الى شخص كسوه السعادة لان الاولياء ثلاثة أقسام كامل واكل ومكمل لما دونه. قال بعض المفسرين في قوله تعالى (يهب لمن يشاء اناثا الآية) فيه اشارة الى معاملته سبحانه. وتعالى مع أرباب الولاية فيهب لبعضهم المريدين الصالحين المتقين الذين لا تصرف لهم فى غيرهم بالتخريج والتسليك فهم بمثابة الاناث فى هذا المعني ويهب لبعضهم المريدين الذين يصلحون للخلافة فيقومون مقامهم في تخريج الطلبة وتسليكهم فهم بمثابة الذكور ويجعل من يشاء عقيما لا تصرف له فى أحد بل هو مبهوت متحير في تجليات ذاته وصفاته غير مرجح لاحد الجانبين على الاخر لكونه أثر محض المشيئة فلا يصل فيضه الى أحد وليس له التفات الى الغير ولا اشتغال به وذلك لانه يري الحق في كل أمر فتكون الامور بالنسبة اليه كما تكون بالنسبة الى الله لان الامور اذا نسبتها الي الحق لم تتفاضل واذا نسبتها اليك تفاضلت فى حقك.
وقد كان الشيخ أبو الحسن الشاذلى رحمه الله يقول لا حجاب الا الوقت فالودائع مطوية فى قلوب المريدين حتي تجيء أوقاتها وقد يبذر في أرض المريد الحكمة ويبقى النبات موقوفا على مجيء سحابة ماطرة فاذا جاءت ظهر من الارض ماكان كامنا فيظن المريد فيما بعد انه ما أخذ من الشيخ شيأ وقد أخذ ولكن الحكمة بذرنباته اذا جاء وقته أنا ... الله سبحانه وتعالى ... قد سمعت ذلك الوقت وربما حضر فكرك شيخك الذي خاطبك به بعينه وزيد انتهي. ثم ان ساداتنا آل بني علوي طريقتهم مسلسلة

مرتبة علي سلوك السلف تلقاه الخلف طبقة عن طبقة قدماً عن قدم بسيرة حسنة حميدة الى جدهم المصطفى صلى الله عليه وسلم متأدبين بآداب العلم الظاهر والباطن وفيهم من الاولياء والاقطاب ما لا يحصى يعرفهم من طالع كتبهم ووقف على سيرهم * ولنذكر من بعض كلام العارفين منهم لتعلم ان طريقتهم هي طريقة الاوائل * قال السيد الشريف الفاضل الولى أحمد بن زين الحبشي سمعت سيدنا وشيخنا الامام القطب السيد الحبيب عبد الله بن علوى الحداد العلوى الحسيني رحمه الله يقول ان طريقة العلوية هي الصراط المشار اليه في قوله تعالى (وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) وهو المشروح في الكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد. بقول النبي صلى الله عليه وسلم وفعله وتقريره المشاهد من أحواله في سيرته وأخلاقه كما عليه أكابر الصحابة وأهل بيته ثم صالحو السلف والتابعون لهم باحسان فتابعوهم وقد فصل ذلك الامامان أبو طالب المكي في قوته وأبو القاسم القشيري في رسالته ومن نحا نحوهم ثم فصل ذلك وهذبه وحرره وبوبه وقرره الامام حجة الاسلام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي فهي طريقة تلقاها السادات بنو علوي طبقة عن طبقة وأبا عن جد وتوارثوا ذلك من جدهم الحسين وزين العابدين ومحمد الباقر وجعفر الصادق وغيرهم من أكابر أسلافهم الى الآن. وبهذا تعلم أن طريق السادات بني علوي ليس الا الكتاب والسنة ولهم درجات عند الله والله بصير بالعباد فمن متوسط في ذلك وكامل وأكملهم على المنهج الواسع الموصل الى الله تعالى الا ان سلوكهم متفاوت. فمن سالك في مسلكهم الاوسط وهو عزيز جداً ومن منتهج جانباً منه ومن متأخر كسير السائرين عليه ومن خالف طريقة آل بني علوي بحيث يضادها فهو من السبل المتفرقة عن سبيل الله. لما علمت ان طريقتهم على قدم السلف الصالح وتصحيح التقوى والزهد في الدنيا وملازمة التواضع ومعانقة العبادة ومواصلة الاوراد واستشعار الخوف وكمال اليقين وحسن الاخلاق واصلاح النيات. وتطهير القلوب والطويات. ومجانبة العيوب الخفيات * قال مولانا الحبيب عبد الله الحداد في قصيدته العينية

ثبتوا على قدم الرسول وصحبه * والتابعين له فسل وتتبع

ومضوا على قصد السبيل الى العلى * قدما على قدم بجد أوزع

قال السيد احمد بن زين أى قاموا واستقاموا على سنة جدهم صلى الله عليه وسلم وقال الشيخ عبد الله الحداد ما عاد في هذا الزمان أحسن من طريقة بني علوي وقد أذن لهم بذلك أهل اليمن مع اتباعهم وأحسان الى مريدين بتشريفهم. وهي طريقة مبنية

وقال أيضاً ان طريقة السادات بني علوي أقوم الطرق وأعدلها وسيرتهم أحسن السير وأكملها وانهم سا على الطريقة المثلى والمنهج الافيح. والمشرع الاوضح. والسبيل الاسلم الاصح. ولا ينبغي لخلفهم ان ينتهجوا بغير المنهج الذي درج عليه اسلافهم ولا ان يميلوا عن طريقتهم وسيرتهم باتباع غيرهم ولا أن يلقوا القياد الى من يدعى التسليك لان سيرة بني علوي التي شهد بصحتها الكتاب والسنة الكريمة والآثار المرضية وسيرة السلف الكمل تلقوا ذلك عن اسلافهم من الاباء والاجداد الى النبي صلى الله عليه وسلم وهم في ذلك متفاوتون فمن فاضل وأفضل وكامل وأكمل فينبغي ويحسن لمن كان منهم ان يدعوا الناس الى طريقتهم وماكانوا عليه وينبغي ان أخذ منهم عن الغير ان يكون أخذه على سبيل التبرك مع تمسكه بسيرة سلفه وما من أهل طريقة الا وقد خلطوا وبدلوا وخالفوا هدي اسلافهم بالاوضاع ما عدا بني علوي ولا يبعد ان يكون ابني علوي في الدار الاخرة رتبة ومزية ليست لغيرهم من الاكابر لما كانوا عليه من الضعف وعدم نظرهم الى الدنيا ودأبهم الخمول وعدم الشهرة وانتشار الصيت والذكر مع عظم حالهم وجلالة قدرهم وكثرة علومهم وأعمالهم وزهدهم انتهى ۞ وقال العارف بالله الحبيب عبد الله بن حسين ابن طاهر العلوي اعلموا ارحمكم الله ان أصدق الحديث كلام الله تعالى وأحسن الهدى هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) وقال تعالى (ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الامي الآية) وقال عليه الصلاة والسلام عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي أو كما قال وسيرته صلى الله عليه وسلم في عباداته وأحواله وأقواله وأفعاله واخلاقه مشهورة. غير مجهولة ولا مستورة فقد تركنا على المحجة البيضاء والحنيفية السمحاء ليلها كنهارها فاتبعوا ولا تبتدعوا فالخير كله في الاتباع والشر كله في الابتداع قال تعالى (وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) وقال تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وقال تعالي (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول) وقد سار بسيرته واستن بسنته وسلك سبيله جميع أصحابه رضي الله تعالى عنهم مثل ساداتنا أبي بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن والحسين وفاطمة الزهراء وأزواجه الطاهرات وباقي الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فكلهم عدول ابرار حكماء أخيار شهد لهم بذلك كتاب الله ومدحهم واثني عليهم وكذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد لهم ومدحهم واثني عليهم وحذر عن ذمهم والوقوع فيهم وزجر عن ذلك وشدد وهدد

ثم سار بسيرة الصحابة رضي الله عنهم أكثر التابعين وتابعيهم باحسان مثل امامنا الشافعي رضي الله عنه واحمد ومالك وأبي حنيفة ومن سار بسيرهم وسلك مسلكهم ونهج منهجهم ومثل ساداتنا الصوفية رضي الله عنهم أجمعين فهؤلاء هم السواد الاعظم والفرقة الناجية اذهم السالكون على ماعليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم من حسن الاعتقاد. والسالك على السداد والرشاد. من غير طعن في أحد من الصحابة رضي الله عنهم ولا انتقاد. مع انه خرج من هذا السواد من الاقطاب. والاولياء والابدال والاوتاد مالا يحصون بحد ولا تعداد. فهم أهل التقوى والاستقامة والسنة والجماعة والعلم والعمل والخشوع والسكينة والتواضع وعدم الرعونة والطمع وكثرة الورع مع الصدق والاخلاص فكم لهم من محاسن الخلال. وكم لهم من صفات الكمال. مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على بال. فهم أولياء الله بشهادة رسوله الذين اذا رؤا ذكر الله وعند ذكرهم تنزل الرحمة وهم القوم لا يشقى بهم جليسهم والنور ظاهر في كلامهم فكل كلام يبرز عليه كسوة القلب الذي منه برز ولم نزل بحمد الله سيرتنا وسيرة آبائنا وأجدادنا وسلفنا العلويين على المنهج القويم والصراط المستقيم منذ تلقاها من رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدنا على بن أبي طالب وسيدتنا خديجة بنت خويلد وسيدتنا فاطمة الزهراء البتول وابناها سيدنا الحسن وسيدنا الحسين رضي الله عنهم فهؤلاء أخذوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم سار بسيرتهم وسلك طريقتهم ونهج منهجهم وأخذ عنهم وتلقى منهم سيدنا على بن الحسين الملقب بزين العابدين ثم ابنه محمد الباقر ثم ابنه جعفر الصادق ثم ابنه على العريض ثم ابنه محمد بن علي ثم ابنه عيسى بن محمد ثم ابنه أحمد بن عيسى ثم ابنه عبيد الله بن احمد ثم ابنه علوي بن عبيد الله ثم ابنه محمد بن علوى ثم ابنه علوى ابن محمد ثم ابنه على بن علوي ثم ابنه محمد بن على ثم ابنه علي ومن في طبقته ثم سيدنا محمد بن علي الملقب بالفقيه المقدم ومن فى طبقته ثم ابنه علوي ومن فى طبقته ثم على بن علوي ومن فى طبقته ثم ابنه عبد الرحمن السقاف ومن فى طبقته ثم ابنه أبو بكر السكران ومن في طبقته ثم ابنه عبد الله العيدروس ومن فى طبقته ثم ابنه أبو بكر العدنى والسيد عبد الرحمن ابن على ومن فى طبقتهما ثم السيد عمر بن محمد باشيبان ومن في طبقته ثم السيد أبو بكر ابن سالم ومن فى طبقته ثم ابنه الحسين بن ابى بكر ومن فى طبقته ثم السيد عمر بن عبد الرحمن العطاس ومن فى طبقته ثم السيد عبدالله بن علوي الحداد ومن في طبقته ثم ابنه الحسن ابن عبد الله ومن فى طبقته ثم السيد حامد بن عمر ومن فى طبقته ثم السيد عمر بن سقاف ومن فى طبقته ثم تلقاها منهم الموجودون الآن من السادة العلويين فلم يدخل على

سيرتهم واعتقادهم شيء من التبديل والتحويل بل استمروا على البيضاء النقية والطريقة النبوية المحمدية السنية فلهذا ترى من أدى منهم الفرائض الواجبات وترك المحرمات ثم تقرب الى الله بنوافل العبادات وتجنب المكروهات والشهوات والمباحات وتحلى بمحاسن الاخلاق والصفات وتخلى عن رذايل الرديئات تظهر عليه الكرامات الباهرات والاخبار بالمغيبات وخوارق العادات مالا تحويه المجلدات هذا وان كانت الكرامة هي الاستقامة وليس لهم مطلب سواها ولا مقصد وراءها وانما ظهرت تلك الآيات ليتحقق انهم الوارثون لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الكمال، وأنهم المتقفون له فيما فعل وقال. فهم مخازن اللطائف والاسرار ومعادن الحكم والانوار، فهم المحبون لله العارفون به المستهترون بذكره نور الله لا يحبهم الا مؤمن ولا يبغضهم الا منافق انتهى

وقد سئل سيدنا الامام المحقق العارف بالله تعالى الحبيب عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه العلوي عن طريق السادة آل باعلوى ما هي وكيف هي وهل يكفي في تعريفها الكتاب والسنة أم لا وهل تخالف غيرها من الطرق وهل بينهم تخالف فأجاب رضى الله عنه بقوله * اعلم ان طريق السادة آل باعلوى أحد طرق الصوفية التي أساسها اتباع الكتاب والسنة * ورأسها صدق الافتقار وشهود المنة * فهي اتباع المنصوص على وجه مخصوص * وتهذيب الاصول * لتقريب الوصول * فلها فائدة ونفع معلوم * يزيد على ما يقتضيه اتباع الكتاب والسنة على وجه العموم * وذلك ان علم الاحكام * المتعلق بظاهر الاسلام * أصل موضوعه عام في عام * شامل لما المقصود منه ربط النظام * وتبيين الحكام * وغيرهم من العوام * ولا شك ان الناس مختلفون في الدين في كل مقام * فلا بد من علم خاص * لكل مخصوص وهو محل نظر الخواص * في حقيقة التقوى وتحقيق الاخلاص * فانه طريق مستقيم أدق من الشعر واحد من السيف لا يكفي فيه التسليم بالعموم * بل لا بد فيه لكل جزء من تعريف وتوقيف * وهذا هو علم التصوف والسلوك به الى الله تعالى طريق الصوفية فظاهرها علم وعمل بمقتضاه * وباطنها صدق التوجه الى الله تعالى بما يرضاه فيما يرضاه * فهي جامعة لكل خلق سني * مانعة من كل وصف دني غايتها القرب الى الله والفتح الهني. فهو طريق أوصاف وأعمال * وتحقيق اسرار ومقامات وأحوال * تلقاها الرجال من الرجال * بالتحقيق والذوق والفعل والانفعال . على حسب الفتح والفضل والنوال * كما قلت في كتاب الرشفات نظما

ومن لم يكن يكن علم عالم ولم يذقها فهو ساه نايم

نخف عليه ما يخاف المانم ۝ عند كفاح الموت والاهوال

ونيلها من منح فيض وهبي ۝ وفتح فضل بعد جد كسبي

لا من روايات الورودي أو كتب ۝ ولا بقيل علمها أو قال

طوبى لمن طاب بها استعداده ۝ وانحل من قيد السوى قياده

فحل من عين الحجى رشاده ۝ فيذاق منها بلة ببال

فقبلة من كاسها المختوم ۝ تملأ رياض القلب بالعلوم

وتحفظ الفهم عن الوهوم ۝ وتطلق العقل من العقال

اذا علمت هذا علمت أن طريق السادة آل باعلوى نسجها على هبذا المنوال ۝ فظاهرها علوم الدين والاعمال ۝ وباطنها تحقيق المقامات والاحوال ۝ وآدابها صون الاسرار والغيرة عليها من الابتذال ۝ فظاهرهم ما شرحه الامام الغزالى من العلم والعمل على المنهج الرشيد ۝ وباطنهم ما أوضحه بعض العارفين من تحقيق الحقيقة وتجريد التوحيد ۝ وعلومهم علوم القوم . ورسومهم محو الرسوم .. يرغبون الى الله بكل قربة ويقولون باخذ العهد والتلقين ولبس الخرقة . ودخول الخلوة والرياضة والمجاهدة وعقد الصحبة بل مجاهدتهم الاجتهاد فى تصفية الفؤاد . والاستعداد بالتعرض لنفحات القرب فى طريق الرشاد . والاقتراب الى الله بكل قربة في صحبة أهل الارشاد فلا بد مع صدق التوجه لوجه الله من فضل الله . ومع جد الجهاد وبذل الاجتهاد من فتح الله . والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين

وكذلك طريقة السادة آل باعلوى الطريقة المدينية طريقة الشيخ أبي مدين شعيب المغربي وقطبها ومداد تحقيقها الفرد الغوث الشيخ الفقيه المقدم محمد على باعلوي الحسيني الحضرمي تلقاها عنه الرجال عن الرجال .. وتوارثها عنه الاكابر أولوا المقامات والاحوال ولكن لكونها طريقة تحقيق وأذواق وأسرار . جنحوا الى الخمول والستر والاستتار ۝ فلم يضعوا فى ذلك تأليفاً . ولا صنفوا فيه تصنيفاً . ومضت الطبقة الاولى على ذلك الى زمن العيدروس وأخيه الشيخ على فاتسعت الدائرة وبعد المزار . واتصل بهم القريب والمنفصل ببعد الدار . فاحتيج الى التأليف . والايضاح والتعريف . فظهر بحمد الله ما يسر الصدور ويهيج النفوس كالكبريت الاحمر والجزء اللطيف والمعارج والبرقة وغير ذلك مما كثر واشتهر . وضوع عرف معرفته الآفاق وانتشر ، واكثر المتأخرون لذلك التأليف . واشتهر لهم في كل تعريف وتصنيف ، الهم في مسالك السلوك ومنازل المقامات والاحوال من المجاهدات ، وموارد الواردات والجذبات .. وعلوم الاسرار والمكاشفات ،

في أعمال وأقوال لو زنت بأتم شرعة . وأعظم رتبة . فصارت طريقتهم طريقة قائمة بنفسها . واضحة شمسها غنية عن التعريف لشهرتها عند أهل المعرفة وشيوعها بكل تصنيف وتأليف وقد سلف السلف الصالح الى هذا الحال . يؤثرون التلق بالتحقيق والاعمال . اذا لم يظهر التأليف في العلوم الا في زمن أتباع التابعين لخوف اندراس ما هو معلوم وكذا الصوفية على هذا التأسيس . يتلقون ذلك من بعضهم الى ان ظهرت البدع وشيف التلبيس . كما أشار الى ذلك القشيري في صدر الرسالة . فاحتيج الى التأليف وايضاح الدلالة . وليس بين السادة آل باعلوي في طريقتهم تخالف وانما اختلاف المشهود بحسب المشاهدة واختلاف الشهود فظاهر بالجمال شاهد الفضل في مشاهد الانفعال باح بالنوال . واستباح ما فعل وقال . بحسب البدل والحال . وباطن ظاهره الجلال . فاستغنى واستقال . ولازم الافتقار والانكسار في جميع الاعمال والاحوال . فلا فرق بينهم يقتضي التفريق . ولا مباينة على التحقيق

واما طريق غير السادة آل باعلوي من طرق الصوفية . الصحيحة الوفية فلا تخالفها في الاصول . ولا في حقيقة السلوك والوصول . وانما الخلاف في رسوم وأوضاع . قال العارف بالله طاهر بن حسين بن طاهر العلوي في وصية له لبعض السادة العلويين منها وأوصيه بما أوصي به نفسي وارضاه لها من التمسك بالتقوى . في السر والنجوى . وهي في السر تصفية البال . عن مذموم الخصال . وتحليته بمكارم الخلال . والتقوى في النجوى هي امتثال الاوامر . واجتناب الزواجر . كما هي محررة ومقررة . في كتب الشريعة المنورة والطريق الموصل الى ذلك . المحصل لما هنالك . هو طلب العلوم الشرعية . بصدق العزم وحسن النية . فطالبها من غير هذا الباب مردود . والطريق عليه مسدود . ثم ان الطالب الراغب لايتم له مقصود . ولا يظفر بمقام محمود . ما لم يتطلع الى ما سلكه السلف الصالحون من علوم واعمال . وتحصيل واهمال . ثم يقتدي بآثارهم . ويقتبس من أنوارهم . ويبذل وسعه في التشبه والاقتداء . ويحذر أن يترك نفسه هملا سدا . هذا وطريق اسلافنا السادة العلوية . هي الطريقة المرضية . السمحة السوية . السهلة النقية . ليس فيها انعطاف ولا ازورار . ولا ضرر ولا اضرار . وهي مشروحة في شرح عينيتهم الشهيرة . وذكر تراجمهم المنيرة . كالمشرع الروي والعقد النبوي وغيرهما مما جمع في مناقب بني علوي . فاوصي نفسي وأخي بمعرفتها وتحقيقها . وسلوك جادة طريقها . وتكثير سواد فريقها . ففي ذلك نوع مجالسة وبعض مجانسة وهم القوم جليسهم لا يشقى . ولا يضام ولا يلقى والشاذ يلحق بجنسه . وان خالفه في صورته ورسمه . والمرء مع من أحب . هاهنا وفي المنقلب

نسأل الله ان يحققنا بحب عباده الصالحين . وحزبه المفلحين . والله ولى التوفيق يهدي من يشاء الى أقوم طريق. والحمد لله رب العالمين اه

وقال الحبيب عبد الله الحداد العلوي وقد سئل في الاخذ عن بعض الشيوخ لا بأس ان كانت طريقته لا تخالف الطريقة التي نحن عليها والتي نأخذها عن أصحابنا بالحال والمقال فان الطرق الى الله كثيرة وبعضها موافق لبعض وبعضها قد يخالف من حيث الصورة لا من حيث الحقيقة ولكن السالك في سلوكه اما ان يسلك على الصورة أولا حتى يقطعها ويصير منها على الحقائق وذلك بعد أشياء كثيرة يمارسها وينازلها انتهى

وقال الشيخ عبد الله باسودان فى آخر فيض الاسرار عند قول سيدنا الحبيب عمر البار العلوى

والسير بالجد على منوال من أسلافنا أكابر الرجال

فى هذا البيت تخصيص لما فى البيت الاول من العموم والاجمال فانه سأل من مولاه الذي لا يخيب من أمله ورجاه الاقتداء باكمل البرية صلوات الله وسلامه عليه مطلقاً باي حال وعلى أى وجه وباي طريق ثم رأي ان طلب الاكمل أعلى وأعظم أمر وأجله فرفع همته ووجه عزمه الى من بيده ملكوت السموات والارض وعنده مفاتح الغيب اذ رفع الهمة من صفات الرجال ذوي العقول الراجحة والفطرة المستقيمة والجبلات والطبائع السليمة ولما كان كذلك طلب سيدنا الناظم قدس الله روحه ان يكون اقتداؤه به صلى الله عليه وسلم على وجه كامل خاص صعب المنال على من يوفق له من جهابذة الرجال وهو السير الحثيث بانواع التحثيث على وفق ما جاء به الكتاب والسنة مع التتبع والاستقراء واستشعار خوف الفتنة وهو طريق العارفين الائمة المجتهدين بني علوي بن عبيد الله بن أحمد المهاجر الى الله بن عيسى القاطنين بالجهة الحضرمية ونواحيها ومن تعلق بطرقهم ودخل فى حوائزهم من حيث انتماؤه اليهم وانتماؤهم اليه نفع الله بهم تفردوا بطريقة مثلى جامعة للتحقيق لاتباع الكاملين له صلى الله عليه وسلم والمكملين وورثته من غيرهم كالخلفاء الراشدين واكابر الصحابة والتابعين مثل زين العابدين والباقر والصادق والعريضي وغيرهم ممن أوتي البيت الطاهر وكالحسن البصري والجنيد سيد الطائفة والحجة الغزالى وامام المذهب يحيي النووي وأبي اسحاق الشيرازي وغيرهم عن نظرائهم وقد جرى نقل كثير مما يتعلق بشرحها والترغيب في الدخول في دائرة أهلها وذكر ما لفرديته ولخصوصيته من تحكيم ميزان الشرع وتوفية مكيال الهدى النبوي وعدم الخروج عما يخرج عن ذلك من حيث الاستحسان ووضع الرسوم التي يتجهها

بعض الصوفية وفيما نقلناه مما سبق فى تعريفها كفاية فلينظر هناك ما نقلناه عن سيدنا الشيخ الحبيب عبد الله الحداد وعن سيدنا الشيخ عبد الرحمن بافقيه نفع الله بهما وعن غيرهما أئمة هذا الشأن نفع الله بهم انتهي كلام فيض الاسرار وقال سيدنا الحبيب عبدالله الحداد رضي الله عنه ونفعنا به طريق السادات آل باعلوي العقيدة التامة والتعلق بالشيخ والانباء من الشيخ والتربية بالسر وهى طريقة السلف الحسن البصري وغيره وقال رضى الله عنه نحن ما نمشى الا على الطريق الاكبر المستقيم التي لا يكون فيها اعتراض لاحد وهو المهيع الواسع. وقال سيدنا الامام عمر حامد بن الشيخ حامد باعلوى قدس الله سرهما في مكتوب له الى بعض من التمس منه الاخذ للطريقة العلوية وهم عترة أشراف سنيون حسينيون

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم * مثل النجوم التي يسرى بها السارى

وكثير منهم انتهوا فبلغوا رتبة الاجتهاد وجماة من اسلافهم وصفوا بأنهم حازوا رتبة الصديقية الكبرى وهم المتمسكون بالكتاب والسنة العاضون عليها بالنواجذ. وقال نفع الله به والحقيقة ان الاتصال بالنبي صلى الله عليه وسلم مع التمسك بالسنة والجماعة نعمة عظيمة لا يتقدم عليها الا نعمة التوفيق لنعمة الاسلام. فالحمد لله شكراً. على نعم منه تترا. نحمده سراً وجهراً. بالغدو والاصال. انتهى

ثم انا قد ذكرنا فيما تقدم ان الخلق أجناس مختلفة وهذا يحتاج الى ايضاح وبيان فلنشرح ذلك هنا فنقول وبالله التوفيق

المقصد الثاني فى أصناف الخلق

اعلم أرشدنا الله واياك أنا نشاهد هذا العالم بما فيه من المخلوقات كلها على غاية من الترتيب والاحكام وربط الاسباب بالمسببات واتصال الاكوان بالاكوان واستحالة بعض الموجودات الى بعض وهكذا ولا شك ان هذا أمر لا تنقضى عجائبه ولا تنتهى غاياته فلنبدأ أولا بالعالم المحسوس الجثمانى ونقدم عليه العناصر المشاهدة كيف تدرج صاعداً من الارض الى الماء ثم الى الهواء ثم الى النار متصلا بعضها ببعض وكل واحد منها مستعد الى أن يستحيل الى ما يليه صاعداً وهابطاً ويستحيل بعض الاوقات والصاعد منها ألطف مما قبله الى أن ينتهى الى عالم الافلاك وهو الطف من الكل على طبقات اتصل بعضها ببعض على هيئة لا يدرك الحس منها الا الحركات فقط وبها يهتدى بعضهم الى معرفة مقاديرها وأوضاعها وما بعد ذلك من وجود الذات التى لها هذه الآثار

ثم انظر الى عالم التكوين كيف ابتدأ من المعادن ثم النبات ثم الحيوان على هيئة بديعة من التدريج آخر أفق المعادن متصل باول أفق النبات مثل الحشائش ومالا بذر له وآخر أفق النبات مثل النخل والكرم متصل بأول أفق الحيوان مثل الحلزون والصدف ولم يوجد لهما الا قوة اللمس فقط ومعني الاتصال فى هذه المكونات ان آخر أفق منها مستعد بالاستعداد القريب لان يصير أول أفق الذى بعده ٥ واتسع عالم الحيوان وتعددت أنواعه وانتهي في تدريج التكوين الى الانسان صاحب الفكر والروية ترتفع اليه من عالم القدرة الذي اجتمع فيه الحس والادراك ولم ينته الى الروية والفكر بالفعل وكان ذلك أول أفق من الانسان بعده وهذا غاية شهودنا

ثم انا نجد في العوالم على اختلافها آثاراً متنوعه ففى عالم الحس آثار من حركات الافلاك والعناصر وفى عالم التكوين آثار من حركات النمو والادراك تشهد كلها بأن لها موثراً مباينا للاجسام فهو روحاني ويتصل بالمكونات لوجود اتصال هذا العالم فى وجودها وذلك هو النفس المدركة والمحركة ولا بد فوقها من وجود آخر يعطيها قوى الادراك والحركة ويتصل بها أيضاً وتكون ذاته ادراكا صرفا وتعقلا محضا وهو عالم الملائكة فوجب من ذلك ان يكون للنفس استعداد للانسلاخ من البشرية الى الملكية ليصير بالفعل من جنس الملائكة وقتاً من الاوقات ولمحة من اللمحات وذلك بعد ان تكمل ذاتها الروحانية بالفعل كما سنذكره بعد ويكون لها اتصال بالأفق الذي بعدها كما هو شأن الموجودات المرتبة كما قدمناه فلها فى الاتصال جهتا العلو والسفل فهي متصلة بالبدن من أسفل منها وتكتسب به المدارك الحسية التي تستعد بها للحصول على التعقل بالفعل ومتصلة من جهة الاعلى منها بافق الملائكة ومكتسبة به المدارك العلمية والغيبية فان عالم الحوادث موجود في تعقلاتهم من غير زمان وهذا على ما قدمناه من الترتيب المحكم فى الوجود باتصال ذاته وقواه بعضها ببعض

ثم ان هذه النفس الانسانية غائبة عن العيان وآثارها ظاهرة فى البدن فكانه وجميع أجزائه مجتمعة ومفترقة الآن للنفس ولقواها أما الفاعلية فالبطش باليد والمشي بالرجل والكلام باللسان والحركة الكلية بالبدن متدافعاً . وأما المدركة وان كانت قوى الادراك مرتبة ومرتقية الى القوة العليا منها ومن المفكرة التى يعبر عنها بالناطقية فقوي الحس الظاهرة آلاتها من السمع والبصر وسائرها يرتقي الي الباطن وأولها الحس المشترك وهو قوة تدرك المحسوسات مبصرة ومسموعة وملموسة وغيرها فى حالة واحدة وبذلك فارقت قوة الحس الظاهر لان المحسوسات لا تزدحم عليها فى الوقت الواحد ثم يؤديه

الحس المشترك الي الخيال وهي قوة تمثل الشيء المحسوس في النفس كما هو مجرد عن المواد الخارجية فقط وآلة هاتين القوتين في تصريفهما البطن الأول من الدماغ مقدمه للاولى ومؤخره للثانية ثم يرتقي الخيال الي الواهمة والحافظة فالواهمة لادراك المعاني المتعلقة بالشخصيات كعداوة زيد وصداقة عمرو ورحمة الاب وافتراس الذئب والحافظة لايداع المدركات كلها متخيلة وغير متخيلة وهي لها كالخزانة تحفظها لوقت الحاجة اليها وآلة هاتين القوتين في تصريفهما البطن المؤخر من الدماغ أوله للاولى ومؤخره للاخرى ثم يرتقى جميعها الى قوة الفكر وآلته البطن الاوسط من الدماغ وهي القوة التي يقع بها حركة الرؤية والتوجه نحو التعقل فتحرك النفس بها دائماً لما ركب فيها من النزوع للتخلص من درك القوة والاستعداد الذي للبشرية وتخرج الى الفعل في تعقلها متشبهة بالملاء الاعلى الروحاني فتصير في أول مراتب الروحانيات في ادراكها بغير الآلات الجسمانية فهي متحركة دائماً ومتوجهة نحو ذلك وقد تنسلخ بالكلية من البشرية وروحانيتها الى الملكية من الافق الاعلى من غير اكتساب بما جعل الله فيها من الجبلة والفطرة الأولى في ذلك.

﴿والنفوس البشرية على ثلاثة أصناف﴾

صنف عاجز بالطبع عن الوصول الى الادراك الروحاني فينقطع بالحركة الي الجهة السفلى نحو المدارك الحسية والخيالية وتركيب المعاني من الحافظة على قوانين محصورة وترتيب خاص يستفيدون به العلوم التصورية والتصديقية التي للفكر في البدن وكلها خيالي منحصر نطاقه اذ هو من جهة مبدئه ينتهي الي الاوليات ولا يتجاوزها وان فسد فسد ما بعدها وهذا في الاغلب هو نطاق الادراك البشري الجسماني واليه تنتهي مدارك العلماء وفيه ترسخ اقدامهم

وصنف متوجه بتلك الحركة الفكرية نحو العقل الروحاني والادراك الذي لا يفتقر الى الآلات البدنية بما جعل فيه من الاستعداد لذلك فيتسع نطاق ادراكه عن الاوليات التي هي نطاق الادراك الاول البشري ويسرح في فضاء المشاهدات الباطنة وهي وجدان كلها لا نطاق لها من مبدئها ومنتهاها وهذه مدارك العلماء الاولياء أهل العلوم اللدنية والمعارف الربانية وهي الحاصلة بعد الموت لاهل السعادة في البرزخ .

وصنف مفطور على الانسلاخ من البشرية جملة جسمانيتها وروحانيتها الى الملائكة من الافق الاعلى ليصير في لمحة من اللمحات ملكا بالفعل ويحصل له شهود الملاء الاعلى

فى أفقهم وسماع كلامهم الخطاب النفسانى والخطاب الالهى فى تلك اللمحة وهؤلاء هم الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم جعل الله لهم الانسلاخ من البشرية فى تلك اللمحة وهى حالة الوحى فطرة فطرهم الله عليها وجبلة صورهم فيها ونزههم عن موانع البدن وعوائقه ماداموا ملابسين لها بالبشرية بما ركب فى غرائزهم من القصد والاستقامة التى يحاذون بها تلك الوجهة وركز فى طبائعهم رغبة فى العبادة تكشف تلك الوجهة وتسيغ نحوها فهم يتوجهون الى ذلك الافق بذلك النوع من الانسلاخ متى شاؤا بتلك الفطرة التى فطروا عليها لا باكتساب ولا صناعة فاذا توجهوا وانسلخوا عن بشريتهم وتلقوا فى ذلك الملاء الأعلى ومايتلقونه عاج بهم على المدارك البشرية منزلا فى قواها لحكمة التبليغ للعباد فتارة يسمعون دويا كأنه رمز من الكلام يأخذون منه المعنى الذى ألقى اليهم فلا ينقضى الدوى الا وقد وعوه وفهموه وتارة يتمثل لهم الملك الذى يلقى اليهم رجلا فيكلمهم ويعون مايقوله والتلقى من الملك والرجوع الى المدارك البشرية وفهم ماالقى اليهم كله كأنه فى لحظة واحدة بل أقرب من لمح البصر ويلقيه على بصرهم فيحصل لهم من النظر مثل ما يحصل من السمع فيظهر سريعاً ولذلك سميت وحيا لان الوحى فى اللغة الاسراع

ثم اعلم ان الحالة الأولى التى هى حالة الدوى هى رتبة الانبياء غير المرسلين على ماحققوه . والثانية وهى حالة تمثل الملك رجلا يخاطب هى رتبة الانبياء المرسلين ولذلك كانت أكمل من الاولى وهذا معنى الحديث الذى فسر فيه صلى الله عليه وسلم الوحى لما سأله الحارث بن هشام وقال كيف يأتيك الوحى فقال احيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس وهو أشده على فيفصم عنى وقد وعيت عنه ماقال. واحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فاعى مايقول . وانما كانت الاولى أشد لانها مبدأ الخروج فى ذلك الاتصال من القوة الى الفعل فيعسر بعض العسر ولذلك لما عاج فيها على المدارك البشرية اختصت بالسمع وصعب ما سواه فاذا تكرر الوحى وكثر التلقى يسهل ذلك الاتصال فعند ما يعرج على المدارك البشرية يأتى على جميعها وخصوصاً الاوضح منها وهو ادراك البصر فى العبارة عن الوحى فى الاولى بصيغة الماضى وفى الثانية بصيغة المضارع لطيفة من البلاغة وهى ان الكلام جاء مجىء التمثيل لحالتى الوحى فمثل الحالة الاولى بالدوى الذى هو فى المتعارف غير كلام وأخبر ان الفهم والوعى يتبعه غب انقضائه فناسب عند تصوير انقضائه وانفصاله العبارة عن الوعى بالماضى المطابق للانقضاء والانقطاع ومثل الملك فى الحالة الثانية برجل يخاطب ويتكلم والكلام يواقفه الوعى فناسب فيه التعبير بالمضارع المقتضى للتجدد

واعلم أن أحوال الوحي كلها صعوبة فى الجملة وشدة كما أشار اليها القرآن قال تعالى (انا سنلقي عليك قولا ثقيلا) وقالت عائشة رضي الله عنها كان مما يعانى من التنزيل شدة وقالت كان ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا ولذلك كان يحدث عنه فى تلك الحالة من الغيبة والغطيط ما هو معروف وسبب ذلك ان الوحي كما قررناه مفارقة المدارك البشرية الى المدارك الملكية وتلقى كلام النفس فيحدث عنه شدة من مفارقة الذات ذاتها وانسلاخها عنها من أفقها الى ذلك الافق الآخر وهذا هو معني الغط الذي عبر به فى مبدأ الوحي فى قوله فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرأ فقلت ما انا بقاريء وكذلك ثانية وثالثة كما فى الحديث وقد يفضي الاعتياد بالتدريج فيه شيأ فشيأ الى بعض السهولة بالقياس الي ما قبله ولذلك كان ينزل القرآن نجوما سورة وآية حين كان بمكة واقصر منها وهو بالمدينة وانظر الى ما نقل فى نزول سورة براءة فى غزوة تبوك وانها نزلت كلها أو اكثرها عليه وهو يسير على ناقة بعد ان كان بمكة ينزل عليه بعض السورة من قصار المفصل فى وقت وينزل الباقي فى حين آخر وكذلك كان آخر ما نزل بالمدينة آية الدين وهى على ما فيها من الطول بعد ان كانت الآية تنزل بمكة مثل آيات الرحمن والذاريات والمدثر والضحى والفلق وامثالها واعتبر من ذلك علامة تميزها بين المكى والمدنى من السورة والآيات والله المرشد للصواب هذا محصل أمر النبوة

وأما الكهانة فهي أيضاً من خواص النفس الانسانية وذلك انه قد تقدم فيما مر ان للنفس الانسانية استعدادا للانسلاخ من البشرية والروحانية التي فوقها وانه يحصل من ذلك لمحة للبشر فى صنف الانبياء بما فطروا عليه من ذلك وتقرر انه يحصل لهم من غير اكتساب ولا استعانة بشيء من المدارك ولا من التصورات ولا من الافعال البدنية كلاما أو حركة ولا بأمر من الامور بل هو انسلاخ من البشرية الى الملكية بالفطرة في لحظة أقرب من لمح البصر فاذا كان كذلك وكان ذلك الاستعداد موجوداً فى الطبيعة البشرية فيعطى التقسيم العقلى ان هنا صنفاً آخر من البشر ناقصاً عن رتبة الصنف الاول نقصان الضد عن ضده الكامل لان عدم الاستعانة فى ذلك الادراك ضد الاستعانة فيه وشتان ما بينهما فاذا أعطي تقسيم الوجود ان هنا صنفاً آخر من البشر مفطوراً على ان تتحرك قوته العقلية حركتها الفكرية بالارادة عندما يبعثها النزوع لذلك وهي ناقصة عنه بالجبلة عندما يعوقها العجز عن ذلك فتتشبث بأمور جزئية محسوسة أو متخيلة كالاجسام الشفافة وعظام الحيوانات وسجع الكلام وما سنح من طير او حيوان فيستديم

ذلك الاحساس والتخيل مستعيناً به فى ذلك الانسلاخ الذي يقصده ويكون كالمشيع له وهذه القوة التي فيهم مبدأ لذلك الادراك هى الكهانة ولكون هذه النفوس مفطورة على النقص والقصور عن الكمال كان ادراكها فى الجزئيات اكثر من الكليات ولذلك تكون المخيلة فيهم في غاية القوة لانها آلة الجزئيات فتنفذ فيها نفوذاً تاما في نوم أو يقظة وتكون عندها حاضرة عتيدة تحضرها المخيلة وتكون كالمرآة تنظر فيها دائماً ولا يقوي الكاهن على الكمال في ادراك المعقولات لان وحيه من وحي الشيطان وارفع أحوال هذا الصنف ان يستعين بالكلام الذي فيه السجع والموازنة ليشتغل به عن الحواس ويقوى بعض الشيء على ذلك الاتصال الناقص فيهجس في قلبه عن تلك الحركة والذي يشيعها من ذلك الاجنبي ما تقذفه على لسانه فربما صدق ووافق الحق وربما كذب لانه يتمم نقصه بامر أجنبي عن ذاته المدركة ومباين لها غير ملائم فيعرض لها الصدق والكذب جميعاً ولا يكون موثوقا به وربما يفزع الى الظنون والتخمينات حرصا على الظفر بالادراك بزعمه وتمويهاً على السائلين وأصحاب هذا السجع هم المخصوصون باسم الكهان لانهم أرفع سائر أصنافهم * وقد قال صلى الله عليه وسلم في مثله هذا من سجع الكهان فجعل السجع مختصاً بهم بمقتضى الاضافة وقد قال لابن صياد حين سأله كاشفاً عن حاله بالاختبار كيف يأتيك هذا الامر قال يأتيني صادق وكاذب فقال خلط عليك الامر يعني ان النبوة خاصتها الصدق فلا يعتريها الكذب بحال لانها اتصال من ذات النبي بالملاء الاعلى من غير مشيع ولا استعانة باجنبي * والكهانة لما احتاج صاحبها بسبب عجزه الى الاستعانة بالتصورات الاجنبية كانت داخلة فى ادراكه والتبس بالادراك الذى توجهت اليه فصار مختلطا بها وطرقه الكذب من هذه الجهة فامتنع ان تكون نبوة وانما قلنا ان أرفع مراتب الكهانة حالة السجع لان معنى السجع أخف من سائر المغيبات من المرئيات والمسموعات وتدل خفة المعني على قرب ذلك الاتصال والادراك والبعد فيه عن العجز بعض الشيء وقد زعم بعض الناس ان هذه الكهانة قد انقطعت منذ زمن النبوة بما وقع من شأن رجم الشياطين بالشهب بين يدي البعثة وان ذلك كان لمنعهم من خبر السماء كما وقع فى القرآن

والكهان انما يتعرفون أخبار السماء من الشياطين فبطلت الكهانة من يومئذ ولا يقوم من ذلك دليل لان علوم الكهان كما تكون من الشياطين تكون من نفوسهم أيضاً كما قررناه وأيضاً فالآية انما دلت على منع الشياطين من نوع واحد من أخبار السماء وهو ما يتعلق بخبر البعثة ولم يمنعوا مما سوي ذلك وأيضاً فانما كان ذلك الانقطاع

بين يدي البعثة فقط ولعلها عادت بعد ذلك الى ما كانت عليه وهذا هو الظاهر لان هذه المدارك كلها تخمد في زمن النبوة كما تخمد الكواكب والسرج عند وجود الشمس لان النبوة هي النور الاعظم الذي يخفى معه كل نور ويذهب * ثم ان هؤلاء الكهان إذا عاصروا زمن النبوة فانهم عارفون بصدق النبي ودلالة معجزاته لان لهم بعض الوجدان من أمر النبوة كما لكل انسان من أمر اليوم ومعقولية تلك النسبة موجودة للكاهن باشد مما لغيره ولا يصدهم عن ذلك ويوقعهم في التكذيب الا قوة المطامع في انها نبوة لهم فيقعون في العناد كما وقع لامية بن أبي الصلت فانه كان يطمع ان يتنبأ وكذا وقع لابن صياد ولمسيلمة وغيرهم فاذا غلب الايمان وانقطعت تلك الاماني آمنوا أحسن ايمان كما وقع لطليحة الاسدي وسواد بن قارب وكان لهما في الفتوحات الاسلامية الآثار الشاهدة لحسن الايمان * ثم انا نجد في النوع الانساني أشخاصاً يخبرون بالكائنات قبل وقوعها بطبيعة فيهم يتميز بها صنفهم عن سائر الناس ولا يرجعون في ذلك الى صناعة ولا يستدلون عليه بأثر من النجوم ولا غيرها وانما نجد مداركهم في ذلك بمقتضى فطرتهم التي فطروا عليها وذلك مثل العرافين والناظرين في الاجسام الشفافة كالمرآة وطسوت الماء والناظرين في قلوب الحيوانات وأكبادها وعظامها وأهل الزجر في الطير والسباع وأهل الطرق بالحصى والحبوب من الحنطة والنوى وهذه كلها موجودة في عالم الانسان لا يسع أحد جحدها ولا انكارها وكذلك المجانين يلقى على ألسنتهم كلمات من الغيب فيخبرون بها وكذلك النائم والميت لاول موته أو نومه يتكلم بالغيب * وقد ذكر مسلمة في كتاب الغاية له في مثل ذلك ان الآدمي اذا جعل في دن مملوء بدهن السمسم ومكث فيه اربعين يوما يغذي بالتين والجوز حتى يذهب لحمه ولا يبقى منه الا العروق وشؤون رأسه فيخرج من ذلك الدهن فحين يجف عليه الهواء يجيب عن كل شيء يسأل عنه من عواقب الامور الخاصة والعامة وهذا فعل من أفعال السحرة لكن يفهم منه عجائب العالم الانساني وقد يزعم بعض الناس ان هنالك مدارك للغيب من دون غيبة عن الحس فمنهم المنجمون القائلون بالدلالات النجومية ومقتضى أوضاعها في الفلك وآثارها في العناصر وما يحصل من الامتزاج بين طباعها بالتناظر ويتأدى من ذلك المزاج إلى الهواء وهؤلاء المنجمون ليسوا من الغيب في شيء انما هي ظنون حدسية وتخمينات وهمية مبنية على تأثير النجوم وحصول المزاج عنه للهواء مع مزيد حدس يقف به الناظر على تفصيله في الشخصيات في العالم وجانيا الوثبت يوزنابه يصعاين وتخمين وليس مما ذكرناه في شيء ومن هؤلاء قوم من العامة استنبطوا

لاستخراج الغيب وتعرف الكائنات صناعة سموها خط الرمل نسبة الى المادة التي يصنعون فيها عملهم ومحصل هذه الصناعة انهم صيروا من النقط اشكالا ذوات أربع مراتب تختلف باختلاف مراتبها في الزوجية والفردية واستوائها فيهما فكانت ستة عشر شكلا لانها اذا أخذت أزواجها وأفرادها يتأتى منها أربعة أشكال يسمونها الامهات ويأخذون من رؤسها أربعة أشكال يسمونها البنات ثم يأخذون من كل منهما أربعة أشكال يسمونها بنات البنات ثم يأخذون منها شكلين يسمونهما الميازين ثم يأخذون منهما ومن الاول شكلين يسمونهما العاقبة فجاءت ستة عشر شكلا ميزوها كلها باسماء وأنواع الى سعود ونحوس فى شأن الكواكب وهذه انما مستندها أوضاع تحكيمية واهواء اتفاقية ولا دليل يقوم على شيء منها ومنهم طوائف يضعون قوانين لاستخراج الغيب ليست من الطور الاول الذي هو من مدارك النفس الروحانية ولا من الحدس المبني على تأثيرات النجوم كما زعموا ولا من الظن والتخمين الذي يحاول عليه العرافون وانما هي مغالط يجعلونها كالمصايد لاهل العقول المستضعفة

وأما العلوم العقلية التى هى طبيعية للانسان من حيث انه ذو فكر فهي غير مختصة بملة بل يوجد النظر فيها لاهل الملل كلهم ويستوون في مداركها ومباحثها وهي موجودة فى النوع الانساني مذ كان عمران الخليقة وتسمي هذه العلوم علوم الفلسفة والحكمة وهي مشتملة على أربعة علوم

الاول علم المنطق وهو علم يعصم الذهن عن الخطاء فى اقتناص المطالب المجهولة من الامور الحاصلة المعلومة وفائدته تمييز الخطاء من الصواب فيما يلتمسه الناظر فى الموجودات وعوارضها ليقف على تحقيق الحق فى الكائنات بمنتهى فكره * ثم النظر بعد ذلك عندهم اما المحسوسات من الاجسام العنصرية والمكونة عنها والنبات والحيوان والاجساد الفلكية والحركات الطبيعية والنفس التي تنبعث عنها الحركات وغير ذلك ويسمى هذا الفن بالعلم الطبيعي وهو الثاني منها . واما ان يكون النظر فى الامور التي وراء الطبيعة من الروحانية ويسمونه العلم الالهى وهو الثالث منها * والعلم الرابع وهو النظر فى المقادير ويشتمل على أربعة علوم وتسمى التعاليم * أولها علم الهندسة وهو النظر فى المقادير على الاطلاق أما المنفصلة فمن حيث كونها معدودة والمتصلة وهي اما ذو بعد واحد وهو الخط أو ذو بعدين وهو السطح أو ذو أبعاد ثلاثة وهو الجسم التعليمي فينظر فى هذه المقادير وما يعرض لها اما من حيث ذاتها أو من حيث نسبة بعضها الى بعض

وثانيها علم الارثماطيقى وهو ما يعرض للكم المنفصل الذي هو العدد وما يؤخذ له من الخواص والعوارض اللاحقة .

وثالثها علم الموسيقى وهو معرفة نسب الاصوات والنغم وتاليف بعضها من بعض وتقديرها بالعدد وثمرته معرفة تلاحين الغناء

ورابعها علم الهيئة وهو تعيين الاشكال للافلاك وحصر أوضاعها وتعددها لكل كوكب من السيارة والقيام على معرفة ذلك من قبل الحركات السماوية المشاهدة الموجودة لكل واحد منها من رجوعها واستقامتها واقبالها وادبارها فهذه أصول العلوم الفلسفية وهي سبعة المنطق وهو المقدم منها وبعده التعاليم فالارثماطيقي ثم الهندسة ثم الهيئة ثم الموسيقى ثم الطبيعيات ثم الالهيات ولكل واحد منها فروع تتفرع فمن فروع الطبيعيات الطب، ومن فروع العدد علم الحساب والفرائض والمعاملات . ومن فروع الهيئة الازياج وهي قوانين حسابات حركة الكواكب وتعديلها للوقوف على مواضعها متى قصد ذلك ومن فروع النظر فى النجوم علم الاحكام النجومية ومن قبيل هذه التأثيرات النفسانية الاصابة بالعين وهو تأثير من نفس المعيان عند ما يستحسن بعينه مدركا من الذوات والاحوال ويفرط فى استحسانه وينشأ عن ذلك الاستحسان حينئذ انه يروم معه سلب ذلك الشيء عمن اتصف به فيؤثر فيه بالفساد وهو جبلة فطرية أعني تأثير الاصابة بالعين والفرق بينها و بين التاثيرات وان كان منها ما لا يكتسب لان صدورها راجع الى اختيار فاعلها والفطري منها قوة صدورها وانما ذكرت لك هذه التأثيرات باقسامها وبيان أسبابها وأحكامها وكلياتها وجزئياتها وموادها وضروبها وهيآتها ليظهر لك تحقيق الفرق بين تأثير الباطل والتأثير الحق لتعلم وتحقق ان تأثير النبوة ليس من هذا القبيل . ولا يعتريه شيء من هذه الاقاويل والتماثيل . فاذا علمت ذلك وتحققت بما هنالك انكشف لك وجه النهار . وزالت عنك الالتباسات والاكدار ولم يبق لك على وجه الحق غبار . فتعلم حينئذ ان تأثيرات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام انما هو بمدد الهي وخاصية ربانية ونفوس الكهنة وان كان لها خاصية الاطلاع على المغيبات الا انها بقوى شيطانية وهكذا كل صنف مختص بخاصية لا توجد فى الآخر

﴿ والنفوس الساحرة على مراتب ثلاثة ﴾

أولها المؤثرة بالهمة فقط من غير آلة ولا معين وهذا هو الذي تسميه الفلاسفة السحر * والثاني بمعين من مزاج الافلاك والعناصر وخواص الاعداد ويسمونه

الطلسمات وهو أضعف رتبة من الأول * والثالث تأثير في القوى المتخيلة يعمد صاحب هذا التأثير الى القوي المتخيلة فيتصرف فيها بنوع من التصرفات ويلقي فيها أنواعا من الخيالات والمحاكاة وصوراً مما يقصده من ذلك ثم ينزلها الى الحس من الرائين بقوة نفسه المؤثرة فيه فينظر الراؤن انها في الخارج وان لها حقيقة والحال انه لا حقيقة لها وليس هناك شيء من ذلك كما يحكى عن بعضهم انه يري البساتين والانهار والقصور وليس هناك شيء من ذلك ويسمى هذا عند الفلاسفة الشعوذة أو الشعبذة هذا تفصيل هذه المراتب

ثم هذه الخاصية تكون في الساحر بالقوة كسائر القوي البشرية وانما تخرج الى الفعل بالرياضة ورياضات السحر كلها انما تكون بالتوجه الى الافلاك والكواكب والعوالم العلوية والشياطين بانواع التعظيم والعبادة والخضوع والتذلل فهي لذلك وجهة الى غير الله وسجود له والوجهة الى غير الله كفر فلهذا كان السحر كفراً والكفر من مواده وأسبابه كما رأيت * ومن متخيلات السحر من يشير الى كساء أو جلد ويتكلم عليه في سره فاذا هو مقطوع متخرق . ويوجد بارض الهند من يشير الى انسان فيخفى قلبه ويقع ميتاً فاذا كشف عن قلبه فلا يوجد في أحشائه ويشير الى الرمانة فيخفى حبوبها فاذا فتحت لا يوجد فيها شيء من حبوبها وهذا كله بحسب ما يرى فقط والا فلا حقيقة لذلك كما علمت . وقد بان لك مما قدمناه وقررناه وبيناه وأوضحناه غالب أجناس الخلق وما لهم من التأثيرات ولكن بقي منهم صنف آخر وهو المقصود بالذات وما ذكرنا تلك الاصناف الا توصلا لذكره لان الوسائل سابقة على المقاصد وانما قدمناها عليه مع انه المقصود لتكون على بينة في طلبه اذ لا يجوز الاقدام على الشيء والخوض فيه الا بعد معرفة ما يتميز به ذلك الشي عما يشاركه ولو في بعض الوجوه بحسب الظاهر وذلك الصنف هم المتصوفة فلنشرح القول في بيان أقسامهم وأحوالهم ومقاماتهم وتخصيص هذا الاسم بهم فنقول وبالله الاعانة والحول .

﴿ المقصد الثالث في التصوف وأقسام الصوفية وأحوالهم ومقاماتهم وما يتبع ذلك ﴾

اعلم أن التصوف علم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة الاسلامية وأصله ان طريقة القوم لم تزل عند سلف الامة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق والهداية وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع الى الله تعالى والاعراض عن زخرف

الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة والعبادة ولذلك عرفوا علم التصوف وحدوه بحد جامع مانع فقالوا ه التصوف تجريد القلب عما سوي الله تعالي والاقبال عليه بالكلية وقد كان ذلك عاما في الصحابة والسلف فلما فشا الاقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده وجنح الناس الى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة

قال الاستاذ ابو القاسم القشيري رحمه الله تعالى ولا يشهد لهذا الاسم اشتقاق من جهة العربية ولا قياس والظاهر انه لقب ومن قال اشتقاقه من الصفا أو من الصفة فبعيد من جهة القياس اللغوي قال وكذلك من الصوف لانهم لم يختصوا بلبسه . قلت والاظهر ان قيل بالاشتقاق انه من الصوف وهم في الغالب مختصون بلبسه لما كانوا عليه من مخالفة الناس في لبس فاخر الثياب الى لبس الصوف فلما اختص هؤلاء بمذهب الزهد والانفراد عن الخلق والاقبال على العبادة اختصوا بما أخذ مدركة لهم وذلك ان الانسان انما يتميز عن سائر الحيوان بالادراك وادراكه نوعان ادراك العلوم والمعارف من اليقين والظن والشك والوهم وادراك للاحوال القائمة من الفرح والحزن والقبض والبسط والرضي والغضب والصبر والشكر والاجتماع والافتراق والعسر واليسر والسقم والعافية وأمثال ذلك فالروح العاقل المتصرف في البدن ينشأ من ادراكات وارادات وأحوال وهي التي يتميز بها الانسان وبعضها ينشأ من بعض كما ينشأ في العلم من الادلة والفرح والحزن عن ادراك المتلذذ به والمؤلم والنشاط من الحمام والكسل من الاعيا وكذلك المريد في مجاهدته وعبادته لا بد وان ينشأ له عن كل مجاهدة حال هي نتيجة تلك المجاهدة وتلك الحال اما ان تكون نوع عبادة فترسخ وتصير مقاما للمريد واما ان لا تكون عبادة وانما تكون صفة حاصلة للنفس من حزن أو سرور أو نشاط أو كسل أو غير ذلك من المقامات ولا يزال المريد يترقى من مقام الى مقام الى أن ينتهي الي التوحيد والمعرفة التي هي الغاية المطلوبة للسعادة لقوله عليه الصلاة والسلام من مات يشهد أن لا اله الا الله دخل الجنة فالمريد لا بد له من الترقي في هذه الاطوار وأصلها كلها الطاعة والاخلاص ويتقدمها الايمان ويصاحبها وتنشأ عنها الاحوال والصفات نتائج وثمرات ثم تنشأ عنها أخرى وأخري الى مقام التوحيد والعرفان فاذا وقع تقصير في النتيجة أو خلل فنعلم انه انما أتي من قبل التقصير في الذي قبله وكذلك في الخواطر النفسانية والواردات القلبية فلهذا يحتاج المريد الي محاسبة نفسه في سائر أعماله وينظر في حقائقها لان حصول النتائج من الاعمال ضروري وقصورها

من الخلل فيها كذلك والمريد يجد ذلك بذوقه ويحاسب نفسه على أسبابه ولا يشاركهم في ذلك الا القليل من الناس لان الغفلة عن هذا شاملة وغاية أهل العبادات ان لم ينتهوا الى هذا النوع فانهم يأتون بالطاعات مخلصة من نظر الفقه في الاجزاء والامتثال وهؤلاء يبحثون عن نتائجها بالاذواق والمواجد ليطلعوا على انها خالصة من التقصير أولا فظهر ان أصل طريقتهم كلها محاسبة النفس على الافعال والتروك وان الكلام في هذه الاذواق والمواجد التي تحصل عن المجاهدات ثم يستقر للمريد مقامات ويترقى منها الى غيرها * ثم لهم مع ذلك آداب مخصوصة بهم واصطلاحات في الفاظ تدور بينهم اذ الاوضاع اللغوية انما هي للمعاني المتعارفة فاذا عرض من المعارف ما هو غير متعارف اصطلحنا على التعبير عنه بلفظ يتيسر فهمه منه فلهذا اختص هؤلاء بهذا النوع من العلم الذي ليس لواحد من غيرهم من أهل الشريعة الكلام فيه فصار علم الشريعة على صنفين * صنف مخصوص بالفقهاء وأهل الفتيا وهي الاحكام العامة في العبادات والعادات والمعاملات * وصنف مخصوص بالقوم في القيام بهذه المجاهدة ومحاسبة النفس عليها والكلام في الاذواق والمواجد العارضة في طريقها وكيفية الترقي منها من ذوق الى ذوق وشرح الاصطلاحات التي تدور بينهم في ذلك فلما كتبت العلوم ودونت وألف الفقهاء في الفقه وأصوله والكلام والتفسير وغير ذلك كتب رجال من أهل هذه الطريقة في طريقهم . فمنهم من كتب في الورع ومحاسبة النفس على الاقتداء في الاخذ والترك كما فعله القشيري في كتاب الرسالة والسهروردي في كتاب عوارف المعارف وأمثالهم وجمع الغزالي رحمه الله بين الامرين في كتاب الاحياء فدون فيه أحكام الورع والاقتداء ثم بين آداب القوم وسننهم وشرح اصطلاحاتهم في عباراتهم وصار علم التصوف في الملة علما مدونا بعد ان كانت الطريقة عبادة فقط وكانت أحكامها انما تتلقى من صدور الرجال كما وقع في سائر العلوم التي دونت في الكتب من التفسير والحديث والفقه والاصول وغير ذلك * ثم ان هذه المجاهدة والخلوة والذكر يتبعها غالبا كشف حجاب الحس والاطلاع على عوالم أمر الله ليس لصاحب الحس ادراك شيء منها والروح من تلك العوالم وسبب هذا الكشف ان الروح اذا رجع عن الحس الظاهر الى الباطن ضعفت أحوال الحس وقويت أحوال الروح وغلب سلطانه وتجدد نشوه وأعان على ذلك الذكر فانه كالغذاء لتنمية الروح ولا يزال في نمو وتزايد الى أن يصير شهوداً بعد ان كان علماً ويكشف حجاب الحس ويتم وجود النفس الذي لها من ذاتها وهو عين الادراك فيتعرض حينئذ للمواهب الربانية والعلوم اللدنية والفتح الالهي وتقرب ذاته

في تحقق حقيقتها من الافق الاعلى أفق الملائكة وهذا الكشف كثيراً ما يعرض لاهل المجاهدة فيدركون من حقائق الوجود ما لا يدركه سواهم وكذلك يدركون كثيراً من الواقعات قبل وقوعها ويتصرفون بهممهم وقوى نفوسهم فى الموجودات وتصير طوع ارادتهم والعظماء منهم لا يعتبرون هذا الكشف ولا يتصرفون ولا يخبرون عن حقيقة شيء لم يؤمروا بالتكلم فيه بل يعدون ما يقع لهم من ذلك محنة ويتعوذون منه اذا هاجمهم وقد كان الصحابة رضى الله عنهم على مثل هذه المجاهدة وكان حظهم من هذه الكرامات أوفر الحظوظ لكنهم لم يقع لهم بها عناية * وفي فضائل أبي بكر وعمر وعثمان وعلى رضي الله عنهم كثير منها وتبعهم في ذلك أهل الطريقة ممن اشتملت رسالة القشيري على ذكرهم ومن تبع طريقتهم من بعدهم ثم ان قوما من المتأخرين انصرفت عنايتهم الى كشف الحجاب والمدارك التي وراءه واختلفت طريقة الرياضة فى ذلك باختلاف تعليمهم فى اماتة القوي الحسية وتغذية الروح العاقل بالذكر حتى يحصل للنفس ادراكها الذي لها من ذاتها بتمام نشوئها ومعلوم على القطع انه اذا نزل الموت بالبدن ذهب الحس وحجابه واطلعت النفس على ذاتها وعالمها فاذا حصل ذلك زعموا أن الوجود قد انحصر فى مداركها حينئذ وانهم كوشفوا ذوات الوجود وتصوروا حقائقها كلها من العرش والفرش هكذا قال الغزالى رحمه الله فى كتاب الاحياء بعد ان ذكر صورة الرياضة ثم ان هذا الكشف لا يكون صحيحا كاملا عندهم الا اذا كان ناشئا عن الاستقامة لان الكشف قد يحصل لصاحب الجوع والخلوة وان لم يكن هناك استقامة كالكهنة وغيرهم من المرتاضين وليس مرادنا الا الكشف الناشئ عن الاستقامة. ومثاله ان المرآة الصقيلة اذا كانت محدبة أو مقعرة وحوذي بها جهة المرئي فانه يتشكل فيها معوجا على غير صورته وان كانت مسطحة تشكل فيها المرئى صحيحاً فالاستقامة للنفس كالانبساط للمرآة فيما ينطبع فيها من الاحوال ولما اعتني المتأخرون بهذا النوع من الكشف تكلموا فى حقائق الموجودات العلوية والسفلية وحقائق الملك والروح والعرش والكرسي وأمثال ذلك وقصرت مدارك من لم يشاركهم في طريقهم عن فهم أذواقهم ومواجدهم فى ذلك وأهل الفتيا بين منكر عليهم ومسلم لهم وليس البرهان والدليل بنافع في هذه الطريق رداً وقبولا اذ هي من قبيل الوجدانيات وربما قصد بعض المصنفين بيان مذهبهم في كشف الوجود وترتيب حقائقه فاتى بالاغمض فالاغمض بالنسبة الى أهل النظر والاصطلاحات والعلوم كما فعل الفرغاني شارح قصيدة ابن الفارض في الديباجة التي كتبها فى صدر ذلك الشرح فانه ذكر في صدور الوجود عن الفاعل وترتيبه ان الوجود كله صادر عن صفة الوحدانية

التي هي مظاهر الاحدية وهما معاً صادران عن الذات الكريمة التي هي عين الوحدة لا غير ويسمون هذا الصدور بالتجلي وأول مراتب التجليات عندهم تجلي الذات على نفسه وهو يتضمن الكمال بافاضة الايجاد والظهور. لقوله في الحديث كنت كنزاً مخفياً فاحببت أن أعرف فخلقت الخلق ليعرفون. وهذا الكمال في الايجاد المتنزل في الوجود وتفصيل الحقائق وهو عندهم عالم المعاني والحضرة الكمالية والحقيقة المحمدية وفيها حقائق الصفات واللوح والقلم وحقائق الانبياء والرسل أجمعين والكل من أهل الملة المحمدية وهذا كله تفصيل الحقيقة المحمدية ويصدر عن هذه الحقائق حقائق أخر في الحضرة الهبائية وهي مرتبة المثال ثم عنها العرش ثم الكرسي ثم الافلاك ثم عالم العناصر ثم عالم التركيب هذا في عالم الرتق فاذا انجلت فهي في عالم الفتق ويسمي هذا المذهب مذهب أهل التجلي والمظاهر والحضرات وهو كلام لا يقتدر أهل النظر على تحصيل مقتضاه لغموضه وانغلاقه وبعد ما بين كلام صاحب المشاهدة والوجدانيات وكلام صاحب الدليل وربما انكر بظاهر الشرع الترتيب ومن الناس من يحاول حصول هذا المدرك الغيبي بالرياضة السحرية فيرتاضون بذلك ليحصل لهم الاطلاع على المغيبات والتصرفات في بعض العوالم وأكثر هؤلاء في الاقاليم المنحرفة جنوبا وشمالا خصوصاً بلاد الهند ويسمون هناك الجوكية ولهم كتب في كيفية هذه الرياضة كثيرة والاخبار عنهم في ذلك غريبة * وأما المتصوفة فرياضتهم دينية وعارية عن هذه المقاصد المذمومة وانما يقصدون جمع الهمة والاقبال على الله بالكلية ليحصل لهم أذواق أهل العرفان والتوحيد ويزيدون في رياضتهم الى الجمع بالجوع والتغذية بالذكر فبهما تتم وجهتهم في هذه الرياضة لان النفس اذا نشأت على الذكر كانت أقرب الى العرفان بالله واذا عريت عن الذكر كانت شيطانية وحصول ما يحصل من معرفة الغيب والتصرف لهؤلاء المتصوفة انما هو عارض ولا يكون مقصوداً من أول الامر لانه اذا قصد ذلك كانت الوجهة فيه لغير الله وكان المراد بها التصرف والاطلاع على الغيب فان كان كذلك فاخسر بها من صفقة لانها في الحقيقة شرك ولذا قال بعضهم من آثر العرفان للعرفان فقد قال بالثاني فهم يقصدون بوجهتهم المعبود لا شيء سواه واذا حصل أثناء ذلك ما يحصل فبالعرض غير مقصود لهم وكثير منهم يفر منه اذا عرض له ولا يحفل به وانما يريد الله لذاته لا لغيره وحصول ذلك لهم معروف ويسمون ما يقع لهم من الغيب والحديث على الخواطر فراسة وكشفا وما يقع لهم من التصرف كرامة وليس شيء من ذلك بنكير في حقهم * وأما قول بعضهم ان السعادة في ادراك الموجودات على ما هي عليه فقول مزيف مردود وتفسيره ان الانسان مركب من جزئين احدهما جسماني

والآخر روحاني ممتزج به ولكل واحد من الجزئين مدارك مختصة به والمدرك فيهما واحد وهو الجزء الروحاني فيدرك تارة مدارك روحانية بذاته لا بواسطة والجزء الجسماني يدرك بواسطة آلات الجسم من الدماغ والحواس وكل مدرك له ابتهاج بما يدركه واعتبره بحال الصبي في أول مداركه الجسمانية التي هي بواسطة كيف يبتهج بما يبصره من الضوء وبما يسمعه من الاصوات فلا شك ان الابتهاج بالادراك الذي للنفس من ذاتها بغير واسطة يكون أشد والذي للنفس الروحانية اذا أشعرت بادراكها الذي لها من ذاتها بغير واسطة حصل لها ابتهاج ولذة لا يعبر عنها وهذا الادراك لا يحصل بنظر ولا علم وانما يحصل بكشف حجاب الحس ونسيان المدارك الجسماني بالجملة والمتصوفة كثيراً ما يعنون بحصول هذا الادراك للنفس بحصول هذه البهجة فيحاولون بالرياضة اماتة القوي الجسمانية ومداركها حتي الفكر من الدماغ ليحصل للنفس ادراكها الذي لها من ذاتها عند زوال الشواغب والموانع الجسمانية فيحصل لهم بهجة ولذة لا يعبر عنها وهذا الذي زعموه بتقدير صحته مسلم لهم وهو مع ذلك غير واف بمقصودهم * وأما قولهم ان البهجة الناشئة عن هذا الادراك هي عين السعادة الموعود بها فباطل أيضاً لانه تبين لنا مما قررنا ان وراء الحس مدركا آخر للنفس من غير واسطة وانها تبتهج بادراكها ذلك ابتهاجا شديداً وذلك لا يعين لنا أنه عين السعادة الاخروية ولا به بل هي من جملة الملاذ التي لتلك السعادة * وأما القول بان السعادة في ادراك هذه الموجودات على ما هي عليه فقول باطل مبني على ما كنا قدمناه في أصل التوحيد من الاوهام والاغلاط في أن الوجود عند كل مدرك منحصر في مداركه وبينا فساد ذلك وان الوجود أوسع من أن يحاط به وان يستوفى في ادراكه بجملته روحانياً أو جسمانياً * والذي تحصل من جميع ما قررناه من مذاهبهم ان الجزء الروحاني اذا فارق القوي الجسمانية أدرك ادراكا ذاتياً له مختصاً بصنف من المدارك وهي الموجودات التي أحاط بها علمنا وليس بعام في الموجودات كلها اذ لم تحصر وانه يبتهج بذلك لنحو من الادراك ابتهاجا شديداً كما يبتهج الصبي بمداركه الحسية في أول نشوءه ومن لنا بعد ذلك بادراك جميع الموجودات أو بحصول السعادة التي وعدنا بها الشارع ان لم نعمل لها هيهات هيهات * وأما القول بان الانسان مستقل بتهذيب نفسه واصلاحها بملابسة المحمود ومجانبة المذموم فهذا أمر مبني على ان ابتهاج النفس بادراكها الذي لها من ذاتها هو عين السعادة الموعود بها لان الرذائل عائقة للنفس عن تمام ادراكها ذلك بما يحصل لها من الملكات الجسمانية وألوانها وقد بينا ان أثر السعادة والشقاوة من وراء الادراكات الجسمانية والروحانية فهذا التهذيب الذي توصلوا

الى معرفته انما نفعه في البهجة الناشئة عن الادراك الروحاني فقط الذي هو على المقاييس والقوانين وأما ما وراء ذلك من السعادة التي وعدنا بها الشارع على امتثال ما أمر به من الاعمال والاخلاق فامر لا يحيط به مدارك المدركين ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ٠

وأما الرؤيا لحقيقتها مطالعة النفس الناطقة فى ذاتها الروحانية لمحة من صور الواقعات فانها عند ما تكون روحانية تكون صور الواقعات فيها موجودة بالفعل كما هو شأن الذوات الروحانية كلها وتصير روحانية بان تجرد عن المواد الجسمانية والمدارك البدنية وقد يقع لها ذلك لمحة بسبب النوم كما نذكر فتقتبس بها علم ما تتشوف اليه من الامور المستقبلة وتعود به الي مداركها فان كان ذلك الاقتباس ضعيفاً وغير جلى بالمحاكاة والمثال فى الخيال لتخلصه فيحتاج من أجل هذه المحاكاة الي التعبير وقد يكون الاقتباس قويا يستغني فيه عن المحاكاة فلا يحتاج الى التعبير لخلوصه من المثال والخيال والسبب فى وقوع هذه اللمحة للنفس انها ذات روحانية بالقوة مستكملة بالبدن ومداركه حتى تصير ذاتها تعقلا محضاً ويكمل وجودها بالفعل فتكون حينئذ ذاتا روحانية مدركة بغير شيء من الآلات البدنية الا أن نوعها في روحانيات دون نوع الملائكة أهل الافق الاعلى الذين لم تستكمل ذواتهم بشيء من مدارك البدن ولا غيره فهذا الاستعداد حاصل لها ما دامت في البدن ومنه خاص كالذي للاولياء ومنه عام للبشر على العموم وهو أمر الرؤيا

وأما سبب حجاب ارتفاع الحواس بالنوم فعلى ما أصفه لك وذلك ان النفس الناطقة انما ادراكها وافعالها بالروح الحيواني الجسماني وهو بخار لطيف مركزه بالتجويف الايسر من القلب على ما فى كتب التشريح وغيرها وينبعث مع الدم فى الشريانات والعروق فيعطي الحس والحركة وسائر الافعال البدنية ويرتفع لطيفه الى الدماغ فيعدل من برده وتتم أفعال القوي التي فى بطونه فالنفس الناطقة انما تدرك وتعقل بهذا الروح البخاري وهي متعلقة به لما اقتضته حكمة التكوين في أن اللطائف تؤثر في الكثيف ولما لطف هذا الروح الحيواني من بين المواد البدنية صار محلا لآثار الذات المباينة له في جسمانيته وهي النفس الناطقة وصارت آثارها حاصلة في البدن بواسطته وقد كنا قدمنا ان ادراكها على نوعين ٠ ادراك بالظاهر وهو الحواس الخمس ٠ وادراك بالباطن وهو بالقوي الدماغية وان هذا الادراك كله صارف لها عن ادراكها ما فوقها من ذواتها الروحانية التي هي مستعدة لها بالفطرة ولما كانت الحواس الظاهرة جسمانية كانت معرضة للوسن والفشل بما يدركها من التعب والكلال وتغشي الروح بكثرة التصرف فخلق الله لها طلب الاستجمام اي الاستراحة لتجرد الادراك على الصورة الكاملة وانما يكون ذلك بانخناس الروح

لحيواني من الحواس الظاهرة كلها ورجوعه الى الحس الباطن ويعين على ذلك ما يغشى البدن من البرد بالليل فتطلب الحرارة الغريزية أعماق البدن وتذهب من ظاهره الى باطنه فتكون مشيعة مركبها وهو الروح الحيواني الى الباطن ولذلك كان النوم للبشر في الغالب انما هو بالليل فاذا خنس الروح عن الحواس الظاهرة ورجع الى القوى الباطنة وخفت على النفس شواغل الحس وموانعه ورجعت الى الصورة التي في الحافظة تمثل منها بالتركيب والتحليل صور خيالية وأكثر ما تكون معتادة لانها منتزعة من المدركات المتعاهدة قريباً ثم ينزلها الحس المشترك الذي هو جامع الحواس الظاهرة فيدركها على أنحاء الحواس الخمس الظاهرة وربما التفتت النفس لفتة الى ذاتها الروحانية مع منازعتها القوى الباطنة فتدرك بادراكها الروحاني لانها مفطورة عليه وتقتبس من صور الاشياء التي صارت متعلقة في ذاتها حينئذ ثم يأخذ الخيال تلك الصورة المدركة فيمثلها بالحقيقة او المحاكاة في القوالب المعهودة والمحاكاة من هذه هي المحتاجة للتعبير وتصرفها بالتركيب والتحليل في صورة الحافظة قبل أن تدرك من تلك اللمحة ما تدركه هي أضغاث احلام ٭ وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الرؤيا ثلاث ٭ رؤيا من الله ٭ ورؤيا من الملك ٭ ورؤيا من الشيطان ٭ وهذا التفصيل مطابق لما ذكرناه فالجلي من الله والمحاكاة الداعية الى التعبير من الملك واضغاث الاحلام من الشيطان لانها كلها باطل والشيطان ينبوع الباطل ٭ هذه حقيقة الرؤيا وأسبابها وما يشبهها من النوم وهي خواص للنفس الانسانية موجودة في البشر على العموم لا يخلو عنها أحد منهم بل كل واحد من الناس رأى في نومه ما صدر له في يقظته مراراً غير مرة واحدة وحصل له على القطع ان النفس مدركة للغيب في النوم ولا بد واذا جاز ذلك في عالم النوم فلا يمتنع في غيره من الاحوال لان الذات المدركة واحدة وخواصها عامة في كل حال والله الهادي الى الحق بمنه وفضله

﴿ وأما أقسام المتصوفة وتنوعهم وشرح أحوالهم وما لهم من المقامات ﴾

فاعلم ان قوما بها ليل معتوهون أشبه بالمجانين من العقلاء وهم مع ذلك قد صحت لهم مقامات الولاية وأحوال الصديقين وعلم ذلك من أحوالهم من يفهم عنهم من أهل الذوق مع أنهم غير مكلفين ويقع لهم من الاخبار عن المغيبات عجائب لانهم لا يتقيدون بشيء فيطلقون كلامهم في ذلك ويأتون منه بالعجائب وربما ينكر الفقهاء انهم على شيء من المقامات لما يرون من سقوط التكليف عنهم والولاية لا تحصل الا بالعبادة وهو غلط فان فضل الله يؤتيه من يشاء ولا يتوقف حصول الولاية على عبادة ولا غيرها واذا كانت النفس الانسانية

ثابتة الوجود فالله تعالى يخصها بما شاء من مواهبه وهؤلاء القوم لم تعدم نفوسهم الناطقة ولا فسدت كحال المجانين وانما فقد منهم العقل الذي به مناط التكليف وهو صفة خاصة للنفس وهي علوم ضرورية للانسان يستدل بها نظره ويعرف أحوال معاشه واستقامة منزله وكانه اذا ميز أحوال معاشه واستقامة منزله لم يبق له عذر في قبول التكاليف لاصلاح معاده وليس من فقد هذه الصفة بفاقد لنفسه ولا ذاهل عن حقيقته فيكون موجود الحقيقة معدوم العقل التكليفي الذي هو معرفة المعاش ولا استحالة في ذلك ولا يتوقف اصطفاء الله عباده للمعرفة على شيء من التكاليف * واذا صح ذلك فاعلم انه ربما يلتبس حال هؤلاء بالمجانين الذين تفسد نفوسهم الناطقة ويلتحقون بالبهائم ولك في تمييزهم علامات * منها ان هؤلاء البهاليل تجد لهم وجهة ما لا يخلون عنها أبداً من ذكر وعبادة لكن على غير الشروط الشرعية لما قلناه من عدم التكليف والمجانين لا تجد لهم وجهة أصلا * ومنها ان منهم من يخلقون على البله من أول نشأتهم والمجانين يعرض لهم الجنون بعد مدة من العمر لعوارض بدنية طبيعية فاذا عرض لهم ذلك وفسدت نفوسهم الناطقة ذهبوا بالخيبة * ومنها كثرة تصرفهم في الناس بالخير والشر لانهم لا يتوقفون على اذن لعدم التكليف في حقهم والمجانين لا تصرف لهم

وأما اقسامهم ومعرفة الفرق بينهم وطبقاتهم في ذلك * فاعلم ان اقسامهم أربعة * صوفي * ومتصوف * وملامتي * وفقير * والاصل في هذا التقسيم هو ان مراتب طبقات النوع الانساني على اختلاف درجاتهم ثلاثة * المرتبة الاولى مرتبة الواصلين والكاملين وهذه هي الطبقة العليا * والثانية مرتبة السالكين طريق الكمال وهذه هي الطبقة الوسطى * والثالثة مرتبة المقيمين وهذه هي الطبقة السفلى فالواصلون هم المقربون السابقون والسالكون هم الابرار وأصحاب اليمين والمقيمون هم الاشرار وأصحاب الشمال * وأهل الوصول بعد الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم طائفتان * الاولى المشايخ الصوفيه الذين وجدوا مراتب الوصول بواسطة متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم ورجعوا لاجل دعوة الخلق الى طريق المتابعة بالامر والاذن فهذه الطائفة هم الكاملون المكملون لان الفضل الالهي والعناية الازلية خلصتهم من بطن حوت الفنا الى ساحل التفرقة وساحة البقا بعد استغراقهم في عين الجمع ولجة التوحيد لاجل ان يدعوا الخلق الى النجاة والدرجات * وأما الثانية فهم الجماعة الذين لم يسلم اليهم أمر التكميل والرجوع الى دعوة الخلق وغرقوا في بحر الجمع وصاروا مستهلكين في بطن حوت الفنا بحيث لم يبلغ منهم أثراً الى ساحل التفرقة وناحية البقا وانخرطوا في زمرة سكان قباب العين وقطان ديار الحيرة ولم يفوض اليهم ولاية التكميل

بعد الوصول الى الكمال * وأهل السلوك قسمان * قسم طالبون ومريدون وجه الله زاهدون في الدارين * وقسم طالبون الجنة زاهدون في الدنيا راغبون في الاخري * فاما طالبوا الحق وهم القسم الاول فهم طائفتان متصوفة وملامتية * أما المتصوفة فهم الجماعة الذين خلصوا من بعض صفات النفوس واتصفوا ببعض أحوال الصوفيـة وأوصافهم واطلعوا بنهايات أحوالهم لكن تشبثوا باذيال بقايا الصفات النفسانية وبهذا السبب تخلفوا من وصول نهاية أهل القرب الصوفية * وأما الملامتيـة فهم الجماعة الذين بذلوا جهدهم في رعاية معني الاخلاص ومحافظة قاعدة الصدق واعتقدوا أن اخفاء الطاعات وكتم الخيرات من نظر الخلق واجب مع انهم لا يهملون دقيقة واحدة من الاعمال الصالحات وتمسكون بجميع الفضائل والنوافل بطريق اللزوم ومشربهم في جميع الاوقات تحقيق معني الاخلاص ولذتهم في تفرد نظر الحق في أعمالهم وأحوالهم وكما أن العاصي يحذر من ظهور المعصية كذلك هم يحذرون من ظهور الطاعة التي هي مظنة الريا لئلا يخلل في قاعدة الاخلاص *وقال بعضهم الملامتي هو الذى لا يظهر خيراً ولا يضمر شراً وهذه الطائفة وان كانوا عزيزين في الوجود وحالتهم شريفة لكن لم ينكشف حجاب وجود الخلق عن نظرهم بالكلية وبهذا حجبوا مشاهدة جمال التوحيد ومعاينة عين التفريد . لان اخفاء الاعمال وستر الاحوال مشعر برؤية وجود الخلق ووجود نفسه المانعة معني التوحيد لان النفس أيضاً من جملة الاغيار فاذا كان نظره على أحوال نفسه أخرج الاغيار من مطالعة الاعمال والاحوال والفرق بينهم وبين الصوفية ان الجذبة الالهية والعناية القديمة أخرجت الصوفية من صفات البشرية فارتفع حجاب الخلق والانانية من نظر شهودهم فلا جرم انهم لا يرون الخلق في اتيان الطاعات وصدور الخيرات فصاروا مأمونين من اطلاع نظر الخلق وغير مقيدين باخفاء الاعمال والاحوال فان رأوا مصلحة في الاظهار يظهرون وان رأوا مصلحة في الاسرار والاخفا يسرون ويخفون فالملامتيـة مخلصون بكسر اللام والصوفية مخلصون بفتحها بدليل قوله تعالى (انا أخلصناهم بخالصة) *وأما طالبوا الآخرة فاربع طوائف * زهاد * وفقرا * وخدام * وعباد * أما الزهاد فهم الطائفة التي تشاهد جمال الآخرة بنور الايمان والايقان ويرون الدنيا قبيحة ولا يلتفتون الى مزخرفات الفاني ويرغبون في الجمال الحقيقي الباقي وانما تخلفت هـذه الطائفة عن الصوفية لان الزاهد محجوب عن الحق بسبب حظ نفسه لان الجنة مقام حظ نفسه بدليل قوله تعالى (فيها ما تشتهيه الانفس) * وأما الصوفي فهو محجوب عن الكونين بسبب مشاهدة الجمال الازلي فكما انه صرف رغبته عن الدنيا صرفها أيضاً عن الآخرة

فللصوفي مرتبة في الزهد وراء مرتبة الزاهد وهي بعد النفس عن حظها * وأما الفقراء فهم الذين لم يكونوا مالكين لشيء من أسباب الدنيا وأموالها وتركوا كل شيء في طلب فضل الله ورضوانه والباعث لهم على هذا الترك أحد أمور ثلاثة . اما رجاء تخفيف الحساب أو خوف العذاب لان الحلال حساب والحرام عقاب * واما توقع فضل الثواب والمسابقة في دخول الجنة لان الفقراء يدخلون الجنة قبل الاغنياء بخمسماية عام * واما جمعية الخاطر وفراغ الباطن لاجل اكثار الطاعات وحضور القلب فيها وانما تأخر الفقرا عن الصوفية والملامتية لان الفقرا طالبوا الجنة وحظ أنفسهم وهما طالبا الحق والقرب ووراء هذه المرتبة فى الفقر مقام فوق مقام الملامتية والمتصوفة وهو وصف خاص بالصوفى لان للصوفى مرتبة وراء الفقير لكن خلاصة مقام الفقير مندرج في مقام الصوفى لان العبور للصوفى على مقام الفقر من جملة الشرائط واللوازم وكل مقام اذا ترقى عنه الى مقام آخر يعطى صفات هذا المقام ونقاءه ولو بعد مقامه وللفقير في مقام الصوفى وصف آخر زائد وهو سلب نسبة جميع الاعمال والاحوال والمقامات من نفسه وعدم تملكها بل لا يعرف هذه الاشياء من نفسه فما كان له وجود ولا ذات ولا صفة بل هو محو فى محو وفناء فى فناء وهذه هى حقيقة الفقر الذي تكلم المشايخ فى فضيلته والذي ذكر قبل هذا في معني الفقر كان رسم الفقر وصورته * قال الشيخ أبو عبد الله حفيف رحمه الله تعالى الفقر عدم الاملاك والخروج عن أحكام الصفات وهذا الحد جامع مشتمل على رسم الفقر وحقيقته * وقال بعضهم الفقير الذي لا يملك ولا يملك واذا كان مقام الصوفي أعلا من مقام الفقير لان الفقير محجوب بارادة الفقر وارادة حظ النفس * وأما الصوفي فليس له ارادة مخصوصة وارادته محو في ارادة الحق فى الفقر والغني بل ارادته عين ارادة الحق سبحانه وتعالى ولهذا لم يكن محجوبا بارادة صورة الفقر واختياره لان ارادته ارادة الحق سبحانه وتعالى * قال أبو عبد الله رحمه الله تعالى الصوفي من استصفاه الله لنفسه توددا والفقير من استصفى نفسه فى فقره تقربا * وقال بعضهم الصوفى هو الخارج عن النعوت والرسوم والفقير هو الفاقد للاشياء * وقال ابو العباس النهاوندي رحمه الله تعالى الفقر بداية التصوف والفرق بين الفقر والزهد هوان وجود الفقر ممكن من غير وجود الزهد كما اذا ترك الدنيا باليقين لكن الرغبة باقية فيها وكذا وجود الزهد ممكن من غير الفقر كالشخص الذي كانت رغبته مصروفة مع وجود الاسباب . وللفقر رسم وحقيقة فالرسم عدم الاملاك والحقيقة الخروج من أحكام الصفات وسلب اختصاص الشيء بنفسه ورسم الفقر صورة الزهد

وامارته . ومعنى الزهد صرف الرغبة عن الدنيا واذا شاء الله ان يجعل بعض أوليائه محجوبا من نظر الاغيار تحت قباب العزة البسهم لباس الغني الذي هو صورة الرغبة حتي يظن أهل الظاهر انهم من جملة الراغبين فى الدنيا وسترهم من نظر المحرومين وحقيقة الفقر والزهد وصف خاص للصوفى . وأما رسم الفقر فاختاره بعض المشايخ ومرادهم الاقتداء بالانبياء والتقلل من الدنيا والترغيب للطالبين الى صورة الفقر بلسان الحال واختيار هذا المعنى مسند الى الحق لا الي طلب الحظ الاخروي . وأما الخدام فهم الجماعة الذين اختاروا خدمة الفقراء او طالبي الحق كما خاطب الله داود عليه السلام اذا رأيت لي طالباً كن له خادماً وصرفوا أنفسهم بعد الفرائض فى تفريغ خواطرهم من الاهتمام على أمور المعاش والاعانة على استعداد المعاد . وقدموا هذه الخدمة على نوافل العبادات ويسعون في طلب ما يحتاجون اليه باى وجه كان اذا لم يكن مذموماً فى الشرع بعضه بالكسب وبعضه بالسؤال وبعضه بالفتوح . ويعتقدون ان هذه الرابطة اعطاء الحق سبحانه وتعالى وفى اعطاء الحق واسطة القبول ومن عزة هذا المقام اشتبه حال الخادم والشيخ على هذه الطائفة وفرقوا بينهما وهو ان الخادم في مقام الابرار والشيخ فى مقام المقربين لان مقصود الخادم فى اختيار الخدمة نيل ثواب الاخرة والا لم يكن مقيداً بهذه أما الشيخ فهو قائم بمراد الحق لا بمراد نفسه . ۞ وأما العباد فهم الطائفة الذين يواظبون على وظائف العبادات وفنون النوافل لاجل نيل ثواب الآخرة وهذا الوصف موجود في الصوفى وزيادة كونه مبرأ من شوائب العلل والاغراض لانه يعبد الحق للحق لا لاجل ثواب الآخرة والفرق بين الزهاد والعباد ان العبادة ممكنة مع وجود الرغبة فى الدنيا والفرق بين العباد والفقراء أن العبادة ممكنة مع وجود الغني فعلم أن الواصلين طائفتان والسالكين ست طوايف . ولكل واحدة من هذه الطوايف الثمانية متشبهان ۞ احدهما محق والآخر مبطل ۞ فاما المتشبه المحق بالصوفى فهو المتصوف الذي اطلع على نهاية أحوال الصوفية واشتاق اليها ومنع من الوصول الى المقصد وعوق عنه ببقايا تعلقات الصفات . وأما المتشبه المبطل بهم فهو الذي يظهر نفسه فى زى الصوفية وهو من حلية عقائدهم وأعمالهم وأحوالهم عاطل وقد رفع ربقة الطاعات عن ذمته وخلع العذار فهو فى مرتع الاباحة يرتع ويقول التقييد باحكام الشريعة وظيفة العوام لان نظرهم مقصور على ظواهر الاشياء وأما الخواص وأهل الحقيقة فهم مبرؤن من ان يكونوا مقيدين برسوم الظواهر ولم يكن اهتمامهم زائداً من مراعاة حضور البواطن ويقال لهؤلاء باطنية ومباحية ۞ وأما المتشبه المحق بالمجذوب فهو من طائفة أهل السلوك الذين كان سيرهم فى قطع منازل الصفات النفسانية وكان وجودهم

في القلق والاضطراب من حرارة الطلب ويلوحون ويلامعون بوارق الكشف على نظر شهودهم فى بعض الاوقات قبل ظهور تباشير صبح كشف الذات والتمكن في مقام الفنا واذا وصلت نفحة من نفحات الوصل من مهب الفنا الى مشام قلوبهم بحيث صارت ظلمات نفوسهم منطوية ومتوارية فاعطى هبوب هذه النفحة لباطنهم الراحة من وهج نار الطلب وقلق الشوق فان انقطع هذا البرق وسكنت هذه النفحة عادت صفات النفوس وحرارة الطلب وقلق الشوق والسالك يقتضى ان يكون منسلخاً ومنخاماً من ملابسة صفات نفس الوجود بالكلية وان يكون غريقاً في بحر الفنا حتى يكون مستريحاً من تعب الوجود ولما لم يكن هذا الحال مقاماً له وانما ينزل عليه فى بعض الاوقات وكان باطنه متطلعاً ومشتاقاً الى هذا المقام لقب بالمتشبه المحق بالمجذوب الواصل * وأما المتشبه المبطل بالمجذوب فهو من الجماعة الذين يدعون الاستغراق فى بحر الفنا والاستهلاك فى عين التوحيد ولم يضيفوا حركاتهم وسكناتهم الى انفسهم ويقولون ان حركاتنا مثل الابواب التى لا يمكن تحركها من غير محرك وهذا المعنى وان كان صحيحاً لكن ليس هذا حالهم لان مرادهم بهذا الكلام تمهيد حذر المعاصى والمناهي وحوالة الامر على ارادة الحق ودفع الملامة عن نفسه ويقال لهذه الطائفة زنادقة * قيل لسهل بن عبد الله ان شخصاً يقول ان نسبة فعلى الى ارادة الحق كنسبة حركات الابواب الى المحرك فقال هذا القائل ان كان مستقيما بمراعات أصول الشريعة ومحافظة حدود الاحكام والعبودية فهو من جملة الصديقين وان كان لا يبالى من التورط والانهماك فى مخالفة أحكام الشرع ويقول هذا الكلام لاجل أن يظهر وجه نسبة الافعال الى الحق ويسقط الملامة عن نفسه بانخلاع الدين والملة فهو من جملة الزنادقة .

وأما المتشبه المحق بالملامتية فهو من الطائفة الذين لا يبالون بتعمير نظر الخلق وتخريبه واكثروا فى تخريب الرسوم والعادات وفي الاطلاق من قيود آداب المخالطات وليس دولة حالهم غير فراغ الخاطر وطيب القلب وليسوا مترسمين برسوم الزهاد والعباد ولا يصدر منهم اكثر النوافل والطاعات ولا يتمسكون بعزائم الاعمال ولا يواظبون على أداء غير الفرائض ولا ينسب اليهم جمع أسباب دنيوية ولا الاستكثار منها ويقنعون بطيب القلب فقط ولا يطلبون زيادة الاحوال ويقال لهم القلندرية فهذه الطائفة متشبهة بالملامتية من جهة عدم الرياء والفرق بينهما ان الملامتية يتمسكون بجميع النوافل والفضائل ولكن يستترون من نظر الخلق وأما القلندرية فلا يتجاوزون من حد الفرائض وليسوا مقيدين باظهار الاعمال واخفائها من نظر الخلق . وأما هذه الطائفة الموسومة بالقلندرية فى هذا الزمان التي رفعت ربقة الاسلام من ذمتهم وخلوا عن هذه الاوصاف المذ[illegible]ردة فتسميتهم بهذا

الاسم عارية ولو قيل الحشوية لكان لائقاً . وأما المتشبه المبطل بالملامتية فهو من طائفة الزنادقة الذين يدعون الاخلاص ويبالغون فى اظهار الفسق والفجور ويقولون مرادنا بهذا ملامة الخلق واسقاط نظرهم وهو سبحانه وتعالى غني عن طاعات الخلق ولم يكن متضرراً من المعصية ويعتقدون ان المعصية منحصرة فى الاذي الي الخلق والطاعة في الاحسان وأما المتشبه المحق بالزهاد فهو من الطائفة الذين لم تنصرف رغبتهم من الدنيا بالكلية ويريدون ذلك ويبغونه ويقال لهم متزهدة * وأما المتشبه المبطل بهم فهو من الجماعة الذين تركوا زينة الدنيا لاجل قبول الخلق ويصرفون الخاطر من جمع أسباب الدنيا وبهذا يطلبون الجاه فيما بين الناس ويمكن أن يشتبه حالهم على بعض الناس بحيث يظن أنهم أعرضوا عن الدنيا بالكلية وأنهم اشتروا الجاه بترك المال فكانهم تركوا الدنيا للدنيا ويمكن أن يشتبه حالهم على أنفسهم لان خاطرهم لما لم يكن مشغولا بطلب أسباب الدنيا ظنوا ان العلة اعراضهم عن الدنيا ويقال لهذه الطائفة مرائية * وأما المتشبه المحق بالفقراء فهو من الذين كان ظاهرهم مترسما برسم الفقرا وباطنهم يقتضي حقيقة الفقر ولكنهم مائلون الي الغني ويصبرون على الفقر بالتكلف والفقير الحقيقي يعتقد ان الفقر نعمة خاصة من الحق سبحانه وتعالى ويشكره على هذه النعمة على الدوام * وأما المتشبه المبطل بالفقراء فهو من الذين كانوا مترسمين برسوم الفقراء وباطنهم متطلع الي الغني ومرادهم مجرد اظهار الدعوي وصيت القبول للخلق ويقال لهذه الطائفة مرائية أيضا . وأما المتشبه المحق بالخدام فهو من الذين كانوا مقيمين بخدمة عباد الله تعالى وباطنهم يقتضي ان لا تكون خدمتهم مشوبة بشيء من شوائب الاغراض الدنيوية من الجاه والمال وان تخلص نيتهم من شوائب الميل الي الهوىٰ والريا ولكن الى الآن ما بلغوا حقيقة ذلك ففي بعض الاوقات بحكم غلبة نور الايمان واختفاء النفس يقع لهم بعض الخدمة فى محل الاستحقاق وفى بعض الاوقات بحكم غلبة النفس يخلط بعض خدمته بالرياء والهوي لخدمته بعض الناس الذى لم يكن مستحقاً للخدمة ويبالغ فى خدمته بسبب توقع المحمدة والثناء وتركه بعض الناس الذى يستحق للخدمة فيجعله محروماً ويقال له المستخدم * وأما المتشبه المبطل بالخدام فهو الذي لم يكن في خدمته نية أخروية بل جعل خدمته حيلة للمنافع الدنيوية فبهذا السبب يستجلب الاقوات من الاوقاف والاسباب وان لم يرها مؤثرة فى تحصيل الغرض وتيسر المراد يتركها فخدمته كانت مقصودة لطلب الجاه والمال وكثرة الاتباع والاشياع وبهذا يطلب التقدم والتفاخر فى المحافل والمجامع وكانت خدمته كلها لحظ النفس ويقال له المستخدم * وأما المتشبه المحق بالعابد فهو الذي يريد أن تكون أوقاته كلها مستغرقة بالعبادة لكن بسبب بقايا النفس ودواعي عدم كمال

تزكيتها يقع له الفتور والتعويق في أعماله وطاعاته وهو الذي لم يدرك الآن لذة العبادة ويداوم عليها بالتكلف ويقال له المتعبد . وأما المتشبه المبطل به فهو شخص من جملة المرائين ونظره دائماً قاصر على قبول الخلق ولم يكن في قلبه ايمان ولا ثواب الآخرة ولو لم ير اطلاع الغير على طاعته لم يكن قائماً بها اعاذنا الله تعالى من السمعة والرياء وبالله العصمة والتوفيق

ثم اعلم ان الله سبحانه وتعالى جعل البرهان النبوي باقياً وجعل الاولياء سبباً لظهوره لتكون آيات الله تعالى وصدق محمد صلى الله عليه وسلم حجة ظاهرة دائما وأبداً فجعلهم أولياء للعالم ليكونوا مجري حديثه وكاني طريق متابعته صلى الله عليه وسلم فالمطر يجيء من السماء ببركة أقدامهم والنبات ينبت من الارض بصفاء احوالهم والمسلمون ينصرون على الكافرين بهمتهم وهم أربعة آلاف وهم مكتومون عن الناس وكل واحد منهم لا يعرف الآخر ولا يعرف حال نفسه وهم في جميع الاحوال مستورون من جميع الخلق والاخبار على هذا واردة وكلام الاولياء به ناطق ۞ وأما الذين هم أهل الحل والعقد وحرسة باب الحق فثلاثمائة يقال لهم الاخيار وأربعون يقال لهم الابدال وسبعة يقال لهم الابرار وثلاثة يقال لهم النقباء وواحد يقال له القطب والغوث وكل واحد من هؤلاء يعرف الآخر ويحتاج بعضهم الى بعض وبهذا أيضاً وردت الاخبار وأهل الحقيقة على صحته مجمعون واكابر أهل الحقيقة الذين تابعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم لا يحتاجون الى مرشد ظاهر لانه صلى الله عليه وسلم يربيهم بنفسه في حجر عنايته كما ربي أويس القرني رضى الله عنه وهذا المقام عال جداً وعزيز ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وغالب أهل التحقيق من العلوية وكثير من مشايخ الطرق توجههم الى هذا المقام وأما كرامات الاولياء وهي ظهور أمور خارقة للعادة على يد العبد الصالح موافقة لمراده فهي كثيرة جداً كايجاد المعدوم واعدام الموجود واظهار أمر مستور وستر أمر ظاهر واستجابة الدعاء وقطع المسافات البعيدة في مدة قليلة والاطلاع على الامور الغائبة عن الحس والاخبار عنها والحضور فى آن واحد فى امكنة متعددة واحياء الموتى وإماتة الاحياء وسماع كلام الحيوانات والنباتات والجمادات من تسبيح وغيره واحضار الطعام والشراب فى وقت الحاجة من غير سبب ظاهر وغير ذلك من فنون الاعمال الخارقة للعادة كالمشى على الماء والسباحة في الهواء وتسخير الحيوانات الوحشية وكالقوة الظاهرة على ابدانهم كالذى اقتلع الشجرة برجله من أصلها وهو يدور فى السماء ويضرب يده على الحائط فينشق وبعضهم يشير الى عنق أحد فيطير رأسه بمجرد إشارته اليه ۞ والحاصل إن الله

سبحانه وتعالى جعل أولياءه مظهر قدرته الكاملة فيتصرف أحدهم في العالم كيف يشاء وفي الحقيقة ان هذا التصرف تصرف الحق سبحانه وتعالى الذي ظهر فيه وهو ليس فيه . قال بعض العارفين والاصل الذي يجمع لك هذا كله من خرق العادة في نفسه مما استمرت عليه نفوس الخلق أو نفيه فان الله يخرق له عادة مثلها في مقابلتها تسمى كرامة عند العامة * وأما الخاصة فالكرامة عندهم العناية الالهية التي وهبتهم التوفيق والقوة حتى خرقوا عوائد أنفسهم فتلك هي الكرامة عندهم وأما هذه التي تسمى في العموم كرامة فالرجال الكمل يأنفون منها لانهم يلحظون منها المشاركة لحصولها للمستدرج الممكور به فيها ولكونها معاوضة فيخافون ان تكون حظا لاعمالهم لان الحظوظ محلها الدار الآخرة فاذا عجل منها شيء فزعوا من أن يكون حظا لعملهم وقد جاء ذلك في بعض الاخبار واني يصح الخوف مع الكرامة فاذا ليس ذلك بكرامة عندهم وانما هي خرق عادة فان اقترنت معها البشرى بانها زيادة لا تنقص حظاً ولا تقيت الحجاب فحينئذ تسمى كرامة فالبشرى على الحقيقة هي الكرامة * وقال أيضاً أجل الكرامة وأعظمها التلذذ بالطاعات في الخلوات والجلوات ومنها مراعاة الانفاس مع الله ومنها حفظ الادب معه في تلقي الواردات في الاوقات ومنها الرضى عن الله في جميع الحالات ومنها البشري لهم من الله بالسعادة الابدية في الدار الآخرة

ثم اعلم انه قد وقع تلبيس عظيم على طريق الصالحين من أقوام لم يؤثر عنهم صلاح سوي الادلال على الله ولهم خوارق تشبه الكرامات وهم أهل الفساد لان هذه الخوارق لها أصول يرجع إليها يعرفها الحذاق * فنها ماهو منسوب الى الشياطين . ومنها الى الجن . ومنها الى الروحانية . ومنها سيميا . ومنها بحبس النفس في بيت مظلم بالجوع المفرط وتضييق النفس وعند ذلك تحد النفس ويحصل لها فعل عظيم نافذ في هذا العالم وكشوفات ويظهر مثل هذه الامور على أيدي الرهابين ومشركي الهند كما هو معلوم من أحوال كهان الجاهلية وان كانت أفعالهم مستغربة معجبة فليس لها تعلق في دين الله ولا منفعة بل هي مضرة وتفصيل ذلك قد تقدم فلا تغفل * والكرامات انما تجري على ايدى الاخيار الصالحين الملازمين للسنة المواظبين على الاعمال الصالحة والاكثار منها وهم أهل الاستقامة وأهل المواهب الملكوتية فالفرق بين القسمين غامض فطائفة قد أشكل عليهم أمرهم لقلة استقامتهم وطائفة قد اعتقدوا الولاية في كل من يظهر منه كشف كائناً من كان وهؤلاء هم العوام وقد فسدت في زماننا أحوال الناس لقلة اطلاعهم على كتب القوم فهم حيارى بين كرامة الاخيار وفتنة الاشرار * قال سهل بن عبد الله التستري

أول ما يؤمر به المريد المبتدى التبري من الحركات المذمومة ثم التنقل الى الحركات المحمودة ثم التفرد لامر الله ثم التوقف فى الارشاد بان ينظر فيما يصلحه ثم الثبات على الطاعات ثم البنيان على ما قصد من الطاعات ان يحترز من العجب وغيره ثم التقرب الى الله بالمساعي الباطنة ثم المناجاة فى مقام المشاهدة ثم المصافاة فى مقام الفناء ثم الموالاة فى مقام البقاء فيكون الرضي والتسليم مراده * والتفويض والتوكل حاله ثم هو من الله بعد هذا بالمعرفة فيكون مقامه عند الله مقام المتبرئين من الحول والقوة وهذا مقام حملة العرش وليس بعده مقام * وقال سيدنا القطب أبو بكر بن عبد الله العيدروس وفق الله من شاء من عباده بكنون علمه وأوفقه مع الشريعة بجسمه ومع الحقيقة بقلبه * فالعلم المتجلى على الجسم علم الظاهر وعلم الشريعة والعلم المتجلى على القلب علم الباطن وهو علم الحقيقة فاقام ظاهر الاسلام الاركان القائم بها جوارح الابدان واقام حقيقة الايمان والاحسان على التبيين والبيان القائم بها تصميم الجنان ولكن لما خفى على الاسماع حسية القلب جعل له ترجمان وهو اللسان فارتبطت بالشريعة الحقيقة وبالحقيقة الشريعة وبقيا كقول الشاعر

رق الزجاج وراقت الخمر * فتشابها فتشا كل الامر
فكانما خمر ولا قدح * وكانما قدح ولا خمر

فمن هنا قال أهل الشريعة الواقفون مع العلم الخالى عن العمل ماسوي الشريعة كفر فصدقوا من وجه وأخطؤا من وجه * وقال المترسمون بالفاظ الحقيقة العارون عن التجلي بها ماسوي الحقيقة شيء فصدقوا من وجه وأخطوا من وجه فناداهم أهل الجمع من أرباب الدعوات ماسمعتم شاويش التوفيق على قارعة الطريق ينادي (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) فالاجتهاد هو الشريعة وهو تعاطي أقوالها واحكامها لنهدينه سبله وهو الحقيقة فمن ههنا لم تعرفوا الحقيقة لعدم استعمالكم الشريعة يا أيها المترسمون بالفاظ الحقيقة لم تحصل لكم الهداية لعدم الاجتهاد على أوامر الشريعة واجتناب مناهيها كانكم جاهلون قوله تعالى (اياك نعبد) وهو الشريعة فلما قام العبد بالعبادة ظن ان له ارادة فكاد ان يخلد فى الارض بالعجب والريا والمن عليه فاراد ان يعرفه ان الطاعة بتوفيقه وارادته فقال تعالى قل (واياك نستعين) وهي الحقيقة فعلم العبد الموفق حينئذ ان له ارادة بنفسه وأصلها من الله تعالى عند ورود الامر والنهي من الله تعالى لاقامة حدود الشريعة عليه فهذا مقام الاستقامة قل الله ثم استقم مع امره لان الشريعة علم ومعلومها الطريقة وهو العمل وأثرها الوصول الى الله تعالى وهو الحقيقة وليس الوصول

بني الاقدام ولا بقرب المسافة وبعدها وانما سعيك اليه بتوفيقه وسعيه اليك برحمته علم ذلك من علمه وجهله من جهله وتحت هذا علم وفي وسر خفي والناس في أضغاث احلام كما قال الشاعر

لقد اسمعت لو ناديت حياً ＊ ولكن لا حياة لمن تنادي

ولو نارا نفخت بها اضاءت ＊ ولكن ضاع نفخك في الرماد

وقال بعض المفسدين الارتسام بمراسم الشريعة رتبة العوام والقاصري الافهام المنحصرين في مضيق الاقتداء تقليداً وهذا معنى الالحاد والزندقة والابعاد عند المحققين فكل حقيقة ردتها الشريعة فهي زندقة لان الشريعة حق العبودية ولا يصير من أهل الحقيقة الا بعد التحقق بحقوق العبودية وحقيقة العبودية وحينئذ يكون مطالباً بامور زائدة لا يطالب بها من لا يصل الى ذلك لا انه يخلع عن عنقه ربقة التكليف. ويخامر باطنه الزيغ والتحريف. كما جهله هؤلاء المغرورون ＊ فمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول ان أناسا كانوا يؤخذون بالوحي على عهد محمد صلى الله عليه وسلم وان الوحي قد انقطع وانما يؤخذ الآن بما ظهر من أعمالكم فمن أظهر لنا خيراً أمناه وقربناه وليس [illegible] ما في سريرته شيء الله يحاسبه في سريرته ومن أظهر لنا سوي ذلك لم نأمنه ＊ وقال رضى الله عنه من عرض نفسه للذم فلا يلومن من أساء به الظن فان رأيناه متهاوناً بحدود الشريعة مهملا للصلوات المفروضات ولا يتلذذ بحلاوة التلاوة والصوم والصلاة ويدخل مداخل المكروهات والمحرمات نرده ولا نقبل دعواه انه له سريرة صالحة ＊ وقد سئل الجنيد رحمه الله أهل المعرفة بالله يصلون الى ترك الحركات من باب البر والتقوي الى الله تعالى فقال ان هذا قول قوم تكلموا باسقاط الاعمال وهذا عندي عظيم والذي يسرق ويزني أحسن حالا من الذين يقولون هذا فان العارفين بالله أخذوا الاعمال من الله واليه يرجعون فيها ولو بقيت الف عام لم انقص من أعمال البر ذرة الا ان يحال دونها وانها لا كد في معرفتي وأقوي لحالي ألا ترى الى أفضل الخلق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلي سائر الانبياء والمرسلين بلغ رتبة لم يبلغها من قبله ولا من بعده من نبي مرسل ولا ملك مقرب ومع ذلك فانه كان شديد الحرص على العبادة حتى تورمت قدماه من القيام بعبادة ربه كما قال البوصيري رحمه الله

ظلمت سنة من أحيا الظلام الى ＊ أن اشتكت قدماه الضر من ورم

فصل الترقي في علم الله ليس له انتهاء والمترقي لا بد له من التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم في أفعاله لكونه من أهل العزائم [illegible] له من الاقتدا به في مقاصد أفعاله اذ حال

المنتهي يشبه حال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دعاء الخلق الى الحق وكل ما يعتمده رسول الله صلى الله عليه وسلم ينبغي أن يعتمده المنتهي فى الدعاء اليه فكان قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم النوافل ليلا ونهارا وصيامه الزائد على الفرائض لا يخلو اما لان يقتدي الخلق به واما للمزيد فى حاله عليه الصلاة والسلام . فان كان للمزيد في حاله فالامر ظاهر وان المبتدي أحوج اليه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وان كان للاقتداء به فالقدوة أولى به لاتيانه بما يأمر به لئلا يتهمه المأمور فيكون سببا لاضلاله فالمنتهي أيضاً مقتد فاذا كان كل من الامرين مقتضياً للاقتداء فكلاهما أولى وهو الصحيح فى حقه صلى الله عليه وسلم فانه عليه الصلاة والسلام لم يفعل ذلك القيام والصيام لمجرد الاقتداء به بل كان يجد بفعله زيادة في حاله ويدل لذلك جوابه حين سئل عن الاستكثار من الطاعة والعبادة وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فقال أفلا اكون عبداً شكوراً فكانت عبادته وطاعته الزائدة على الفرائض شكراً لله تعالى وطلبا لزيادة حاله وذلك المزيد ما ذكرناه من تهذيب الاخلاق والجملة اذا المنتهي مع كمال حاله لا يستغني عن سياسة النفس بدليل قوله تعالى خطابا لاكمل خلقه (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) الذى فوق ما أنت فيه اذ لا نهاية له وذلك لانه صلى الله عليه وسلم يستعمل ذلك الفعل لمزيد اليقين المستمد من الحضرة الالهية وذلك الاستمداد قرع باب الكريم بعبادته . والنبي صلى الله عليه وسلم مع كون حاله أكمل وأعظم من حال المنتهي من الاولياء مفتقر الى زيادة القرب من الله تعالى اذ لا نهاية لمراتبه فكيف هذا المنتهى من الاولياء لا يكون مفتقرا لان مراتب السلوك الي منازل الملوك ثلاثة * الاسلام والايمان والاحسان * فالاسلام أول مراتب الدين لعامة المؤمنين * ثم الايمان أول مدارج القلب لخاصة المؤمنين ثم الاحسان أول معارج الروح لخاصة المقربين * ثم ان الاسلام قيام البدن بوظائف الاحكام * والايمان قيام القلب بوظائف الاسلام * والاحسان قيام الروح بمشاهدة العلام . ثم ان هذه المراتب الثلاث لا تصل الي واحدة منها حتي تحكم التي قبلها ولكل واحدة منها طريق معلوم وسلوك مقسوم . وأصل ذلك كله التوبة ولا يمكن الوصول الى منازل القرب الا بعد قطع ست عقبات * الاولى فطم الجوارح عن المخالفات الشرعية * والثانية فطم النفس عن المألوفات العادية * والثالثة فطم القلب عن الرعونات البشرية * والرابعة فطم السر عن الكدورات الطبيعية * والخامسة فطم الروح عن البخارات الحسية * والسادسة فطم العقل عن الخيالات الوهمية فتشرف من العقبة الاولى على ينابيع الحكم القلبية وتطلع من العقبة الثانية على أسرار العلوم اللدنية ويلوح لك فى العقبة الثالثة الحكم

الربانية ويظهر لك في الرابعة أنوار المنازلات القربية وتشاهد في الخامسة أقمار المشاهدات الحسية وتهبط من العقبة السادسة على رياض الحضرة القدسية فهنا لك تغيب بما شاهدت من اللطائف الانسية عن الكثائف الحسية فاذا أرادك للخصوصية الاصطفائية سقاك بكاس محبته شربة هنية فتزداد بتلك الشربة ظماء وبالقرب طلبا وبالسكون قلقا * شعر

أيها العاشق معنى حسننا　　مهرنا غال لمن يخطبنا
جسد مضني وروح في العنا　　وجفون لا تذوق الوسنا
وفؤاد ليس فيه غيرنا　　فاذا ما شئت أد الثمنا
فافن ان شئت فناء سرمدا　　فالفنا يدني الى ذاك الفنا
واخلع النعلين ان جئت الى　　ذلك الحي ففيه قدسنا
وعن الكونين كن منخلعاً　　وأزل ما بيننا من بيننا
واذا ما قيل من تهوي فقل　　أنا من أهوي ومن أهوي أنا

غيره في المعنى

ومخطوبة الحسن محجوبة　　ولا تألفن سوي الفها
اذا ما تجلت على عاشق　　وأهدت اليه شذا عرفها
تغيب الصفات وتفني الذوات　　بما أبرز الحسن من لطفها
فان رام عاشقها نظرة　　ولم يستطع لعلي وصفها
أعارته طرفا رآها به　　فلم يرها ماسوي طرفها

غيره فيه أيضاً

ولما تجلى من أحب تكرما　　وأشهدني ذاك الجناب المعظما
تعرف لي حتى تيقنت انني　　أراه بعيني جهرة لا توهما
وفي كل حال اجتليه ولم يزل　　على طور قلبي حيث كنت مكلما
وما هو في وصلي بمتصل ولا　　بمنفصل عني وحاشاه منهما
وماقدر مثلي أن يحيط بقدره　　وأين الثرى من رفعة البدر انما
اشاهده في صفو سري فاجتلي　　جمالا تعالى عزه ان يقسما
كما ان بدر التم ينظر وجهه　　بصفو غدير وهو في أفق السما

(فائدة) سئل العارف بالله تعالى سيدي أبو الحسن الشاذلي رحمه الله ونفعنا به ماشراب الحب وما كاس الحب وما الساقي وما الذوق وما الشراب وما الري وما السكر وما الصحو فقال الشراب هو نور ساطع عن جمال المحبوب والكاس هو اللطف الموصل ذلك الى

أنوار القلوب والساقى هو المتولي لخصوص الصالحين من عباده وهو الله العالم فمن كشف له عن ذلك الجمال أو حظ بشيء منه نفساً أو نفسين ثم أرخى عليه الحجاب فهو الذائق المشتاق ومن دام له ساعة أو ساعتين فهو الشارب حقا ومن توالى عليه الامر ودام له الشرب حتي امتلأت عروقه ومفاصله من أنوار الله المجذوبة فذلك الري وربما غاب عن المحسوس والمعقول. فلا يدرى ما يقال ولا ما يقول. فذلك السكر وقد ترد عليهم الكؤس وتختلف لديهم الحالات ويردون الى الذكر والطاعات فلا يحجبون عن الصفات مع تزاحم المقدورات فذلك وقت صحوهم واتساع نظرهم ومزيد علمهم فهم نجوم الهدى واقمار التوحيد يهتدي في ليلهم وشموس المعارف يستضاء في نهارهم (أولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون) * ثم ان للسلوك والجذب اقساما أربعة * سالك بعد الجذب ومجذوب بعد السلوك ومجذوب غير سالك وسالك غير مجذوب فيقتدي بالاولين دون الآخيرين وأول الاولين أفضل من ثانيهما والسالك من قبل الجذب يحتمل مشقة يطول الكلام في ذكرها وشرحها والسالك بعد الجذب محمول يسهل عليه السلوك ويهون و ن لم يحصل له جذب من الحق سبحانه وتعالى وأخذ عن نفسه لم يقدر على التخلص من صفات نفسه ولم يحصل له المعرفة بالله والاطلاع على الملك والملكوت والمشاهدة وتجلى صفات ذي العزة والجبروت لانه لا يمكن خروج النفس بالنفس وانما يمكن الخروج عن النفس بالله * وقد سئل الشبلي رحمه الله هل يصل الانسان بجهده الى شيء من الحقيقة أو الحق * فاجاب بقوله لا بد من الاجتهاد والمجاهدة لكنهما لا يوصلان الى شيء من الحقيقة لانها ممتنعة من أن تدرك بجهد واجتهاد وانما هي مواهب يصل العبد اليها بايصال الحق اياه لا غير فمنهم من يلقن الدعوات والكلمات في النوم أو هاتف أو بوجه يخالف العادة أو يري مكتوبا في التراب أو الارض أو نحو ذلك انتهى * فعلم من ذلك انه لا بد من الجد والاجتهاد وعلو الهمة في ذلك لان علو الهمة أعز شيء وضعه الله فى الانسان وذلك ان الله تعالى لما خلق الانوار أوقفها بين يديه فرأي كلا منهم مشتغلا بنفسه ورأي نور الهمة مشتغلا بالله تعالى * فقال له الحق سبحانه وعزتي وجلالى لا جعلنك أرفع الانوار ولا يحظى بك من خلقي الا الاشراف والابرار ومن أراد الوصول الي فلا يدخل الى الابدستورك على أنت معراج المريدين وبراق العارفين وميدان الواصلين فيك سباق السابقين وبك لحاق اللاحقين وفيك تنزه المحققين وتعالى المقربين ثم تجلى عليه باسمه القريب ونظر اليه باسمه السريع المجيب فاكسبه ذلك التجلى الاقتراب لكل ما بعد على القلوب وافاده ذلك النظر سرعة حصول المطلوب. فلهذا كانت الهمة اذا قصدت شيئاً ثم

استقامت على ساقها نالته على حسب وفاقها ولاستقامتها علامتان « الاولى حالية وهو قطع التهمة بحصول الامر على التعيين « والعلامة الثانية فعلية وهي كون حركات صاحبها وسكناته جميعاً مما تصلح لذلك الامر الذي يقصده بهمته فان لم يكن كذلك لا يسمى حينئذ انه صاحب همة بل صاحب آمال كاذبة وأماني خائبة كمن يروم المملكة ولا يفارق المزبلة وهذا لا يقع على مطلوبه ولا يظفر بمحبوبه وقد قال العلماء رحمهم الله تعالى علو الهمة باعث على التقدم وداع الى التخصص أنفة من خمول الضعة واستكثار المهانة والنقص ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يحب معالي الامور ويكره سفاسفها وقال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه لا تصغروا هممكم فاني لم أر أقعد عن المكرمات من صغر الهمم وقال بعض الحكماء الهمة رائد الجد ومن قول البلغاء علو الهمة بذر النعم وقال بعض الادباء من طلب التماس المعالي بسمو الرجا لم ينل جسيما وشرف النفس مع صغر الهمة أولى من دناءة النفس مع علو الهمة لان من غلبت عليه همته مع دناءة نفسه كان متعديا الى طلب ما لا يستحقه ومتخطياً الى التماس ما لا يستوجبه ومن شرف نفسه مع صغر همته كان تاركا لما يستحقه ومقصراً عما يجب له وفضل ما بين الامرين ظاهر وعلى الجملة فليس السالك الطالب كالمجذوب المطلوب ولا المحب كالمتيم المحبوب كما قال بعضهم

أيا طالباً والغير مسلوبها أنا . بها مغرم أهريق في جهادي
معنيٌّ بها والغير فيها منعم . وكم بين مشغوف معنيٍّ وناعم
فلا نلت من نعمى نعيم وصالها . ولا كنت من بلوى هواها بسالم

فكم بين الاجتبا والجناية وبين الانابة والهداية وقد قرن الحق سبحانه وتعالى بينهما في العطا والنصيب . فقال عز من قائل (الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب) ولما ناجى الحق سبحانه المجذوبين بالامر العظيم الذي هالهم وأخذهم عنهم دكدك جبال قلوبهم ونقض بناءها وهدمه ثم بني لهم ثانياً بناء اكمل وأجل وأعلى وأتم وطهرهم من الصفات المذمومات وصفاهم من الكدر وحلاهم باجمل الحلي وأحسن المحاسن وأحيى قلوبهم ونور أبصارهم وانما حلاهم بحلى محاسن الصفات المحمودات بعد ان خلاهم وطهرهم من مساوي الرذائل والصفات المذمومات ظاهرا وباطناً وقد جمع العارف بالله الشيخ عبد الغني النابلسي صفات القلب المذمومة في قصيدة وهي قوله

يامن يعد لاخلاق القلوب يدا . فيدل ألفى من طغيانها رشدا
ويحفظ النبوة فيه نهت كي يجانبه . ويغسل القلب منها فاسمع العددا
كفر و... بخل وغدر والخيانة مع . كبر وعجب واخلاف لما وعدا

وحب جاه وخوف الذم جريرة ... سخط القضاء كذا في الحق ان عردا
والامن واليأس حب المدح مع حسد ... بخل رياء نفاق والفجور بدا
وبدعة سفه حرص مداهنة ... وسوء ظن وتسويف بطول مدا
غش وانس بمخلوق كذا جزع ... وخفة وعناد بعض أهل هدى
والجبن والذل والاسراف مع طمع ... شماتة ومحاكاة لفعل عدا
والحزن والخوف في الدنيا وشهوتها ... غباوة شره اصرار من فسدا
تهور صلف ثم اتباع هوى ... والبطالة ان تلقاه معتمدا
وحب دنيا وحب الظالمين وان ... يعلق القلب بالاسباب والكبدا
وحب مال وتقليد فظاظته ... وقاحة فتنة مع كونه حقدا
تطير وكذا استعجاله أمل ... كفران نعمة من أولي اليه يدا
فهذه جملة الاخلاق قد جمعت ... ستين كن في التقا منهن مجتهدا

ثم بعد ان خلاهم عن هذه الصفات حلاهم بأوصاف المحاسن القلبية التي جمعها النابلسي أيضاً في قوله

طرف الذي طلب التحقيق سهران ... وعقله بشراب الله سكران
وقلبه فيه اخلاق مطهرة ... حميدة وهو بالتوفيق ملآن
ان رمت اخلاقه الحسنى تعددها ... فلتصغ منك لما أبديه آذان
هي الوقار كذا التقصير في أمل ... ونية رحمة أيضاً وايمان
نصيحة غيرة شكر مجاهدة ... تصوف ثم اخلاص واحسان
خوف من الله مع حزن له أدب ... وذكر موت وتفويض وايقان
وغبطة في التقى رشد مرابطة ... شجاعة ثم تحقيق وامعان
وكظم غيظ وعفو والخشوع كذا ... رفق وصدق وما تبديه فتيان
والحب في الله ثم البغض فيه به ... أنس وشوق الى المولى واشجان
وحسن حال وزهد رغبة وحيا ... أمانة ثم تسليم واذعان
صلابة الدين ثم الاستقامة مع ... قناعة وعلى الرحمن تكلان
ورقة والتأني والتماق في ... تحصيل علم لدى شيخ له شان
سلامة الصدر من حقد مراقبة ... فراسة ذكر أن الله منان
والمدح والذم فيه الاستوا وكذا ... تفكر حكمة تنمو وتزدان
مروءة واعتقاد لا ابتداع به ... حب الخمول فلا يدريه انسان

صبر وسعى وحلم توبة ورجا محبة الله حق عنه رضوان
وفا عهود وانجاز لموعده عقاب نفس عتاب فيه تبيان
تواضع ثم ايثار مشارطة حساب نفس له في العدل ميزان
كذا عبودية حرية وكذا ارادة والسخا ما فيه نقصان
وقصد طول حياة للتقى والى خير مبادرة ان فيه امكان
نخذ حميدة اخلاق ثمانية أتت بسبعين عقد فيه مرجان

وقال أيضا رحمه الله في آفات اللسان

تعلم حفظ آفات اللسان لتحظى بالامان وبالاماني
وخذها انها سبعون شيأ حكت في نظمها عقد الجمان
فكفر والخطا مع خوف كفر وكذب ثم سب في هوان
وفحش غيبة ونميمة مع مراء والجدال وطعن جاني
وسخرية وتعريض ولعن ونوح واشتغال بالاغاني
مخاصمة وافشاء لسر وخوض في محال بفتان
سؤال المال والدنيا نفاق بقول والكلام لدي الاذان
سؤالك عن أغاليط وأيضا عوام الناس عن صعب المعاني
وتغليظ الكلام وأمر نكر ونهي العرف عن خطا اللسان
سؤال عن عيوب الناس أخذ لذي الوجهين في أمر الدهان
كلام حالة القرآن يتلى وبعد طلوع فجر للعيان
وحالة خطبة ومسجد مع دخول خلا لحاجات تعاني
وفي حال الصلاة وفي جماع وفتح القول عند كبير شان
وبالالقاب نبز مع يمين غموس أو بغير الله دان
الخانة مؤمن وفضول قول وإكثار اليمين بلا توان
على غير الدعاء لاهل ظلم بدون صلاح حال كل آن
سؤال امارة ووصية مع توليه على دار وخان
ورد كلام متبوع وقطع لقول الغير شعر ذو امتهان
تناج اثنين مدح مع مزاح ونطق بالذي هو غير عاني
على النفس الدعاء ورد عذر أتي بالرأي تفسير القران

سؤالك عن حلال او طهور　　بغير محله قصد امتحان
وسجع والفصاحة مع سلام　　على الذمي وذي فسق مهان
كذا متغوط أو بائل مع　　كلام الاجنبية فى مكان
وارشاد لنحو طريق سوء　　واذن فى المعاصي للمدان
وآفات العبادات اللواتى　　تعدت والتي قصرت لعانى
كذا الآفات ضمن معاملات　　وآفات السكوت بلا بيان
وقد تمت بعون الله فاخاص　　لناظمها دعاءك بالجنان

ثم اعلم ان الهوي فنون شتي فليتنبه لها الفطن . فمنها مايعتريه عند طلبه شهوة من شهوات النفس ومنها مايعتريه عند الغضب . ومنها ما يعتريه عند البذخ والكبر . ومنها ما يظهر للمشايخ الشحاح المسنين الذين أغروا بجمع المال كما هو مشاهد فيأتى أشياء مستقبحة يذهب دينه ومروءته ويصير أحدوثة بين الناس ولا يشعر بذلك من شدة ما أسكره من حب المال وجمعه كما قيل نظاما

قدرابني من الرجال بهيمة　　فى صورة الرجل السميع المبصر
فطن لكل مصيبة فى ماله　　واذا أصيب بدينه لم يشعر

ومن الهوي مايعتري الانسان عند التعشق بالصور الحسان وهذا يتولد من الفراغ ورخاوة النفس .ومن الهوى مايتعلق بالاديان كما فى أهل العلم فيحملهم على الخصومة والجدال وحب الرياسة والتبجح بالاقوال والمسائل العلمية في معرض الفخر واظهار الاطلاع ومن الهوى مايظهر لاقوام في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فتراهم ينصحون الناس ويتبعون آثارهم وهم يتحجبون منهم لاذاهم فيأتي من ذلك شرور عظيمة ولايعلم هذا المسكين ان ذلك من حيل النفس وان الطريق فى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الرفق والملاطفة كالطبيب الذي يداوي المجنون فكذلك يكون انقاذ العاصي من المعاصي بالرفق والملاطفة لان العنف ربما يؤدي الى العناد والتبجح بالمعاصي واظهارها بعد ان كان يخفيها والهوي وان كان مذموما الا انه حكمة من حكم الرب سبحانه وتعالى فى خلقه لانه قوت النفوس ولولاه ما احتملت النفس المشاق والتكاليف الشاقة والعارفون وأرباب البصائر تقوت نفوسهم على احتمال المجاهدة بحسن اليقين فيكون ذلك لانفسهم بمنزلة الهوي لغيرهم وكما جعل الله تعالى للقلب ارادة جعل للنفس تمنيا وجعل للقلب محبة وجعل للنفس الهوي وجعل للقلب الرجا وجعل للنفس الطمع وجعل للقلب الخوف وجعل للنفس القنوط وان كانت النفس لها نوع تعلق بشيء من الخير فهو فى الظاهر

انفعل اذ لا أصل له ولا حقيقة لان ذلك خلاف مرادها فان اشتهت ذلك فلا بد لها
فيه من علة خفية اذا بحث عنها العاقل البصير ادركها فتارة تظهر الرقة من بعض الناس
واللبانة من نفوسهم لا من قلوبهم وكذا البكاء قد يغلب على قوم من نفوسهم لا من قلوبهم
فهؤلاء نفوسهم ضعيفة وقلوبهم قاسية ولا معول على ذلك وكل خلق تعلق بالنفس فلا يحفل
به ولا تعول عليه وإن كان مما يعجب الانسان فاذا رأيت انسانا أظهر الرقة والبكاء فان
كان ذلك يناسب قلبه فائض به وهو من قلبه وان كان قلبه قاسيا لا تناسبه الرقة ولا البكاء
فاعلم ان ذلك من نفسه لغرض ظهر له ٭ مثال ذلك اذا كان انسان عليه دين لا يؤديه وهو
قادر على أدائه فيترك أداء الدين ويتصدق بما معه فذلك من النفس لانها تلتذ وترتاح
بالاعطاء والبذل بل هي مجبولة على ذلك لما يترتب عليه من المدح والتزكية كما يلتذ اللئيم بالمنع
وقوم يفرطون فى الواجبات ويطلبون النوافل وقوم يكتسبون المال الحرام ويصرفونه
في وجوه البر وقوم منعوا نفوسهم من شرب الماء فى يوم الصيف فهذه كلها أمور
ترجع الى النفس لا للقلب وطريقة السلف انما هي قمع النفوس ٭ فانظر فى سيرة رسول
الله صلى الله عليه وسلم ماذا ينقل عنه وعن أصحابه فانه كان يجلس على الارض ويأكل
على الارض ويقول أنا عبد آكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد

ويروي عن موسى عليه السلام انه كان يستظل فى عريش وفيه نقير من الحجر فاذا
أراد ان يشرب كرع كما تكرع الدابة تواضعاً لله تعالى فشأن رجال الحق الوقوف عند
حد البشرية فى جميع مايحاولونه فى اكلهم وشربهم ولباسهم . ويروي ان الانفة فى
ذلك نوع من الكبر وليس السلف والتنطع من طريق أهل الدين بل هو من زخارف
العرف استحسنه العوام لغرابته ٭ وقال سفيان الثورى رحمه الله من أحب أن يجتمع
الناس على مدحه ولا يذكره أحد بسوء فذلك منافق . وقال بعضهم الافراط فى
الدمامة تجبر والافراط في البشاشة سخف والافراط في الشكر ملق . وقال صلى الله عليه
وسلم في الحديث الصحيح لكني أقوم وأنام وأصوم وافطر وآتى النساء فمن رغب عن
سنتي فليس مني

اعلم ان أول ما ينبغي للعبد ان يعتنى فى سلوكه بتزكية نفسه وتهذيب أخلاقه فيكون
هذا عند السالك مقدما على كثير من نوافل العبادات كصلات وصيام ونحوهما اذ لا ينبغى
له ان يتوجه الى الله بقلب دنس ونفس غير زكيه فانه يتعب نفسه فى أمور تعود عاقبتها
الى القهقري بل ينبغي له ان يراعى سره فلا يترك قلبه شارداً خليا بل يعمل فكره فى
استخراج المعارف والعلوم ولا يخلى فعلا من أفعاله من نية صالحة فان النية روح العمل

وينبغي له الاكثار من الذكر ليتوطن قلبه ولسانه عليه فيصير ذلك سجية له وعادة وان يكون حزيناً منكسراً مطرقاصامتاً يظهر أثر الخشية على سائر أعماله من حركاته وسكناته وكلامه وسكوته وسائر أحواله الظاهرة لان ذلك يؤثر في القلب تأثيرا بيناً لا ينظر اليه ناظر الا وكان نظره اليه مذكرا لله تعالى وكانت صورته دليلا على عمله . فان لم يصل الى ذلك بالحقيقة فليتشبه بذلك الى ان يبلغه كما قال الامام السهروردي رحمه الله

فتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم ٭ ان التشبه بالكرام فلاح

وقد قال صلى الله عليه وسلم أن البذاذة من الايمان يعني بها رثاثة الهيئة وترك فاخر الثياب

واعلم انه لا قرب أقرب من المودة ولا بعد أبعد من العداوة ولله در القائل حيث قال

القوم اخوان صدق بينهم نسب ٭ من المودة لم يعدل به نسب

وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رجل يحب القوم ولكن ما يبلغ من من أعمالهم فقال المرء مع من أحب ٭ وفي الخبر ما مضمونه ان الصحابة رضى الله عنهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل اذا كان قانطا يوم القيامة من افلاس أعماله فكيف يخلص فقال يقول الحق سبحانه وتعالى ياعبدي أتعرف فلانا العاقل فى محلة كذا فيقول أعرفه فيقول الله تعالى اذهب فقد وهبتك له فلما كانت معرفته سببا لنجاته كانت محبتهم فى متابعتهم وأخذ سيرتهم سبباً لنجاتهم بطريق الاولى

وقد قال أبو العباس ان لم تقدر ان تضرب بيدك في محبته تعالى فاضرب بيدك فى محبة محبيه لان محبة محبيه محبته وهؤلاءهم الاخلاء الذين يكتسبون الولاية بصحبة أهل الله فان محبوب المحبوب محبوب وحبيب الحبيب حبيب فان المحبة هي أصل الاحوال كما ان التوبة هي أصل المقامات فمن لا محبة له لا حال له كما ان من لا توبة له لا مقام له واقامة القلوب انما تكون باقامة شرائط العبودية وبتصفية القلب وتنقيته يحصل الترقى الى المقامات الوهبية وصاحب الانفاس أرق وأصفى من صاحب الاحوال فصاحب المقام مبتدئ وصاحب الانفاس منتهي وصاحب الحال بينهما وصاحب المقام ممكن فى مقامه كما ان صاحب الحال يترقي فى حاله وكل مقام من المقامات يثمر لصاحبه حالا من الاحوال

والمقامات التي هي حلل القلوب ولباسها عشرة . الاول مقام التوبة فمن تاب توبة نصوحا واستمر عليها اثمرت له المحبة وهي حالة تحمل صاحبها على تعظيم الله تعالى وايثار رضاه وقلة الصبر عنه . الثاني مقام الورع فمن أحكمه بصدق نيته أثمر له حالة

الشوق والشوق عندهم احتراق القلوب بالوجد كالالقاء بالقرب . الثالث مقام الزهد فمن أحكمه بصدق النية أثمر له حالة الهيبة وهي خشوع النفس وخضوعها عند ظهور لائح الجلال والعظمة. الرابع مقام الصبر فمن أحكمه بصدق النية أثمر له حالة الانس والانس ارتفاع الحشمة مع وجود الهيبة . الخامس مقام الفقر فمن أحكمه بصدق النية أثمر له حالة القرب ومعني قرب العبد أولا بايمانه وصدقه ثم قربه باحسانه وتحقيقه ثم قرب الحق تعالى من العبد بعرفانه. السادس مقام الشكر فمن أحكمه بصدق النية أثمر له حالة الحياء وهو وجود الهيبة في القلب مع وحشة ما سبق . السابع مقام الخوف ومن أحكمه بصدق النية أثمر له استيلاء سلطان الحال . الثامن مقام الرجاء فمن أحكمه بصدق النية أثمر له حالة الوصول والوصول عندهم ان لا يشاهد غير خالقه ومكاشفات القلوب بمشاهدات الاسرار والواصل لا يحجبه الحق عن شيء . التاسع مقام التوكل فمن أحكمه بصدق النية أثمر له حالة الفنا وهو سقوط الاوصاف المذمومة والغيبة عن الاشياء . العاشر مقام الرضا فمن أحكمه بصدق النية أثمر له مقام البقاء وهو بقاء الصفات المحمودة بعد فناء الصفات المذمومة وصاحب البقاء هو الذي لا يحجبه الحق عن الخلق ولا الخلق عن الحق

فقد بان لك بهذا ان أصل المقامات التوبة وهي مترتبة عليها وان أصل الاحوال المحبة وهي مترتبه عليها وان كان بين الجميع ارتباط من حيث ان كلا منها أمر قلبي . ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لبعض الصحابة أتدري أى عرى الاسلام أوثق قال قلت الله ورسوله اعلم قال الولاية فى الله والحب فيه والبغض فيه * قال الفضيل بن عياض رحمه الله ان الله سبحانه وتعالى يقول يوم القيامة لعبده يا ابن آدم أما زهدك فى الدنيا فقد طلبت الراحة لنفسك وأما انقطاعك الى فانما طلبت العز لنفسك ولكن هل عاديت لى عدوا أو واليت لى ولياً

ثم ان مدار الاشياء كلها والاعمال كلها على القلب صحة وفساداً فمن صلح قلبه صلحت أحواله ومن فسد قلبه فسدت أحواله لانه سلطان الجوارح وأميرها والمتصرف فيها وكلها منقادة له تحت أمره وحكمه لقوله عليه الصلاة الا وان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح لها سائر الجسد واذا فسدت فسد لها سائر الجسد الا وهى القلب فبين صلى الله عليه وسلم بهذا الحديث ان الاصل هو القلب وانه هو الامير المطاع فى عالم الجسد وسائره رعية له

ونحن نبين معني القلب والروح والنفس والعقل لان كثيرا من الناس يخفى عليهم

معاني هــذه الاسماء وهــل هي متحدة ذاتاً واعتباراً أم مختلفة كذلك أم بعضها متحد ذاتاً مختلف اعتبارا أم بالعكس فلنكشف فى ذلك عن حقائقها فنقول

الاول لفظ القلب وهو يطلق لمعنيين . أحدهما اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجنب الايسر من الصدر في بطنه تجويف يسكن فيه الدم وهو منبع الروح ثانيهما هو اللطيفة الربانية الروحانية لها بهـذا اللحم الصنوبري تعلق غامض لا يدرك بالانسان بل موقوف على المشاهدة بالكشف وهذه اللطيفة هي العالمة بالله والمدركة لما لا يدركه الخيال والوهم وهو حقيقة الانسان * اللفظ الثانى الروح وله أيضا معنيان . أحـدهما الروح الطبيعي وهذا الروح منبعه دم اسود فى تجويف هذا اللحم الصنوبري وينتشر بواسطة العروق الضوارب فى جميع أجزاء البدن كالسراج فى البيت يستضيء به جميع زوايا البيت وهذا المعنى هو الذى يريده الاطباء باطلاق الروح * وثانيهما هو اللطيفة الربانيـة الذى هو معنى حقيقة القلب فالروح والقلب متواردان على تلك اللطيفة على نهج واحد * واللفظ الثالث النفس ولها معنيان أيضاً أحدها المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة والصفات المذمومة . وثانيهما اللطيفة الربانية التي هي أحـد معنى الروح والقلب وتلك اللطيفة هي حقيقـة الانسان التى يتميز بهـا على سائر الحيوان * اللفظ الرابع العقل وله معنيان أيضاً أحدها العلم بحقائق الاشيا . والثانى غريزة يتبعها العلم بالضروريات واذا أطلق لفظ الروح والنفس والقلب والعقل فى الآيات والاخبار فالمراد منها اللطيفة الربانية وهـذه اللطيفة هى التى أرادها الامام السهرردي رحمه الله بقوله في مفارقة الروح للبدن وحنينها الى موردها الاصلي

خلعت هيا كلها بجرعاء الحمى	وصبت لمغناها القديم تشوقا
وتلفتت نحو الديار فشاقها	ربع عفت آثاره فتمـزقا
وقفت تسائله فرد جوابها	رجع الصدا أن لا سبيل الى اللقا
فكانهـا برق تألق بالحمى	ثم انطـوى فكانه ما أبرقا

ثم اعلم ان الواردات التي كانت ترد عليه صلى الله عليه وسلم ثلاثة لكل وارد منهـا مورد ومصدر وهى الارواح الثلاثة * الروح الامين وهو جبريل عليه السلام . وروح القدس . وروح الامر فورد الروح الامين ظاهر القلب وهو الفؤاد وللفؤاد سمع وبصر وهو قوله تعالى (ما كذب الفؤاد ما رأى) فالروح الامين يرد صفح القلب وهو قوله تعالى (نزل به الروح الامين على قلبك) ومصدره عالم سدرة المنتهى اذ اليها تنتهي علوم الخلائق فيرد بواجب الافعال وهو علم اليقـين * وروح القدس مورده باطن

القلب وهو السويداء وهي محل النفث واليه أشار صلى الله عليه وسلم بقوله ان روح القدس نفث في روعي والنفث ما يلقيه الله تعالى الى عبده الهاما كشفياً بمشاهدة عين اليقين ومصدره من عالم العرش بحقائق الاسماء ٥ وروح الامر مورده السر وهو باطن السويداء ومصدره من عين القدرة المطلقة الربانية والحضرة الوحدانية فيرد بتجليات أنوار الصفات وهذه حقيقة حق اليقين قال تعالى (وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان) ومن هاهنا (فاوحي الي عبده ما أوحى) فالروح الامين ينطق عن عالم الملك وروح القدس ينطق عن عالم الملكوت وروح الامر ينطق عن عالم الجبروت . والروح الامين اذا تجلى لصفح القلب اصطلم وغاب غيبة الهيبة ٥ ومن هاهنا زملوني زملوني • وروح القدس اذا استولى على القلب غاب غيبة الحضور بمشاهدة العلويات الملكوتية • ومن هاهنا لست كاحدكم انى أظل عند ربي يطعمني ويسقيني ثم يرجع عن غيبة الحضور فيثبت ما شاهد من عالم الملكوت في عالم الملك وهو معنى قوله تعالى (قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا) ومن ههنا اشارة انه ليغان على قلبي ليس ذلك الغين غين حجاب ولا غفلة من ظن ذلك بنبيه فقد أخطأ في حقه وأساء الظن به وانما كان صلى الله عليه وسلم تستغرقه أنوار التجليات فيغيب بذلك الحضور ثم يسأل الله تعالى ان يستر عليه حاله فيطلب المغفرة وهي الستر لانها مأخوذة من الغفر فكانه يسأل ستر حاله عليه غيرة منه عليه لان الخواص لو دام لهم التجلي وما يكاشفهم به لتلاشوا عند ظهور سلطان الحقيقة فالستر لهم هنالك رحمة وأما الستر للعوام فعقوبة لانه حجاب لهم وغطاء على أعين بصائرهم فهم مستورون عنه بغيره والخواص مستورون به عما سواه

وأما روح الامر اذا استولى على القلب أخذه منه وغيبه عنه حتى ينظر الحقائق الربانية في دار الفردانية . ومن هاهنا لي وقت لا يسعني فيه غير ربي فروح القدس متلق من روح الامر والروح الامين متلق من روح القدس وهو سر قوله تعالى (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضي اليك وحيه) فلو لم يكن مبلغاً من غير جبريل لما كان يسابق جبريل في تلاوته فكم بين يوم يا محمد اقرأ وهو يقول يا صاح لست بقاري ثم يرجع الي خديجة رضى الله عنها ويقول زملوني زملوني وشتان بينه وبين يوم ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضي اليك وحيه فيوم زملوني اشارة الي البداية الوحيية ويوم لا تعجل اشارة الى النهايات الكشفية ونظاير ذلك لاهل البدايات قوله تعالى (الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) أي انزعجت وخافت وهذه صفة أهل البداية وأما أهل النهاية فصفتهم

التمكين والثبوت والطمأنينة قال تعالى واصفا لهم (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) ثم ان الدنيا من عالم الملك والشهادة والآخرة من عالم الغيب والملكوت ونحن الآن نتكلم من الدنيا في الآخرة فانا الآن في الدنيا وغرضنا شرح الآخرة ولا يتصور شرح عالم الملكوت في عالم الملك الا بضرب الامثال ولذلك قال تعالى (وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون) وعالم الملك نوم بالاضافة الى عالم الملكوت ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وما كان في يقظة الآخرة لا يتبين في نوم الدنيا الا بالامثال وقد قالوا يدرك الفطن بامثال الوحد مالا يدركه الغبي بألف شاهد فالفطن يكتفي بالمثال وقد جاء رجل الى ابن سيرين فقال رأيت كأن أملأ الزيت في الزيتون فقال ان كان تحتك جارية ففتش عن حالها فانها أمك فنظر فاذا جاريته كانت أمه وقد سبيت في صغره وقال آخر رأيت كأني أقلد الدر في أعناق الخنازير فقال انك تعلم الحكمة غير أهلها فكان كما قال ان نظر الى معناه وجده صادقا وان نظر الى صورته وجده كاذبا * وقوله تعالى صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته فانه لا يفهم من الصورة الا اللون والشكل والهيئة فيشبه الله مثل ذلك تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً وقوله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالموت يوم القيامة في صورة كبش أملح فيذبح فينور الملحد الاحمق ويكذب ذلك ويستدل على كذبه ويقول ياسبحان الله الموت عرض والكبش جسم فكيف ينقلب العرض جسما وهل هذا الا محال ولكن الله تعالى عزل عن هؤلاء الحمقى معرفة أسراره فقال (وما يعقلها الا العالمون) ولا يدري المسكين ان من قال رأيت في منامي انه جيء بكبش وقيل هذا الوباء الذي في البلد وذبح فقال المعبر صدقت أن هذا يدل على ان الوباء ينقطع ولا يعود قط لان النائم انما يحتمل المثال له صادقا وكان معناه صحيحاً فالرسل أيضاً انما يكلمون الناس في الدنيا وهي بالاضافة الى الآخرة نوم فيوصلون المعاني الى افهامهم بالامثلة حكمة من الله ولطفاً بعباده وتيسيراً لادراك ما يعجزون عن ادراكه بدون ضرب المثل * وقد جذبت عنان القلم في هذا الباب . خوف الملل والالقاب . وفي هذا القدر كفاية للطلاب . نسأل الله سبحانه وتعالى ان يمن بتوفيقه ويفتح لمن سلك طريقه كل باب . والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات . وبتوفيقه وفضله تنال الدرجات . والصلاة والسلام على عروس القيامة سيدنا ومولانا محمد سيد السادات . وعلى آله وصحبه الائمة الهداة . اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه . وارنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه . اللهم اصلح لنا النيات . واحفظنا من الآفات . ووفقنا للباقيات الصالحات . وأحسن لنا ولاولادنا واتباعنا وأحبابنا الختام

على الايمان الكامل والاسلام • بفضل سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين (قال مؤلفه) فرغت من تأليفه وتبييضه سلخ ذي الحجة الحرام ختام العام المتمم للثمانين بعد المائتين والالف من هجرة من ختمه الله على أكمل وصف صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وعظم وشرف وكرم

تقاريظ الكتاب

هذه صورة ما قرظ عليه ناسخه الاول العلامة الشيخ مصطفى عفيفي المدرس بالمسجد الحرام • اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد النبي الامي وعلى آله وصحبه • وعترته وحزبه •

بسم الله الرحمن الرحيم يقول كثير المساوي والعصيان • مصطفى بن محمد العفيفي قليل العرفان • أصلح الله أعماله • وبلغه في الدارين آماله • حمدا لك يامن اطلعت شمس الفضل فى سماء التحقيق وابرزت بدر الطول بفلك التدقيق • وشكرا لك اذ جعلت فينا دعاة اليك • وهداة يستدل بواسطتهم عليك • وصلاة وسلاما على الواسطة العظمى • وعلى آله وصحبه ذوي المقام الاسمى • (أما بعد) فقد نزهت طرفى في أفنان هذا الروض الانيق • وأسبحت فكري فى تيار هذا البحر العميق • فوجدته كنزاً من بحار الاسرار التي لا يدرك لها ساحل ولا قرار • فهو مؤلف جل مقداره • ولمعت اسراره • وسحت من أسحب الفضل امطاره • وفاضت من رياض التحقيق ازهاره • ولاحت في سماء التدقيق شموسه وأقماره • وتناغت في غياض الارشاد بلغات الحق أطياره • وأشرقت على صفحات القلوب باليقين أنواره • وبالجملة فهو كتاب لاينكر فضله • وما صنف الا قليلا مثله • وكم ترك الاول للآخرة كما قيل

وانى وان كنت الاخير زمانه لآت بما لم تستطعه الاوائل

فسبحان من حلا هذا الزمان • بمؤلفه عظيم القدر والشان • نخبة آل البيت النبوي • وصفوة آل بنى علوي • سلالة الاقطاب • وقدوة الفضلاء الانجاب • مولانا الحسيب النسيب • السيد الجليل الحبيب • فضل ابن الغوث علوي • بن محمد بن سهل مولى الدويلة العلوي • متعنا الله بطول حياته • وامدنا ببركاتهم وبركاته • فلقد أودع في هذا الكتاب من الاسرار ما يقضي بالتعجب العجاب • فيجب على كل من وقف عليه حسن الاعتقاد • وترك التعصب والانتقاد • فنعوذ بالله من حسد يسد باب الانصاف • ويمنع

من الاعتراف بجميل الأوصاف

ومن المتعنت من لا يرعوى عن جهله وخطاب من لا يفهم

فجزاه الله خيرا عن المسلمين ونفعنا بعلومه فى الدنيا والدين ولما آن ان

أتمامه وبشر القلم بحسن ختامه أنشأت فيه قولا وان لم أكن لذلك أهلا

صاح عرج على حمي الاخيار وترقب مناهل الابرار
واقتفى أثرهم لعلك ترقي عاجلا فى معارج الاسرار
واقصد الخوض فى طريقة قوم منعوها مطامع الاغيار
لا توانى فللتوانى احتجاب وانقطاع عن رتبة الاخيار
رب راج رواج ما يتمنى صد عنه بماجل الاقدار
وفتي فى خموله متمادي صادفته عناية الغفار
ان لله فى الانام رجالا قد حباهم بفضله المدرار
واجتباهم وخصهم بعلوم من لدنه جليلة المقدار
نزه الطرف في علوم رووها فعسي أن تصفو من الاكدار
واقتطف من ثمار ماغرسوه من معانى نفيسة الازهار
أتبع القول بالفعال لكي تحظى قريبا بمنتهى الاوطار
هذب النفس باجتناء المعالي وتجنب معاهد الاوزار
قد حباك الامام فضل كتابا راق معنى يلذ للنظار
كم معان فى لفظه قد طواها بمبان شريفة الآثار
راق لفظا ورق حسنا ومعنى وتجلا عن غياهب الاستار
أيها السالك المريد وصولا وارتقاء لحضرة القهار
وشهوداً فى عالم الغيب حقا فارج فضلا بآلة الاخيار
رب زده مجداً وعلى ذراه وأنله منازل الابرار
وصلاة من المهيمن تترى كل وقت على النبي المختار
وعلى الآل والصحابة طرا ونساء وعترة وذراري
ما تراءت للسالكين مقاما ت ولاحت بشائر الانوار

﴿ تقريظ كاتبه بقلمه ﴾

الحمد لله الذي جعل من هذه الامة هداة لدينه القويم والصلاة والسلام على

محمد الرؤف الرحيم • وعلى آله وصحبه أولى الفضائل والتكريم ٥ أما بعد فانى لما سرحت طرفي في رياض هذا الكتاب المستطاب • وارسلت هزار فكري في معانيه الدقيقة ومبانيه الرقيقة الصواب • وجدته كنزاً من الاسرار • وبحراً في العلوم ليس قرار • فلله در مؤلفه قطب دائرة الكون • غوث كل مسترشد ومستنجد وعون • خلاصة آل البيت النبوي • وشمعة السادة بني علوي • الجامع بين الحسب والنسب • والعلم والعمل اللذين هما للسعادة سبب • صاحب الدولة والسيادة السيد فضل بن الغوث علوي • بن محمد بن سهل مولى الدويلة العلوي • متعنا الله بطول حياته • وامدنا من بركات آبائه وبركاته امين • وقلت نظما

أياطالبا سبل النجاة من الردى ... لتظفر بالفوز العظيم مؤبدا

بإيضاح اسرار لعلوية التزم ... كتابا حوي لب التصوف والهدي

وذلك من فضل الاله على الورى ... أتاهم به ابن الغوث علوي ليرشدا

فيارب تبقيه مدى الدهر سالما ... ونجيه من شر الحواسد والعدا

بجاه شفيع الخلق في الحشر جده ... عليه صلاة الله والآل سرمدا



الفهرس

مقدمة المؤلف	٣
المقدمة في ذكر ما لا بد منه للمريد السالك	٤ ١
العقبة الأولى: عقبة العلم والمعرفة	٨
العقبة الثانية: عقبة التوبة	١٣
العقبة الثالثة: عقبة العوائق	١٧
العائق الأول: الدنيا	١٧
العائق الثاني: الخلق	١٩
العائق الثالث: الشيطان	٢٠
العائق الرابع: النفس	٢٥
لجام التقوى	٢٦
مراعاة الأعضاء الخمسة	٢٨
العقبة الرابعة: عقبة العوارض	٤٠
العارض الأول: الرزق	٤٠
العارض الثاني: الأخطار	٤٥
العارض الثالث: القضاء	٤٨
العارض الرابع: الشدائد	٤٩
العقبة الخامسة: عقبة البواعث	٥٣
العقبة السادسة: عقبة القوادح	٦٠

القادح الأول : الرياء ٦١
القادح الثاني : العجب ٦٤
العقبة السابعة : عقبة الحمد والشكر ٦٩
(اشكالات والجواب عنها) ٧٤
الخاتمة ٧٧
المقصد الأول : بيان طريق السادة العلويين ٧٧
ذكر بعض كلام العارفين منهم في ذلك ٨٣
المقصد الثاني : في أصناف الخلق ٩٠
المقصد الثالث : في التصوف وأقسام الصوفية ٩٩
أقسام المتمصوفة ١٠٦
بقاء البرهان النبوي ١١٣
أقسام السلوك والجذب ١١٩
(تنبيهات للسالك) ١٢٣
معنى القلب والروح والنفس والعقل ١٢٦
تقاريظ الكتاب ١٣٠

